

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



لِنُفَاخِرَ جَبَّتِ طَلَبِ الرِّضَا فِي مُتَرَجِّمِ

الرِّضَا فِي طَلَبِ الرِّضَا

مَجَلَّةٌ فِصْلِيَّةٌ عِلْمِيَّةٌ تُعْنَى بِالنَّهْضَةِ الْحُسَيْنِيَّةِ وَأَفَاتِهَا الْفَكْرِيَّةِ

تَصَدَّرَ عَنْ

مُؤَسَّسَتَيْ وَارِثِي الْأَفْئِدَةِ لِلدُّرَرَاتِ الْخَصَصِيَّةِ فِي النَّهْضَةِ الْحُسَيْنِيَّةِ

الْعُتْبَةُ الْحُسَيْنِيَّةُ الْمُقَدَّسَةُ

العدد الرابع والأربعون
السنة الحادية عشرة (١٤٤٥هـ - ٢٠٢٣م)

الإصلاح الحسيني

رئيس التحرير

الدكتور حاتم كاطع موسى البخاتي

مدير التحرير

الدكتور عدنان جاسم كريم الطائي

هيئة التحرير

- أ. د. عبد الجبار ناجي رحيم الياسري جامعة بغداد / العراق
أ. د. محمد جواد محمد سعيد عمران الطريحي جامعة بغداد / العراق
أ. د. حيدر محمد علي محمد جواد السهلاني جامعة الكوفة / العراق
أ. د. عادل نذير بيبري عزيز الحساني جامعة كربلاء / العراق
أ. د. علي مجيد داود البديري جامعة البصرة / العراق
أ. د. هادي عبد النبي محمد التميمي الجامعة الإسلامية / العراق
أ. د. دلال عباس الجامعة اللبنانية / لبنان
أ. د. نور الدين أبو لحية جامعة باتنة / الجزائر
أ. د. عدي حاتم عبد الزهرة المفرجي جامعة كربلاء / العراق
أ. م. د. طلال فائق مجبل جار الله الكمالي جامعة وارث الأنبياء / العراق
أ. م. د. علي حسن اللواتي جامعة صحار / عُمان
أ. م. د. خولة بنور المعهد العالي للعلوم الإنسانية / تونس
أ. م. د. لطفي بن صالح البكوش الجامعة الزيتونية / تونس
م. د. أسعد علي أحمد السلطان مؤسسة وارث الأنبياء / العراق
د. ميثم رحيم الربيعي مؤسسة وارث الأنبياء / العراق
د. رغدان كركح المنصوري مؤسسة وارث الأنبياء / العراق
د. حيدر خفاس الساعدي مؤسسة وارث الأنبياء / ألمانيا

التنسيق والعلاقات العامة

السيد صالح محمد حسن التتكابني
السيد مالك عاشور نعمة البطاط
السيد حسن محمد رضا الحكيم

المراجعة والتدقيق اللغوي

عصام بدران العلي

معتمد الترجمة الإنجليزية

الشيخ حيدر نجم البهادلي

الإخراج الفني

الشيخ حسين لفقة المالك
السيد علي حسين الهاشمي

التصميم والجرافيك

عبد الزهرة فرحان الطائي
صادق مصطفى الحيدري

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (١٩٢٤) لسنة ٢٠١٣ م

الترقيم الدولي: ISSN: 978-964-984-240-7

السياسة العامة لمجلة الإصلاح الحسيني

مَجَلَّةُ (الإصلاح الحسيني) مَجَلَّةٌ علمية تختصّ بالنهضة الحسينية، تصدر عن مؤسّسة وارث الأنبياء للدراسات التخصصية في النهضة الحسينية، التابعة للعتبة الحسينية المقدّسة.

تُعنى المَجَلَّةُ بنشر كلّ ما يمتّ بصلة إلى النهضة الحسينية، وآفاقها المتعدّدة، من خلال تسليط الضوء على: تاريخها، وتراثها، وفلسفتها، وإبراز جوانبها: الإنسانية، والاجتماعية، والفقهية، والأدبية، وغيرها من الحقول المعرفية.

تتطلّع المَجَلَّةُ لاستيعاب جميع المجالات المهمّة والحسّاسة في دراسة النهضة الحسينية، شريطة أن تكون البحوث والدراسات المقدّمة موافقة لأصول البحث العلمي، وأخلاقيات النشر المتّبعة في الأوساط العلمية والبحثية.

وعلى هذا الأساس؛ تستقبل المَجَلَّةُ من الكتاب والباحثين الكرام كلّ بحث له صلة بالإمام الحسين (عليه السلام) ونهضته المباركة، على أمل أن تلاحظ سياسة المَجَلَّةُ المدرجة ضمن النقاط الآتية:

١ . أن تكون البحوث منسجمة مع اختصاص المَجَلَّةُ، وسياستها العامة، وضوابطها المعتمدة في النشر.

٢ . يخضع البحث المقدّم للنشر لعملية تقييم علمي من قبل لجنة مختصة من المحكّمين العلميين.

٣ . بعد عملية التقييم العلمي، وتأييد صلاحية البحث للنشر، يخضع البحث للتحريّر من قبل هيئة التحرير.

٤ . إطلاع الباحث على قبول نشر بحثه أو عدمه في مدّة أقصاها شهران من تاريخ استلام البحث.

- ٥ . بعد الموافقة على نشر البحث يُعتبر البحث ملكاً للمجلة، فلا يحقّ للباحث تقديمه للنشر، أو المشاركة به في أيّ نشاط علمي آخر.
- ٦ . لا يحقّ للباحث سحب بحثه بعد تقييمه من قبل المحكّمين العلميين، وتأييد صلاحية نشره من قبل رئاسة التحرير.
- ٧ . للمجلة حقّ إعادة نشر البحث في كتاب مستقلّ، أو ضمن كتاب، مع الحفاظ على نصّه الأصلي، وحقوق الكاتب المعنوية.
- ٨ . ليست المجلة ملزمة ببيان أسباب الرفض فيما لو لم يحصل البحث على درجة القبول المطلوبة.
- ٩ . لا ترى المجلة نفسها ملزمة بإعادة البحث إلى الباحث، سواء نُشر في المجلة، أم لم يُنشر.
- ١٠ . تستقبل المجلة البحوث المكتوبة باللغات الأخرى غير العربية، وستعمل على نشرها بعد ترجمتها إلى اللغة العربية.
- ١١ . قد تعتمد المجلة إلى ترجمة البحوث المنشورة بلغات أخرى إلى اللغة العربية، ونشرها في المجلة، بعد إعلام الباحث بذلك.
- ١٢ . تحتفظ هيئة التحرير بحقّ تعديل أو حذف ما لا تراه منسجماً مع سياسة المجلة، وأهدافها العامّة، وما يُخالف السلامة الفكرية، والثوابت الدينية.
- ١٣ . يخضع ترتيب البحوث المقدّمة للنشر لاعتبارات فنيّة تقتضي التقديم أو التأخير أحياناً.
- ١٤ . تُراعى في أسبقية النشر الأبحاث المشاركة في المؤتمرات أو الندوات أو الملتقيات الفكرية التي تُقيمها مؤسّسة وارث الأنبياء، وذلك بعد تأييد صلاحيتها للنشر من قبل اللجنة المعنية بذلك.
- ١٥ . جميع الأفكار والآراء المطروحة في المجلة تعكس وجهة نظر أصحابها، ولا تُعبّر بالضرورة عن رأي المجلة.

ضوابط النشر في مجلّة الإصلاح الحسيني

- ١ . أن يكون البحث مرتبطاً باختصاص المجلّة، منسجماً مع أهدافها وسياساتها العامّة.
- ٢ . أن يكون البحث مبتكراً، أو يتضمّن نوعاً من التجديد والإبداع، وأن يحتوي على تطبيقات ونتائج ذات أهميّة على الصعيد العلمي.
- ٣ . ألا يكون البحث منشوراً في مجلّة أخرى، أو أيّ وسيلة من وسائل النشر المتنوّعة، أو مقدّماً للنشر فيها.
- ٤ . أن يراعي الباحث أصول البحث العلمي وأخلاقياته، وأن يلتزم بمنهجياته وخطواته المتعارفة على المستوى العالمي.
- ٥ . أن يحتوي البحث على العناصر الأساسية الآتية: ملخّص، مع كلمات مفتاحية باللغتين العربية والإنجليزية، ومقدّمة، ومحتوى، وخاتمة تتضمّن أهمّ النتائج والتوصيات، وقائمة بالمصادر والمراجع.
- ٦ . ألا يكون البحث المقدم للنشر مستلاً من كتاب، أو رسالة، أو أطروحة لغرض الترقية العلمية، وأن يوقع الباحث تعهداً خطياً خاصاً بذلك.
- ٧ . ألا يكون موضوع البحث مستهلكاً من الناحية العلمية، أو تجميعياً إلى درجة يغيب فيها الحضور العلمي للباحث.
- ٨ . اعتماد اللغة العلمية الرصينة، والتحليّ بالموضوعية والدقّة المطلوبة في عرض المعلومات.
- ٩ . ألا يقلّ عدد صفحات البحث عن (١٥) صفحة، ولا يزيد على (٣٠) صفحة، بمعدّل (٢٥٠) كلمة في الصفحة الواحدة.

دليل المؤلفين

تخضع عملية التأليف وكتابة البحوث للمعايير الأخلاقية للبحث والنشر العلمي (COPE)، من حيث الأسلوب، والمنهجية، والمضمون، ولا ينبغي تجاوز هذه المعايير لأي سبب من الأسباب؛ فإن تجاوزها ينعكس سلباً على المستوى الفكري والمعرفي للبحث؛ الأمر الذي يُعرض الباحث إلى المساءلة العلمية، والقانونية أيضاً.

ومن جملة هذه المعايير ما يأتي:

- ١ . على المؤلف تقديم بحث أصيل ومبتكر قدر الإمكان مطابق لمواصفات البحوث المحكمة.
- ٢ . بيان النتائج والمخرجات بشكل صحيح، وذلك عن طريق عرض المقدمات بشكل منطقي متسق.
- ٣ . تجنب عرض المعلومات أو النصوص أو النظريات المقتبسة من مفكرين آخرين، أو ترجمة أعمالهم بطريقة توحي إلى كونها من إبداعات الباحث وابتكاراته (السرقة الفكرية)، من دون إرجاع إلى مصادر تلك النصوص أو المعلومات المقتبسة.
- ٤ . تجنب الخوض في مسائل بعيدة عن الخلق الرفيع، والذوق السليم، أو بيان معلومات مجانية للحقيقة، وعدم استخدام أيّ تعبير يحمل بين طياته نزعة طائفية أو عرقية أو قومية.
- ٥ . لا ينبغي للمؤلف تقديم البحث ذاته إلى أكثر من مجلة أو فعالية علمية مشابهة؛ إذ يُعدّ ذلك منافياً لأخلاقيات النشر العالمية، إلا في حال إجراء تعديلات جوهرية على عنوانه ومضمونه.

- ٦ . ينبغي للباحث أن يلتزم بتضمين البحث قائمة بالمصادر والمراجع التي رجع إليها، واعتمدها في البحث، مرتبة في نهاية البحث وفق الصيغة التالية: (عنوان المصدر أو المراجع، اسم المؤلف، دار النشر، بلد النشر، رقم الطبعة، سنة الطبع)، على أن يكون ترتيب المصادر المثبتة في هامش كل صفحة بالطريقة الآتية: (اللقب، الاسم، عنوان المصدر: الجزء، الصفحة).
- ٧ . الاعتماد على المصادر الأولية المعنية بموضوع البحث قدر الإمكان، دون الرجوع إلى المصادر الثانوية.
- ٨ . على المؤلف إذا اكتشف وجود خطأ أساسي في بحثه، أن يُشعر إدارة المجلة فوراً بذلك؛ كي تتخذ الإدارة الإجراءات اللازمة بحذف الخطأ أو تصويبه.
- ٩ . عدم التعريض والإساءة إلى الأشخاص أو الباحثين، حتى لو كان ذلك في مقام الردّ على شبهاتهم أو إشكالاتهم العلمية.
- ١٠ . الالتزام بقواعد الاقتباس والتوثيق؛ فلا بدّ للباحث من الالتزام بوضع علامات الاقتباس المتعارفة لكل نصّ مقتبس من مصادر أخرى، لكيلا يختلط بنصوص الباحث وأدبياته.
- ١١ . ينبغي للباحث إجراء تعديلات في بحثه وفقاً لمقترحات لجنة المحكّمين، وفي حال عدم الموافقة على التعديلات المقترحة، يجب عليه تقديم تبرير منطقي بأسباب الرفض، فإن لم يُقدّم الباحث أسباباً مقنعة تحتفظ المجلة بحقّها في عدم الموافقة على نشر البحث.
- ١٢ . يُكتب عنوان البحث واسم الباحث باللغتين العربية والإنجليزية، وتُثبت جهات انتساب الباحث (القسم، الكلية، الجامعة أو المؤسسة العلمية والبحثية التي ينتمي إليها، المدينة، البلد).
- ١٣ . كتابة ملخص البحث (*Abstract*) باللغتين العربية والإنجليزية، مع الكلمات المفتاحية (*Keywords*)، وتتراوح كلمات الملخص ما بين (١٥٠-٢٠٠) كلمة،

على أن يضمّ الملخص بيان موضوع البحث، وأهدافه، والمنهج المعتمد، مع ذكر أهمّ النتائج التي توصل إليها الباحث، ولا ينبغي الاستشهاد بمصدر، أو بيان دليل أو شاهد.

١٤ . ينبغي تحديد مشكلة البحث وأهمّيته وأهدافه وتحليل النتائج وتفسيرها في ضوء المنهج العلمي المتّبع.

١٥ . إذا كان البحث مشتركاً بين مؤلّفين أو أكثر، فلا بدّ من حصول مقدّم البحث للنشر على موافقة جميع المؤلّفين المشاركين في إعداده وتأليفه قبل تقديمه؛ فإنّ ذلك يُعدّ جزءاً من حقوقهم.

١٦ . لو تبّين بعد قبول البحث أنّه غير مستوفٍ لشروط النشر، فسيُطلع الكاتب على ذلك، وإذا نُشر ثمّ ظهر بعد ذلك عدم اشتغال البحث على أخلاقيات البحث العلمي، يتحمّل الباحث كافّة التبعات القانونية.

١٧ . يُقدّم البحث مطبوعاً وخالياً من الأخطاء اللغوية والمطبعية قدر المستطاع.

١٨ . يُرسل البحث على قرص مدمج، أو على البريد الإلكتروني الخاصّ بالمجلة، مرفقاً بالسيرة الذاتية للباحث، وبريده الإلكتروني.

١٩ . تُرفع الملاحظات التي يبيدها المحكّم العلمي إلى الباحث؛ بغية إجراء التعديلات التي تُقرّها لجنة التحكيم، على أن يُسلّم الباحث نسخة معدّلة في مدّة لا تتجاوز أسبوعاً واحداً من حين إبلاغه بذلك.

دليل المحكمين العلميين

المهمة الأساسية للمحكم العلمي هي قراءة البحث الذي يقع ضمن تخصصه العلمي بدقة فائقة، والنظر في منهجيته ومنطلقاته الفكرية والمعرفية، والنتائج المترتبة على ذلك، وفق آليات محددة متعارف عليها في الوسط العلمي والبحثي؛ وعليه فإنَّ المحكم العلمي يساعد هيئة التحرير ورئيسها على اتخاذ القرار المناسب بشأن البحث، كما يسهم في مساعدة المؤلف في تطوير بحثه وتحسينه.

بناء على ذلك؛ ينبغي أن يتمتع المحكم باستعداد كامل لتحمل مسؤولية التحكيم من خلال توفر مواصفات متعددة:

١ . التخصص العلمي: لا بدّ من تناسب موضوع البحث المراد تحكيمه مع تخصص المحكم ومجال بحثه واهتمامه العلمي.

٢ . السرية الكاملة: ينبغي للمحكم الالتزام بمعايير السرية المتعلقة بعملية التحكيم، من خلال المحافظة على سرية المعلومات الواردة في البحث، فلا يحقّ له الإفصاح عنها، أو مناقشتها مع أيّ طرف، باستثناء المرخص لهم من قبل رئيس التحرير، فيجب عليه معاملة الأبحاث التي تسلّمها للتحكيم بعد إخفاء اسم الباحث عنه كوثائق سرّية؛ وعليه لا بدّ من تسلّم ملاحظات المحكم من قبل مدير التحرير مكتوبة على استمارة خاصّة بالتحكيم.

٣ . الموضوعية: على المحكم تحرّي الموضوعية في الأحكام والنتائج الصادرة عن عملية التحكيم، والتجرّد من أيّ آراء سابقة، أو قناعات ذاتية، أو أذواق شخصية، من شأنها أن تُعكّر صفو العملية التحكيمية، ولا بدّ له من التعبير عن رأيه بنزاهة ووضوح، وتدعيم ذلك بالأدلة المقنعة، وعدم التمييز بين المؤلفين على أساس الجنس، أو الأصول العرقية، أو الاعتقاد الديني، أو المواطنة، أو الانتماء السياسي.

٤ . الأمانة: على المحكّم أن ينأى بنفسه عن استخدام المعلومات التي حصل عليها من البحث الذي تمّ تحكيّمه لمصلحته الشخصية.

٥ . الدقّة الكافية: على المحكّم أن يُجهد نفسه في التحرّي عن المعلومات المعروضة في البحث، والتأكّد من خلوه من الانتحال والسرقة الأدبية أو العلمية، كما يجب عليه أن يدوّن في استمارة التحكيم أيّ تشابه بين البحث الذي تمّ تحكيّمه وأعمال أخرى منشورة يعرفها، علماً بأنّ المجلّة تعتمد برامج فحص الاستلال العلمي؛ للتحقّق من أصالة البحث، وعدم نشره سابقاً.

٦ . الاستقرار النفسي: لا بدّ للمحكّم الاجتناب عن التحكيم في حال عدم شعوره بالراحة أو الاطمئنان النفسي؛ الأمر الذي يؤثّر سلباً في نتائج التحكيم ومخرجاته، وعليه إعلام مدير التحرير في حال عدم استعداده لتحكيم البحث المقدّم إليه لأيّ سبب من الأسباب.

٧ . التقيد بالوقت المحدّد لعملية التحكيم.

وفي ضوء ما تقدّم؛ فإنّ نتائج التقييم العلمي والتوصيات المرفقة يتمّ اعتمادها بشكل أساسي في قرار قبول البحث للنشر في المجلّة أو عدمه.

معايير التحكيم

عادةً ما يتّبع المحكّمون العلميّون في تقييم البحوث والدراسات العلمية المقدّمة إلى (مجلّة الإصلاح الحسيني) مجموعة من الضوابط، من جملتها:

١ . تناسب العنوان مع العنوان.

٢ . اشتغال البحث على منهجية عرض مكتملة: (ملخص، مع كلمات مفتاحية، مقدّمة، محتوى، خاتمة، قائمة بالمصادر والمراجع).

٣ . تناسب المقدّمة مع المحتوى.

٤ . ارتباط المكتوب بالإمام الحسين عليه السلام ونهضته المباركة.

- ٥ . الترابط المنطقي بين العناوين.
- ٦ . المستوى اللغوي المطلوب في البحث، والتزام الباحث بقواعد النحو والإملاء.
- ٧ . مراعاة اللغة العصرية في عرض المعلومات.
- ٨ . الالتزام بأصول البحث العلمي.
- ٩ . التجديد، والإبداع، والإثارة العلمية.
- ١٠ . تحديد قيمة المصادر المعتمد عليها.
- ١١ . تحديد نوع البحث بحسب محتواه، وتصنيفه إلى: علمي أصيل بامتياز، أو أصيل نوعاً ما، أو تلفيقي، أو تجميعي.
- ١٢ . تقييم النتائج التي توصل إليها البحث، وبيان قيمتها ودقتها.
- ١٣ . تشخيص ما إذا كان ملخص البحث باللغة العربية والإنجليزية كاشفاً بشكل عام عن مضمون البحث ونتائجه.
- ١٤ . الكشف عن مستوى الاستلال العلمي في البحث، وتحديد نسبة الاقتباس.
- ١٥ . ملاحظة عدد صفحات البحث؛ للتأكد من كونها وفق الضوابط المعتمدة في المجلة.

مراكز النشر

* العراق/ النجف الأشرف: شارع الرسول ﷺ - المعرض الدائم للعتبة الحسينية المقدسة.

* العراق/ النجف الأشرف: الجديدة الثانية - مكتبة دار الهلال.

* العراق/ كربلاء المقدسة: المعرض الدائم في العتبة الحسينية المقدسة.

* إيران/ قم المقدسة: شارع معلّم - سوق ناشران - معرض العتبة الحسينية المقدسة.

المحتويات

أهتافنا لـ العصور

زيارة الأربعين وتجلي إرادة الأمة

رئيس التحرير ١٩

ملف العصور

زيارة الأربعين .. أبعاد وهلالات (٤)

زيارة أربعين الإمام الحسين عليه السلام .. دراسة في أنماطها المكانية وأبعادها الفكرية والاجتماعية

أ. د. حسين عليوي ناصر الزيايدي ٢٧

مسيرة زيارة الأربعين وأثرها في ترسيخ العقيدة الإسلامية

الدكتور محمد صدقي.. ترجمة: الشيخ علي ماجد البدرأوي ٤٧

الأنماط التواصلية ونتائجها في الزيارة الأربعينية للإمام الحسين عليه السلام

د. خديجة ضيائي / ترجمة: حيدر الحيدري ٧٩

عناصر الأخلاق العرفانية في شعيرة الأربعين الحسينية .. دراسة في ضوء الآيات القرآنية

أ. م. د السيد رضا الموسوي / معين بور صادق.. ترجمة: حيدر الحيدري ١١٣

زيارة الأربعين الحسينية مسيرة حضارية بحلة عالمية

الشيخ الحسين أحمد كريمو ١٤٩

تجليات الزيارة الحسينية .. قراءة تحليلية في الفكر والمضمون

أ.د. أزهار علي ياسين ١٨٣

زيارة الإمام الحسين عليه السلام مشياً .. مقارنة أنثروبولوجية ورمزية

ماجدة المؤمن ٢١٣

المسيرة الأربعينية من منظور علم النفس الاجتماعي

راغدة حسن مراد ٢٣٧

دراسات حسينية عامة

يوم المحشر والظلمة الحسينية

الشيخ حسين أبو رويس البحراني ٢٦٥

الحركة الحسينية والنهضة المهدوية .. دراسة في تجليات الاشتراك

الشيخ علي كريم ٢٩٣

الأنسنة في أدب عاشوراء

عبد الله عبد الحسين الميالي ٣١٩

افْتَتَحْنَا خَيْرَ الْعَدَدَاتِ

زِيَارَةِ الْأَرْبَعِينَ وَتَجَلَّى إِرَادَةُ الْأُمَّةِ

زيارة الأربعين وتجليّ إرادة الأمة

رئيس التحرير

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إنَّ مجلّة (الإصلاح الحسيني) ومن خلال ثمانية أعداد خصّصتها لتناول أبعاد زيارة الإمام الحسين عليه السلام بصورة عامّة، وأربعة أعداد أخرى تمحورت أبحاثها حول زيارة الأربعين ومسيرتها المليونية بالخصوص - وهذا هو العدد الرابع والأخير الذي بين يديك عزيزي القارئ الكريم - حاولت وعبر ما قدّمه كتّاب المجلّة وهيئة تحريرها من أبحاث علمية متنوّعة، سبّر أغوار هذه الزيارة المقدّسة والشعيرة العظيمة، والغوص في تفاصيلها وأبعادها وجوانبها ودلالاتها؛ لاستخراج لآلئ الحكمة من بحرها العميق، ولقد كانت هذه الأبحاث - بحق - قد لامست جوانب مشرقة من هذه الزيارة على مستوى النصّ والممارسة، وقدمت تحليلات معمّقة بأسلوب علمي رصين لم تقتصر فيها على زاوية معيّنة، بل سعت إلى استكشاف أبعادها المتعدّدة، إذ عكست الأبحاث المنشورة تنوّعاً كبيراً في المحاور التي تناولتها، فمنها ما ركّز على الأبعاد الفقهية والأصولية، محلّلاً الأحكام الشرعية المتعلّقة بالزيارة وآدابها، وبيان آراء الفقهاء والمجتهدين في مسائلها المختلفة. ومنها ما تناول الجوانب التاريخية للزيارة، متتبّعاً نشأتها وتطوّرها عبر العصور، وموثّقاً للأحداث والشخصيّات المرتبطة بها.

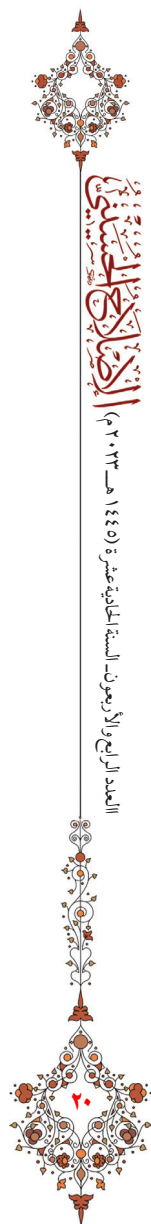
كما توسّعت أبحاث المجلّة لتشمل الدراسات الاجتماعية والنفسية لظاهرة الزيارة، مستعرضة تأثيرها على الأفراد والمجتمعات، وكيف تُسهم في بناء الهوية وتعزيز التلاحم الاجتماعي. كما تناولت بعض أبحاثها التفاصيل الدقيقة للزيارة، من آداب السلوك فيها إلى الأبعاد الروحية والمعنوية التي تلامس القلوب وتسمو بالأرواح.

ولم تغفل المجلّة عن الجانب الأدبي والفني، حيث نشرت أبحاثاً تناولت التعبير عن الزيارة في الشعر والنثر والفنون المختلفة، مبرزةً الجماليات والرمزية الكامنة فيها.

زيارة الأربعين وأسباب التركيز

ارتأت المجلّة أن تخصّص أربعة أعداد لزيارة الأربعين ومسيرتها الحاشدة، التي مثلت ظاهرة إنسانية ومسيرة حضارية لا مثيل لها في التاريخ، هذه المسيرة المليونية التي تُعدّ تجلياً فريداً للولاء والتضحية، إنّها ظاهرة تتخطّى الأبعاد الدينية البحتة لتلامس جوانب اجتماعية، وسياسية، وثقافية، ونفسية. فجاءت أبحاث المجلّة ودراساتها لتثير كوامن هذه الزيارة المقدّسة في الجانب النصّي، والجانب التطبيقي بأبعاده المتنوّعة.

ففي البُعد الاجتماعي والإنساني سلّطت الضوء على تأثير هذه المسيرة على اللّحمة الاجتماعية بين المشاركين من مختلف الجنسيّات والخلفيّات، وما فيها من قصص إنسانية تتكشف على طول الطريق، من كرم الضيافة إلى المساعدة المتبادلة بين الزوّار، هذه القصص التي تحمل في طيّاتها دروساً عظيمة في الإيثار والتضامن. وفي بُعدها الثقافي والتراثي أبرزت بعض الأبحاث تجلّي الثقافات المتنوّعة للشعوب المشاركة في هذه الزيارة، والتقاليد والعادات الفريدة التي تبرز في أثناء المسير، وكيف تُساهم هذه الزيارة في حفظ التراث الحسيني عبر الأجيال.



وفي البُعد النفسي والروحي الفردي كشفت بعض المقالات عن التحوّل الروحي والنفسي الذي يمرّ به الزائر من لحظة انطلاقه حتى وصوله إلى مرقد الإمام الحسين (عليه السلام)، وكيف يتعامل الأفراد مع التحدّيات الجسدية والنفسية للمسير الطويل، وما هي حالة السكينة والطمأنينة التي يجدونها في كربلاء. وغير ذلك من الأبعاد والزوايا الأخرى، إلى جانب ما حمله نصّ زيارة الأربعين من رسائل مختلفة.

زيارة الإمام الحسين (عليه السلام) عصبية على الإحاطة والاستيعاب

قد يتبادر سؤال إلى ذهن بعض: أنّه ماذا يسع الباحث أن يكتب عن زيارة الإمام الحسين (عليه السلام)، ربّما بضع مقالات تكفي، ولا يجد المرء شيئاً يكتبه؟ وقد يتملكه الاستغراب من أنّنا قد خصّصنا اثني عشر عدداً لزيارة الإمام الحسين (عليه السلام)!

ولكنّ هذا الأمر بعيد عن الحقيقة والصواب؛ فإنّ ما نشرناه لا يمثل إلاّ قطرة من بحر هذه الشعيرة المقدّسة التي لا تنفد خزائنها، ولا تنقضي كنوزها؛ فإنّ محاولة الإحاطة بأسرار زيارة الإمام الحسين (عليه السلام) وأبعادها المختلفة هو مسعى يتجاوز قدرة الإنسان المحدودة، فمهما حاولنا تطلّ هذه الزيارة بحراً عميقاً من المعاني، لا يمكن الإمام بكنهه، ومعرفة أسرارها، فزيارة الحسين (عليه السلام) ليست نصّاً يُقرأ فقط، بل هي حياة تُعاش، ورحلة إيمانية روحية تتجدّد، وألطف إلهية تترآى، فمن يستطيع أن يصف لطف الله بعبده من عباده وقف عند القبر الشريف، أو يحلّل سرّ الاستجابة للدعاء تحت القبّة المباركة؟! ومن يملك مفاتيح الغيب ليعرف كنه البركات التي تنزل مع قولنا: (السلام عليك يا أبا عبد الله)؟! نعم، إلّا من ارتضاه الله وأطلعه على غيبه، وهم محمّد وآله صلوات الله عليهم.

وبطبيعة الحال؛ زيارة الأربعين وما يرافقها من مسيرة حاشدة مهيبة كذلك تطلّ أبعادها تمثّل مادّة غزيرة للبحث والدراسة، ممّا يؤكّد أنّها ظاهرة حيّة، متجدّدة، ومتّسعة الآفاق، تتطلّب جهوداً بحثية مستمرّة ومتضافرة لاكتشاف بعض كنوزها.



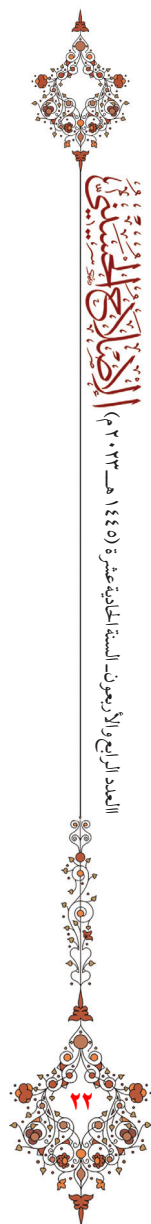
إنّ زيارة الأربعين ليست حدثاً خارجياً يتجسّد أمامنا، بل هي رسالة إلهية تتجلّى فيها معاني الوحدة، والإخاء، والتضحية. وكلّ خطوة نحو قبر الإمام الحسين عليه السلام هي خطوة نحو الله جلّ جلاله، وكلّ دمعة تنساب من أعين المؤمنين الزائرين على مظلومية الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه، هي شهادة على استمرار صرخة (هل من ناصر ينصرنا؟). إنّ هذه المعاني كيف يتسنّى لنا الإحاطة بها واستيعاب أطرافها؟

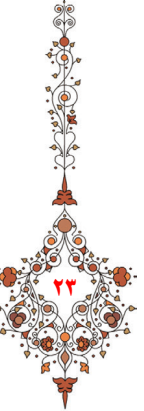
ونحن في هذه الأسطر القليلة نريد أن نلفت نظر الإخوة القراء إلى مسألة مهمّة، وهي أنّ مسيرة الأربعين وما يحصل فيها هو تجلّ واضح لإرادة الأمة وسرّ قوّتها.

زيارة الأربعين مظهر فاعل لإرادة الأمة

في كلّ عام وأثناء المسيرة الأربعينية، وعلى امتداد المسارات المؤدّية إلى كربلاء، تصنع الأمة ملحمة عظمى بكلّ ما تحمل الكلمة من معنى، حيث تتجلّى إرادة الأمة بأبهى صورها وأكثرها إلهاماً لتُقدم للعالم مشهداً فريداً يلامس حدود المعجزات، ويفوق التوقّعات والخوارق، فما نشهده من احتضان لا مثيل له لزوّار الإمام الحسين عليه السلام ليس مجرد فعل خير عابر، بل هو تعبير عميق عن قوّة كامنة في الوعي الجمعي، تتحوّل إلى طاقة فعلية تبني وتصنع المستحيل.

فتقديم الخدمات اللوجستية المتكاملة لملايين البشر القادمين من شتّى بقاع الأرض، تبرز حالة مذهلة في التنظيم الذاتي، والإدارة اللامركزية، وغياب السلطة المركزية الصارمة، واعتماد الأمر بشكل شبه كامل على المبادرة الفردية والجماعية الطوعية، لتحقيق هذا المستوى من التنسيق والدعم، يُعدّ ظاهرة تستحقّ البحث والتحليل في مجالات علوم الإدارة، وعلم الاجتماع؛ إذ كيف يمكن لملايين الأفراد، دون تخطيط مركزي دقيق، أن يوفّروا: المأوى، الطعام، الشراب، الرعاية الصحيّة، وحتى الدعم النفسي، بفعالية تفوق قدرة الدول والمؤسّسات الكبرى؟!





إنّه تجسيد حيّ لمعنى قوّة إرادة الأُمّة وقابليّتها على صنع المعجزات، حيث تتضافر الجهود الفردية في تناغم عجيب لتشكّل شبكة دعم متكاملة غير مسبقة، في مشهد يدلّ على أنّه كيف يمكن للعقيدة المشتركة أن تولّد التضامن الاجتماعي، وكيف تتحوّل المشاعر الإيمانية إلى طاقة فعلية تُنظّم حركة الملايين دون تدخل مركزي.

إنّ زيارة الأربعين تقدّم لنا درساً بليغاً وعميقاً في قدرة الأُمّة على تغيير واقعها، ليس فقط على المستوى الفردي، بل على الصعيد الجمعي أيضاً. إنّها تجسيد حيّ للمبدأ القرآني ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا يَقُومُ حَتَّىٰ يَغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾^(١). هذه المسيرة المليونية ليست مجرد شعيرة دينية، بل هي مختبر اجتماعي ضخم يُظهر كيف يمكن لإرادة جماعية مخلصّة أن تُحدث تحوّلاً جذرياً.

ما نشهده في الأربعين من تكاتف وتعاون غير مسبوق قد حير العالم، وأدهش مراكزه العلمية والبحثية، فآلاف المضاييف تُفتح، وملايين الأيدي تُقدّم المساعدة، كلّ ذلك يتمّ بتنسيق تلقائي يثير الدهشة. هذه ليست نتيجة أوامر مركزية، بل هي ثمرة التفاني الذي ينبع من عمق الإيمان، ومن إدراك كلّ فرد لدوره في منظومة أكبر.

النقطة الجوهرية هنا تكمن في نبذ (الأنا) وإظهار روح الجماعة، ففي هذه الزيارة يتلاشى الفرد ليصبح جزءاً من تيّار هائل من البشر يتّجه نحو هدف واحد تحتفي فيه الفروقات الطبقية والاجتماعية، وتُذوب فيه الحواجز الاجتماعية والثقافية، ويتحسّس كلّ مشارك - سواء كان خادماً أم زائراً - معنى العطاء اللامحدود دون انتظار مقابل، والتضحية بالوقت والجهد والمال في سبيل إنجاح هذه المسيرة.

هذا التفاعل الجمعي يُشكّل نموذجاً مثالياً لما يمكن أن تحقّقه الأُمّة إذا ما وحدت صفوفها ونبذت الخلافات. إنّّه يُظهر أنّ التحديات الكبرى مهما بدت

(١) الرعد: الآية ١١.

مستعصية، يمكن التغلّب عليها بقوة الإرادة المشتركة، والتفاني في خدمة الأهداف النبيلة، والإيمان بأن التغيير يبدأ من الداخل ومن التعاون الصادق.

زيارة الأربعين ليست حدثاً عابراً، بل هي رسالة متجدّدة للعالم بأنّ الأمّة حين تتوحد على قيمها، تكون قادرة على صياغة واقعها ومستقبلها بيدها، وتحقيق ما قد يبدو مستحيلاً، فعلينا أن نتعلّم من زيارة الأربعين بأنّنا قادرون على تغيير واقعنا بأيدينا لا بأيدي غيرنا، لكن بشرط أن نعي أهدافنا ونّتحد من أجل تحقيقها.

هذا؛ ونسأل الله سبحانه أن يهدينا سواء السبيل.



مَلَفُ الْعَدَدِ

زِيَارَةُ الْأَرْبَعِينَ .. أَبْعَادُ وَكَالَاتُ (٤)

- ◆ زيارَةُ أَرْبَعِينَ إِمَامِ الْحُسَيْنِ (عَلَيْهِ السَّلَام) .. دَرَسَةُ فِي أَنْمَاطِهَا الْمَكَانِيَّةِ وَأَبْعَادِهَا الْفِكْرِيَّةِ وَالْاجْتِمَاعِيَّةِ
- ◆ مَسِيرَةُ زِيَارَةِ الْأَرْبَعِينَ وَأَثَرُهَا فِي تَرْسِيخِ الْعَقِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ
- ◆ الْأَنْمَاطُ التَّوَاصُلِيَّةُ وَنَتَائِجُهَا فِي الزِّيَارَةِ الْأَرْبَعِينَ لِلْإِمَامِ الْحُسَيْنِ (عَلَيْهِ السَّلَام)
- ◆ عُنَاوَرُ الْأَخْلَاقِ الْعِرْفَانِيَّةِ فِي شَعِيرَةِ الْأَرْبَعِينَ الْحُسَيْنِيَّةِ .. دَرَسَةُ فِي ضَوْءِ آيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ
- ◆ زِيَارَةُ الْأَرْبَعِينَ الْحُسَيْنِيَّةِ مَسِيرَةُ حَضَارِيَّةٍ بِحَلَّةٍ عَالَمِيَّةٍ
- ◆ تَجْلِيَّاتُ الزِّيَارَةِ الْحُسَيْنِيَّةِ .. قِرَاءَةُ تَحْلِيلِيَّةٍ فِي الْفِكْرِ وَالْمَضْمُونِ
- ◆ زِيَارَةُ إِمَامِ الْحُسَيْنِ (عَلَيْهِ السَّلَام) مَشِيئاً .. مَقَارِبَةُ أَنْثُرُوبُولُوجِيَّةٍ وَرَمْزِيَّةٍ
- ◆ الْمَسِيرَةُ الْأَرْبَعِينََّةُ مِنْ مَنَظَارِ عِلْمِ النَّفْسِ الْاجْتِمَاعِي

زيارة أربعين الإمام الحسين عليه السلام

دراسة في أنماطها المكانية وأبعادها الفكرية والاجتماعية

أ. د. حسين عليوي ناصر الزيادي

كلية الآداب - جامعة ذي قار

The Arbaeen Ziyara of Imam al-Husayn (PBUH)

**– A Study of its Spatial Pattern and Intellectual Social
Dimensions**

Prof. Dr. Husayn Alewi Naser al-Zayyadi

College of Arts – University of Dhi Qar

ملخص البحث

من بين الزيارات الواردة للأئمة المعصومين عليهم السلام تأتي زيارة أربعين الإمام الحسين عليه السلام لتحتل مكانة مهمة وبارزة؛ وذلك لما تحقّقه من آثار مختلفة في مجالات متعدّدة من الحياة، ونخصّ بالذكر المجال الاجتماعي، فالبركات الاجتماعية للزيارة الأربعينية - التي يشترك فيها الملايين من الزوّار - لا يمكن لأيّ عاقل إغفالها؛ ومن هنا جاء هذا المقال لإبراز هذه الآثار، وبيان دورها في تعزيز الأواصر الاجتماعية بين الناس، والحيلولة دون القضاء على الشعلة الوضاعة للإسلام، التي يحملها أتباع محمد وآل محمد عليهم السلام. ولكنّه قبل ذلك ارتأينا بيان البُعد الجغرافي للزيارة المشار إليها، وأنّها تندرج تحت أيّ نمط من أنماط الهجرة، مضافاً إلى ذكر أعداد تقريبية للمشاركين فيها داخل العراق، وكلّ ذلك من أجل الوقوف على حجم الاستفادة من آثار هذه الزيارة المعطاء وبركاتها.

اعتمد البحث على الإحصائيات السكانية التي أعدتها الجهات المعنية في جمهورية العراق، وأمّا في مجال بيان الآثار الاجتماعية - المذكورة أعلاه - فقد اعتمد على المنهج التحليلي لما طرحه النبي صلى الله عليه وآله من قيم تتعلّق بالعدل الاجتماعي على مستوى النظريات والقواعد.

وأخيراً؛ توصل البحث إلى مجموعة من الآثار الاجتماعية لزيارة الأربعين، منها: تحقيق المساواة، الشعور بأهمية الأهداف المشتركة التي تجمع المسلمين، تعزيز روح التضحية والفداء، إثارة الرعب في نفوس المغرضين، وغير ذلك.

الكلمات المفتاحية: زيارة الأربعين، الآثار الاجتماعية، الهجرة الداخلية، الحجم السكاني، كربلاء.

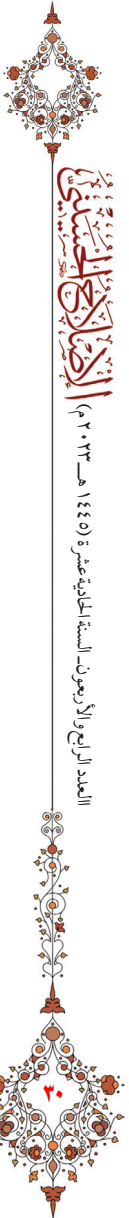
Abstract

Among the various *Ziyaras* (visits) narrated by the infallible Imams (PBUT), the Arbaeen Ziyara of Imam al-Husayn (PBUH) enjoys a significant and prominent position due to its different impacts across various aspects of life, particularly in the social domain. In fact, the social blessings of the Arbaeen Ziyara, in which millions of *Zuwwar* (visitors) participate, cannot be ignored by a rational mind. Thus, this article aims to highlight these impacts and clarify their role in strengthening social bonds among people, and stand against the effort made to quench the lightening flame of Islam, carried by the followers of Muhammad and his progeny (PBUH&HF). However, before this, we seek to clarify the geographical dimensions of this Ziyara while categorize its migratorial nature while also providing approximate numbers of the participants within Iraq, in order to reach the extent of the benefits derived from the abundant blessings and effects of this Ziyara.

The study uses population statistics prepared by the relevant authorities in Iraq, and to present the previously mentioned social impacts, the study uses the analytical approach on the values related to social justice as articulated by the Prophet (PBUH&HF) at the level of theories and principles.

At the end, the study presents a set of social impacts of the Arbaeen Ziyara, such as achieving equality, creating a sense of importance for the goals that unites the Muslims, strengthening the spirit of sacrifice and martyrdom, and the instillation of fear in the hearts of tendentious people.

Keywords: Arbaeen Ziyara, social impacts, internal migration, population size, Karbala.



مقدمة

عُدَّت زيارة الأربعين من أكبر الشعائر الدينية التي يشهدها العالم؛ لذا بات من الضروري الحفاظ على قدسية هذه الشعيرة وإبراز جوانبها المشرقة للعالم، وإظهار معالم النهضة الحسينية إلى العالم بوصفها ملحمة للعدالة والإباء والفضيلة.

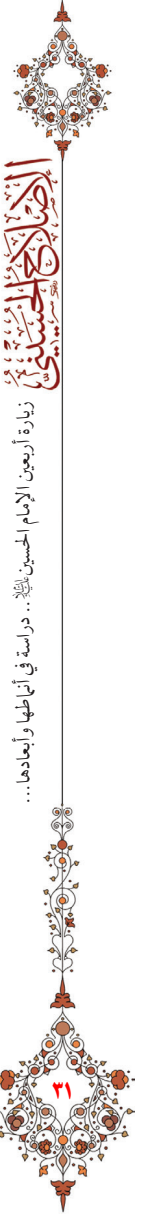
ومن هنا؛ تركت زيارة الأربعين بصمات جليلة في تاريخ التشيع؛ لأنها لم تكن هامشية أو طارئة تظهر حيناً وتختفي حيناً آخر، فهي حدث خالد بخلود واقعة كربلاء، وأحاديث استحباب تلك الزيارة ما زالت تحفر في ذاكرة الزمن خلودها الأبدي. وقد أولى الأئمة المعصومون (عليه السلام) زيارة قبر الإمام الحسين (عليه السلام) عناية فائقة واهتماماً خاصاً، وحثوا شيعتهم على أداء هذه الشعيرة المقدسة، والتأكيد عليها في كثير من الموارد، وقد وردت في ذلك الكثير من الأحاديث والروايات عنهم (عليه السلام) في فضل زيارة الحسين (عليه السلام) والثواب الجزيل الذي يصيبه الزائر بزيارته.

ومن هذه الأحاديث ما روي عن الإمام الباقر (عليه السلام): «مروا شيعتنا بزيارة قبر الحسين (عليه السلام)؛ فإن إتيانه يزيد في الرزق، ويمد في العمر، ويدفع مدافع السوء، وإتيانه مفترض على كل مؤمن يقرّ للحسين بالإمامة من الله»^(١). وفي حديث آخر له (عليه السلام) أيضاً عندما سُئِلَ (عليه السلام): «ما تقول فيمن زار أباك على خوف؟ قال (عليه السلام): يؤمنه الله يوم الفرع الأكبر، وتلقاه الملائكة بالبشارة، ويقال له: لا تحف ولا تحزن؛ هذا يومك الذي فيه فوزك»^(٢).

وروي أن أول من زار الحسين يوم الأربعين هو الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري (رضوان الله عليه)، يقول عطية العوفي: «كنت مع جابر بن عبد الله

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٢٨٤.

(٢) المصدر السابق: ص ٢٤٢-٢٤٣.



يوم العشرين من صفر، فلما وصلنا الغاضرية [أي: أرض كربلاء] اغتسل في شريعتها، ولبس قميصاً...»^(١)، ثم ذكر الزيارة التي زار فيها الإمام الحسين عليه السلام.

كما جاءت الروايات بأسانيدھا الصحيحة عن النبي ﷺ وأهل البيت عليه السلام أن الله عوّض الحسين عليه السلام عن شهادته وتضحيته بأن: «جعل الشفاء في تربته، وإجابة الدعاء تحت قبته، والأئمة من ذريته، والألأ تُعدّ أيام زائريه من أعمارهم»^(٢). وأنّ الله ينظر إلى زوّار قبر الحسين عليه السلام عشفة عرفة قبل أن ينظر إلى حجّاج بيته الحرام^(٣)؛ ذلك لأنّ الحسين عليه السلام حفظ حرمة البيت الحرام والكعبة المشرفة، فقد قال لابن عباس عندما خرج من مكّة المكرّمة قبل أن يتمّ حجّه: «لئن أُقتل بمكان كذا وكذا أحبّ إليّ من أن استحلّ حرمتها»^(٤).

هذا؛ ويوجد الكثير من أمثال هذا، فكانت الشيعة - ولا تزال - تقصد زيارة قبر الحسين عليه السلام من البلدان النائية والأقطار البعيدة، فدأب الأئمة على الدعاء للزائرين، فمن دعاء طويل للإمام الصادق عليه السلام في سجوده تقتطف منه هذا المقطع؛ ليتبنّ لنا مدى الاهتمام الذي أولوه ﷺ بهذه الشعيرة والدعوة إليها، يقول فيه عليه السلام: «اللهم اغفر لي ولإخواني وزوّار قبر الحسين، الذين أنفقوا أموالهم، وأشخصوا أبدانهم؛ رغبة في برّنا، ورجاء لما عندك في صلتنا، وسروراً أدخلوه على نبيّك، وإجابة منهم لأمرنا، وغيظاً أدخلوه على عدوّنا، أرادوا بذلك رضوانك»^(٥).

لذا تناولت الدراسة الحالية الأبعاد الاجتماعية للزيارة الأربعينية؛ إذ تمّ الاعتماد على الملاحظة الفردية لقياس الوضع الاجتماعي من خلال المشاهدات التي تولّدت

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٩٨، ص ٣٢٩.

(٢) المصدر السابق.

(٣) أنظر: ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٣١٧.

(٤) ابن عساكر، علي بن الحسين، تاريخ مدينة دمشق: ج ١٤، ص ٢٠٠.

(٥) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٢٢٨.

لدى الباحث. أمّا الأبعاد الجغرافية المتعلقة بأعداد الزائرين فقد تمّ الاعتماد على نصف عدد السكّان بالنسبة للمحافظات، وهي أرقام تمّ اعتمادها من قبل وزارة التخطيط العراقية. أمّا منطقة الدراسة فقد تم التركيز على محافظات وسط وجنوب العراق، ومنها العاصمة بغداد.

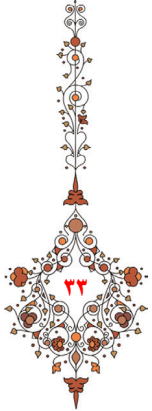
الهجرة السنوية باتجاه كربلاء

الهجرة والخصوبة والوفيات تشكّل أضلاع المثلث السكاني لأيّ مجتمع^(١)، وتمثّل الهجرة والانتقال ظاهرة ديموغرافية تميّز بها السكّان على مرّ العصور؛ لذلك فهي ليست عاملاً جديداً في حياة الشعوب. وقد لعبت دوراً كبيراً في اختلاف معدلات النموّ السكاني لها، سواء على مستوى الوحدات الإدارية الصغيرة، أم الكبيرة منها، أم على مستوى الدول أو القارّات؛ وذلك من خلال تغيير حجم سكّانها.

لذلك تُعدّ الهجرة عاملاً مؤثراً في نموّ السكّان، إلى جانب تأثيراتها في خصائصهم الديموغرافية والاقتصادية والاجتماعية، ولا يقتصر تأثير الهجرة على خصائص المهاجرين فقط، بل تشمل تأثيراتها مجتمع الأصل والوصول، وهذا ما يلحظ خلال الزيارة الأربعينية حيث تفوق أعداد الزائرين الخمسة عشر مليوناً في مدينة كربلاء، ويصاحب ذلك انخفاض في الحجم السكاني للمحافظات الأخرى.

وللهجرة المكانية (*External Migration*) أنماط متعدّدة يمكن تقسيمها من حيث المدى والاتّجاه إلى الهجرة الداخلية (*Internal Migration*)، وبلحاظ زمنها فهي هجرة مؤقتة (*Temporary Migration*)، وهي -الهجرة المكانية الداخلية المؤقتة- تحدث ضمن حدود الدولة بدون أن يكون هناك اجتياز لحدودها الدولية. وتتخذ هذه الهجرة أنماطاً متعدّدة؛ تبعاً لمسبباتها وفترات الزمنية، والزيارة الأربعينية تدخل

(١) أنظر: الكردي، محمود فهمي، وآخرون، الدوحة: المدينة الدولة - دراسة اجتماعية ميدانية:



ضمن مصطلح الهجرة الداخلية المؤقتة؛ لأن مدتها الزمنية تزيد على يوم كامل، فضلاً عن أنها تكون داخل حدود الدولة.

وتُعدّ الهجرة الداخلية من المظاهر المهمة لحركة السكّان داخل الدولة، ومن الصعب قياسها على المستوى القومي إلا إذا تضمّنت التعدادات السكانية بيانات عن المهاجرين، ومواطنهم الأصلية، وتواريخ قدومهم إلى مناطق العد^(١). وتُصنّف الهجرة الداخلية إلى أنواع مختلفة، ومنها: الزيارات الدورية، والهجرة بين المدن، والهجرة في داخل البلد نفسه^(٢).

تختلف الأوقات التي توصف بالقدسية بحسب الأزمنة والأحداث الدينية والتاريخية، أو الأماكن والأشخاص والظواهر الطبيعية^(٣). وهناك أوقات لمناسبات مهمة تظهر فيها تقاليد وعادات تميّزها عن بقية الأوقات، فقد اعتادت الشعوب الإسلامية على ممارسة عادات خاصّة ارتبطت بشهر رمضان المبارك، منها ما هي مختصة بشعوب ومجتمعات دون أخرى، ومنها ما هي مرتبطة بتقاليد الدين الإسلامي نفسه^(٤). أمّا حجم الزيارة الأربعينية فيمكن تقديرها من مناطق الوسط والجنوب بأكثر من اثني عشر مليون نسمة إذا اعتبرنا أن نصف الحجم السكاني للمحافظة يؤدّي الزيارة الأربعينية، وهو تقدير أقرب إلى الحقيقة، أمّا الزائرون من مناطق شمال بغداد فلا يمكن تقدير حجمهم السكاني بالدقّة المطلوبة. ويبيّن الجدول (١) أعداد السكّان في كلّ محافظة وعدد الزائرين.

(١) أنظر: أبو عيانة، فتحي محمد، جغرافية السكّان وأسسها الديموغرافية العامة: ص ٣١٩.

(٢) أنظر: سهاونة، فوزي عيد، وموسى عبودة سمحة، جغرافية السكّان: ص ٢٦١.

(٣) أنظر: محمد أحمد بيومي، علم الاجتماع الديني: ص ٢٠٠.

(٤) أنظر: العثمان، باسم عبد العزيز، والزيادي، حسين عليوي ناصر، الجغرافية الاجتماعية مبادئ وأسس وتطبيقات: ص ٣٠٤.

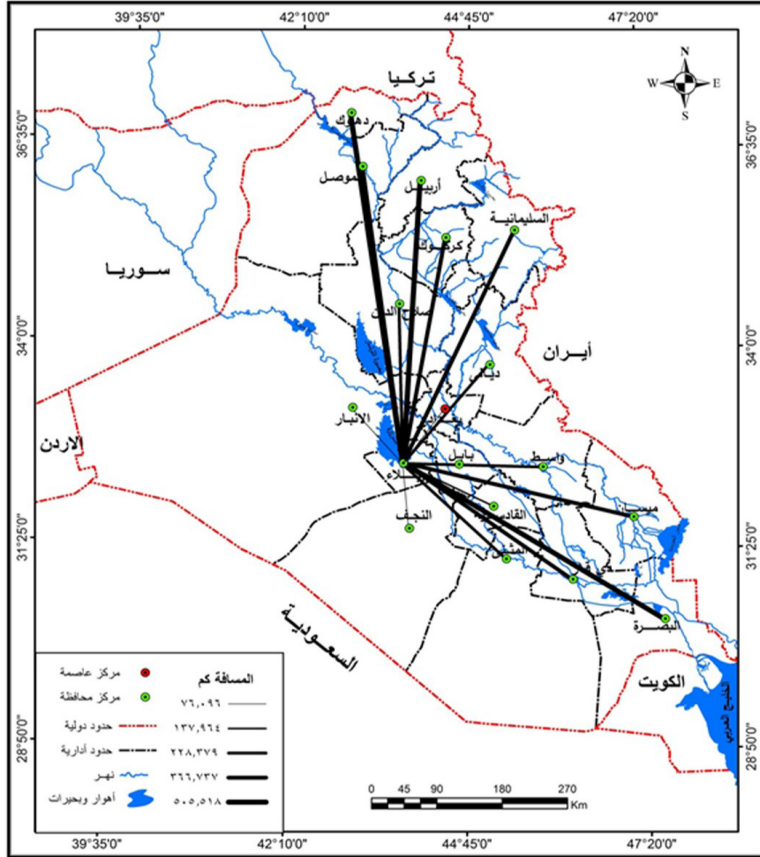
الجدول (١)

الحجم السكاني لمحافظة الوسط والجنوب في العراق وعدد الزائرين في كل محافظة

| المحافظة | عدد السكان | العدد المتوقع للزائرين | النسبة % |
|------------|------------|------------------------|----------|
| بغداد | ٨,١٧٣,١٢٣ | ٤,٠٨٦,٥٦٢ | ٣٤,١ |
| كربلاء | ١,٢٣٨,٣٨٩ | ٦١٩,١٩٥ | ٥,٢ |
| واسط | ١,٣٥٠,٤٠٣ | ٦٧٥,٢٠٢ | ٥,٦ |
| صلاح الدين | ١,٣٠١,٣٨٩ | ٦٥٠,٦٩٥ | ٥,٤ |
| النجف | ١,٥١١,٣٨٠ | ٧٥٥,٦٩٠ | ٦,٣ |
| بابل | ٢,٠٠٠,٣٢١ | ١,٠٠٠,١٦١ | ٨,٣ |
| الديوانية | ١,٢٩٩,٥٨٩ | ٦٤٩,٧٩٥ | ٥,٤ |
| المثنى | ٨٦٠,٢٢٨ | ٤٣٠,١١٤ | ٣,٦ |
| ذي قار | ٢,١٥٥,٦٦٠ | ١,٠٧٧,٨٣٠ | ٩ |
| ميسان | ١,١٥٧,٤٥١ | ٥٧٨,٧٢٦ | ٤,٨ |
| البصرة | ٢,٩٤١,٨٤٠ | ١,٤٧٠,٩٢٠ | ١٢,٣ |

المصدر: بالاعتماد على الجهاز المركزي للإحصاء، بيانات البطاقة التموينية لعام ٢٠١٦ في وزارة التخطيط/ جمهورية العراق.

خريطة اتجاهات المسافة بين محافظات العراق ومدينة كربلاء



المصدر: بالاعتماد على جمهورية العراق، الهيئة العامة للمساحة، قسم إنتاج الخرائط، خريطة العراق الإدارية بمقياس ١:١٠٠٠٠٠٠، بغداد، ٢٠١١م.

الجدول (٢)

المسافات بين مدينة كربلاء ومحافظات العراق

| ت | المحافظة | المسافة / كم |
|----|--------------------|--------------|
| ١ | دهوك وكربلاء | ٥٠٥,٥١٨ |
| ٢ | الموصل وكربلاء | ٤٢٩,٣٧٥ |
| ٣ | أربيل وكربلاء | ٤٠٧,٤١٦ |
| ٤ | صلاح الدين وكربلاء | ٢٢٨,٣٧٩ |
| ٥ | كركوك وكربلاء | ٣٢٧,٩٤٩ |
| ٦ | السليمانية وكربلاء | ٣٦٦,٧٣٧ |
| ٧ | بغداد وكربلاء | ٩٦,٣١٧ |
| ٨ | ديالى وكربلاء | ١٨٧,٠٠٢ |
| ٩ | الانبار وكربلاء | ١٠٣,٦٥٧ |
| ١٠ | التجف وكربلاء | ٩٤,٠٠٧ |
| ١١ | القادسية وكربلاء | ١٣٧,٩٦٤ |
| ١٢ | بابل وكربلاء | ٧٦,٠٩٦ |
| ١٣ | واسط وكربلاء | ١٩٣,١٨٧ |
| ١٤ | المنثى وكربلاء | ١٩٩,٨٦٧ |
| ١٥ | ذي قار وكربلاء | ٢٨٨,١٥٧ |
| ١٦ | ميسان وكربلاء | ٣٢٨,٧١٣ |
| ١٧ | البصرة وكربلاء | ٤٢٨,٠٢٨ |

المصدر: حسابات الباحث باستخدام برنامج Arc GIS

الأثار الاجتماعية لزيارة الأربعين

طرح النبي الكريم ﷺ قيم العدل الاجتماعي وخطوطه العريضة ومبادئه على ثلاثة مستويات، قدّم لنا في أولها مبادئ ونظريات وقواعد يمكن للمشروع الإسلامي - كما حدث فعلاً - أن ينطلق منها ليُنشئ مبانٍ فقهية دقيقة وعميقة في ميدان العدل الاجتماعي، مستمداً قدرته على العمل من روح هذه المبادئ والنظريات والقواعد، ومهندساً اجتهاداته وفق مساراتها واتجاهاتها.

وفيما يخصّ الزيارة الأربعينية؛ فإنّها بأبعادها واتجاهاتها المختلفة ساهمت في تطبيق تلك المبادئ والنظريات والقواعد، وهناك عدة فوائد يمكن للمتبع والباحث تسجيلها من خلال المسيرة المليونية لزيارة الأربعينية استطعنا ملاحظتها من خلال المشاهدة والمعاينة والتحليل الموضوعي.

١. تحقيق المساواة

تُعَدّ المساواة بين الناس على اختلاف الأجناس والألوان واللغات، من المبادئ الأصلية في الشرع الإسلامي، ولم يكن هذا المبدأ على أهميته وظهوره قائماً في الحضارات القديمة، كالحضارة المصرية، أو الفارسية، أو الرومانية؛ إذ كان سائداً فيها تقسيم الناس إلى طبقات اجتماعية، لكلّ منها ميزاتها وأفضليّتها، أو على العكس من ذلك؛ تبعاً لوضعها الاجتماعي المتدنيّ.

ولقد كانت التفرقة بين البشر في المجتمعات القديمة، تستند إلى الجنس واللون، والغنى والفقر، والقوّة والضعف، والحرية والعبودية، وما زالت تلك التفرقة شائعة في بعض المجتمعات، بل إنّ بعضاً منها - كالمجتمع الهندي مثلاً - كان يُعرّف صنفاً من البشر بطائفة المنبوذين، وكان محرّماً على أفراد هذه الطبقة أن ينتقلوا منها إلى طبقة أعلى، حتى ولو كانت ملكاتهم تتيح لهم ذلك^(١). «ولم يكتفِ الإسلام بإقرار مبدأ

(١) أنظر: مفهوم المساواة في الإسلام. <https://alimam.ws/ref/1220>

المساواة نظرياً وحسب، بل أكدّه عملياً بجملة أحكام وتعاليم، نقلته من فكرة مجردة إلى واقع ملموس، من ذلك العبادات الشعائرية التي فرضها الإسلام، وجعلها الأركان العملية التي يقوم عليها بناؤه العظيم، من الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج^(١).

إنّ الطريق العامّ نحو كربلاء يحفل بجمع كبير من المؤمنين على اختلاف أجناسهم وأعراقهم ومهنهم وطبقاتهم الاجتماعية والاقتصادية، فلا فرق بين غني وفقير، فالجميع يرنو بعين التطلّع والشوق نحو قبلة الأحرار أبي عبد الله الحسين عليه السلام، وهذا الشعور بحدّ ذاته يجسّد هدفاً مهماً من أهداف الشريعة الإسلامية التي جاءت لتحقيق المساواة بين بني البشر، فلا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى. ومن هنا؛ فطريق الحسين هو طريق المساواة بين البشر.

٢. الشعور بأهمية الأهداف المشتركة التي تجمع المسلمين

إنّ التجمّع الكبير للمؤمنين، والشعور بوجود هدف سام وشخصية إسلامية تُعدّ امتداداً لرسول الإنسانية، وتُعدّ قدوة موحّدة لكلّ المسلمين، من الأمور التي تعزّز الوحدة الإسلامية. وهذا ما نجده في المسير إلى كربلاء الحسين عليه السلام؛ فهو يثير مشاعر الفخر والاعتزاز بالانتماء لشخصية إسلامية، يمكن النظر إلى الإسلام الحقيقي من خلالها، فالحسين عليه السلام المرأة الحقيقة للإسلام المحمدي الأصيل المنقّى من الشوائب؛ لذا فلا عجب أن يُحارب الحسين عليه السلام من قبل الفئات الضالّة والمنحرفة؛ لأنّه الترجمان الحقيقي للإسلام.

٣. تعزيز روح التضحية والفداء

ف«إنّ البشرية جمعاء، وعلى مدى العصور، وفي مختلف أنحاء الأرض، ومع تنوّع واختلاف مذاهبها ومشاربها ومعتقداتها، تُعظّم وتقُدّس المجاهد والمضحي والمقتول

(١) النابلسي، د. راتب، الإنسانية والمساواة في الإسلام:

والشهيد دفاعاً عن مقدّساته من الأرض والوطن والشعب والمعتقدات، وتُقَدّس مَنْ وقف في وجه الظالم دون أن يملك القوّة اللازمة المادّية لمواجهته حتى يُقتل، وتقيم لمثل هذا الشخص التماثيل، والاحتفالات السنوية بذكراه؛ حيث يعتبر عنواناً للحرية والكرامة بالنسبة لأُمّته، يُقتدى به، وتُسجّل بطولاته في تاريخ الأُمّة وتعلّمها للأجيال، حيث إنّ الأُمم تعتبر أنّ الوطن أمر يستحقّ أن يُقتل المرء لأجله، وتدعو أفراد هذا الوطن للتهيؤ والاستعداد لهذه التضحية العظيمة، وتعتبر أنّها السبيل الأسمى لتحقيق النصر وهزيمة العدو»^(١).

إنّ المسير إلى كربلاء يحمل في طيّاته مخاطر كبيرة في الوقت الحاضر، فالجموع المليونية المتّجهة نحو قبلة الشهادة هدف مهمّ للجماعات الإرهابية التي يسيل لعبها مع اقتراب أربعينية الإمام الحسين (عليه السلام)؛ لذا فالمسير نحو قبلة الشهادة يحمل في طيّاته عناوين الفداء وبذل النفس.

٤. العطاء المادي

لا يمكن لأيّة مؤسسة حكومية أن توفّر المأكل والمشرب والمبيت لملايين الزائرين المنتشرين على طرق مسافاتها مئات الكيلو مترات، مهما اجتهدت تلك المؤسسة وتعدّدت مصادرها المادّية، لكن الأمر مختلف تماماً بالنسبة لزائري الأربعين، فالطعام والشراب والمبيت متوفّر للجميع؛ ناهيك عن الخدمات الكمالية الأخرى التي ربّما لم تتوفّر للزائر في معظم أيام السنة. والمتبّع يرى آلاف المواكب على امتداد طريق العشق الحسيني من أقصى مناطق الجنوب وحتى قبلة العاشقين كربلاء الصمود.

٥. إشارة الرعب في نفوس المغرضين

إنّ ملايين الزائرين الموحدّين المتّجهين نحو هدف واحد، يُثير الرعب في نفوس

(١) دار الثقافة والإعلام، الجهاد والتضحية والشهادة عوامل تعيّد طريق النصر:

<https://alwelayah.net/post/print/38387>

الأعداء، ويبعث لهم رسالة مهمّة مفادها: أنّ المسلمين كالبنيان المرصوص، وأنّ محبّي آل البيت عليهم السلام وإن اختلفوا في جزئيات الأمور إلّا أنّ مشتركاتهم أكبر وأعظم، وأنّ الإسلام المحمدي الأصيل وإن قلّت أعوانه فهو باقٍ على امتداد الزمن. ولا شكّ في أنّ هذا الذعر والخوف من تلك التجمّعات المليونية يمكن رصده من خلال التجاهل المتعمّد لتلك الزيارة التي لا تضاهيها أيّة زيارة أو تجمّع عالمي أو عربي أو إقليمي، وهو ما أشارت إليه بعض المؤسّسات العالمية غير الحكومية.

٦. فوائد اجتماعية أخرى

قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسَ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾^(١).

إنّ المتبّع للزيارة الأربعينية يلحظ فوائد اجتماعية متعدّدة، فهناك مشاريع للزواج والتعارف بين الأسر من مناطق متعدّدة، وهناك مشاريع عمل واستثمارات، ولا يقتصر التعارف على أبناء البلد الواحد؛ فهناك العديد من الزائرين من الدول العربية والإسلامية، وهو أمر يدعو إلى امتزاج الثقافات والمعارف.

٧. العمل

اتّصف الإسلام بشمولية عقيدته واهتمامها بكلّ جوانب الحياة، وإذا ألقينا نظرة عامّة على الدعوة الإسلامية، لوجدنا أنّ العمل يمثل المحور الدائم لها، بل هو جوهرها، وما من أمر حثّ عليه القرآن وجعله في أرفع درجة بميزان المسلم أعظم من العمل، فالعبادة عمل دائم، والعبادات جميعها قائمة على العمل سعياً لمرضاة الله، فالصلاة والصوم والزكاة والجهاد في سبيل الله، كلّها أعمال تحتاج إلى الصبر وبذل الجهد وجهاد النفس.

ورغم أنّ العمل قاعدة فطرية؛ حيث إنّ الإنسان مدفوع بطبيعته وغريزته إلى

(١) الحجرات: الآية ١٣.



أن يحفظ ذاته ليعيش، إلا أن الإسلام بعظمته جاء ليُقرن عمل الدنيا بثواب الآخرة، فحثّ على إعمار الأرض، وطلب الرزق، وجعل ذلك سبباً لنيل الثواب والمكانة في الآخرة؛ بذلك يكون الإسلام قد اهتمّ بالعمل بكلّ المفهومين الاقتصادي والديني. وتأسيساً على ما تقدّم؛ فالزيارة الأربعينية توفر فرص عمل متعدّدة، لا سيّما في مجال الاستثمار السياحي، وأنّ هذه الفرص تتناسب مع ارتفاع عدد الزائرين، الأمر الذي يُسهم في تخفيف حدة البطالة.

٨- التعايش المجتمعي

إنّ زيارة الأربعين هي عنوان التعايش المجتمعي، فالناس بمختلف جنسيّاتهم يتّجهون نحو مكان واحد، إلى كربلاء المقدّسة، لا تفرّق بينهم الخلافات السياسية ولا القومية ولا الحزبية، يعرفون أنّ هدفهم الأكبر هوري الأرواح بالحبّ والتسامح فيما بينهم.

في زيارة الأربعين أنموذج حي للتعاون، وفيها تكسر كلّ الحواجز بين الطبقات الاجتماعية، فتجد الأستاذ الجامعي يسقي الزائرين الماء مع الطفل الصغير، والشيخ العجوز مع الشباب، كلّهم يتسابقون لتقديم الخدمة للزوّار وغير الزوّار. وفي أيّام شهري محرّم وصفر تُطرق أبواب البيوت لتقديم الطعام المجّاني تعبيراً عن حبّ الحسين (عليه السلام) والتزاماً بنهجه الذي أراد به إعادة الأُمّة إلى مسارها الصحيح، فهذه الممارسات والتقاليد الاجتماعية التي نراها في هذه المدّة الزمنية القصيرة تشدّ المجتمع إلى بعضه، وترتقي به إلى حيث الأهداف السامية للدين الإسلامي.

إنّ زيارة أربعينية الإمام الحسين (عليه السلام) تحمل في طيّاتها مضامين وأبعاداً سياسية ودينية واجتماعية؛ إذ تُعدّ زيارة الحشود المليونية لقبلة الأحرار الإمام الحسين (عليه السلام) منبراً حراً لأحرار العالم لاستلهم العبر ورفض الظلم، وإعلاء كلمة الحقّ في وجه الظالم والطغاة، وإحقاق الحقّ.

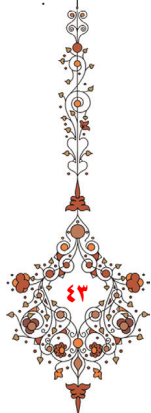
وإضافة لتلك الأبعاد؛ فإنَّ أربعينية الإمام الحسين عليه السلام تحمل كمًّا هائلاً من القيم الدينية والمبادئ الإنسانية السامية، من أهمّها إذابة الفوارق الطبقية في المجتمع، حيث نجد الحشود المليونية جميعاً تذوب في حبِّ الإمام الحسين عليه السلام من أجل خدمة الزائرين دون فرق بين زائر وآخر، وتقدّم كلّ ما لديها إرضاءً لضيوف الإمام الحسين عليه السلام. وحتى الزائرون - بعضهم مع بعض، سواء الكبير أم الصغير، والعراقي أم الذي هو من بلد آخر - يجمعهم حبُّ الإمام الحسين عليه السلام.

وكذلك نجد أنّ من الأهداف المباركة لهذه الزيارة تكريس ثقافة التواضع والتكافل الاجتماعي، والعمل الطوعي لفرق الشباب في إرشاد الزائرين أو توعيتهم؛ لتلافي أيّ ظواهر تؤثّر على الزيارة، أو القيام بحملات التنظيف، وهذه حالات إيجابية تنعكس على روحية الزائرين والمضيف المستقبل لهم؛ لبناء مجتمع متماسك يتحلّى بالقيم الإنسانية السامية، وبالتالي خلق جيل واعٍ محبّ لوطنه رافضٍ للظلم والظالمين والفسادين.

ويمكن استثمار زيارة الأربعين في بثِّ قيم التسامح التي بشرت بها الرسالة المحمدية، والتذكير بمآثر أهل البيت عليهم السلام بالعفو والصفح وقدرتهم على تحقيق التكافل بين أبناء الأمة الإسلامية، وتبقى تجارب أربعينية الحسين عليه السلام موضع فخر فيما يتعلّق بما يُبذل فيها من عطاء وتضامن اجتماعي للفقير ودونه من الناس، فلا يُسأل مَنْ يأتي إلى المواكب: هل أنت من الشيعة أم لا؟ حتى يُسمح له بالأكل والشرب فيها، وإنّما يُلحّ على الناس من أجل التوقّف في هذه المواقع من دون معرفة خلفيّاتهم المذهبية أو الدينية. والأمر الأهمّ هو ضرورة الاستفادة من هذه الزيارة في تعزيز الحوار بين المختلفين داخل البيت العراقي السياسي.

٩. القضاء على التمييز العنصري

إنّ التمييز العنصري على أساس اللون والعرق والجنسية والانتفاء الفكري



والديني يُعدّ من أبرز اللعنات التي أصابت المجتمع البشري بصورة عامّة شرقاً وغرباً، حتّى أنّ الدول الحديثة بالرغم من تسارع عجلة التقدّم والتطوّر فيها، ورغم ما شرّعه من قوانين للحيلولة دون هذا التمييز، لا تزال نشرات الأخبار تطلّ علينا بين الفينة والأخرى - بالرغم من التكتّم الإعلامي الشديد - بأحداث مروعة من عنف مادّي ومعنوي فيها؛ بسبب العنصرية.

ولكنّ زيارة الأربعين بما تستمدّه من الإمام الحسين (عليه السلام) من قيم دينية، ومبادئ إنسانية، ورصيد فكري رصين، كرّست من نشر ثقافة المساواة والتواضع والتذكير بالأخوة الإنسانية عامّة والإسلامية خاصّة، فتمكّنت من القضاء على التمييز العنصري بإذابة جميع الفوارق العنصرية بين الحشود المليونية الزاحفة إلى كربلاء؛ إذ تجد فيهم شتى الجنسيّات والقوميّات والأديان والاتّجاهات الفكرية، كما تجد فيهم الأسود والأبيض، فكلّهم متساوون في (الملبس، الطعام، المجلس، المنام، الخدمة...)، بل يسير بعضهم إلى جنب بعض في أجواء مفعمة بالأخوة والمحبة ونسيان الذات، وكأنّهم تخلّوا عن جميع الفوارق، وانتزع الغلّ من قلوبهم بمجرد أن وضعوا أقدامهم على طريق كربلاء، حتّى يبلغ ذلك ذروته عندما تجد أنّ هذه القوميّات والأعراق والألوان كلّ منها يفتخر بأن يكون خادماً للآخر بروح ملؤها المحبة والعطاء^(١).

الخاتمة

١. أولى الأئمة المعصومون (عليهم السلام) زيارة قبر الإمام الحسين (عليه السلام) عناية كبيرة واهتماماً خاصّاً من خلال منظومة من الأحاديث، وحثوا شيعتهم على إداء هذه الشعيرة المقدّسة والتأكيد عليها في كثير من الموارد.
٢. قدّر الباحث الحدّ الأدنى لحجم الزيارة الأربعينية من مناطق الوسط والجنوب

(١) أنظر: مركز الإمام الشيرازي، رسالة الأربعين: بالحسين (عليه السلام) نتوحد ونرتقي.

بحوالي اثني عشر مليون نسمة إذا اعتبرنا أن نصف الحجم السكاني للمحافظة يؤدي الزيارة الأربعينية، وهو تقدير أقرب إلى الحقيقة.

٣. من خلال ملاحظة الباحث وقراءته للواقع، يتضح جلياً أن طريق الحسين هو طريق المساواة بين البشر، وهناك فوائد وإيجابيات روحية واجتماعية واقتصادية ونفسية عديدة.

٤. هناك العديد من المستوطنات البشرية التي نمت وتطوّرت بفعل وقوعها على الطرق الرئيسة التي تصل إلى كربلاء.

٥. يوصي الباحث بإنشاء محطات خدمية في المناطق الصحراوية البعيدة عن المراكز الحضرية، ويتطلب الأمر أيضاً إنشاء طرق خدمية؛ بغية المحافظة على أرواح الزائرين وعدم التأثير على سير المركبات.

المصادر المراجع

١. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، العلامة محمد باقر المجلسي (ت ١١١١هـ)، تحقيق: محمد مهدي السيّد حسن الموسوي الخرسان، السيّد إبراهيم الميانجي، محمد الباقر البهودي، مؤسّسة الوفاء، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

٢. تاريخ مدينة دمشق، علي بن الحسن المشهور بابن عساكر (ت ٥٧١هـ)، تحقيق: علي شيري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.

٣. تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، محمد بن الحسن الحرّ العاملي (ت ١١٠٤هـ)، تحقيق ونشر: مؤسّسة آل البيت (عليه السلام) لإحياء التراث، قم المقدّسة، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.

٤. الجغرافية الاجتماعية مبادئ وأسس وتطبيقات، باسم عبد العزيز العثمان وحسين

- عليوي ناصر الزيايدي، دار الوضّاح للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠١٤ م.
- ٥ . جغرافية السكّان وأسسها الديموغرافية العامّة، فتحي محمد أبو عيانة، دار الجامعات المصرية، ١٩٧٧ م.
- ٦ . جغرافية السكّان، فوزي عيد سهاونة وموسى عبودة سمحة، مراجعة وإشراف: فوزي سهاونة، دار وائل للنشر والتوزيع، ٢٠٠٣ م.
- ٧ . الجهاز المركزي للإحصاء، بيانات البطاقة التموينية لعام ٢٠١٦ م، جمهورية العراق/ وزارة التخطيط.
- ٨ . خريطة العراق الإدارية بمقياس ١:١٠٠٠٠٠٠، جمهورية العراق، الهيئة العامّة للمساحة/ قسم إنتاج الخرائط، بغداد، ٢٠١١ م.
- ٩ . الدوحة.. المدينة الدولة - دراسة اجتماعية ميدانية، محمود فهمي الكردي وآخرون، مركز الوثائق والدراسات الإنسانية، جامعة قطر، ١٩٨٥ م.
- ١٠ . علم الاجتماع الديني، محمد أحمد بيومي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٩ م.
- ١١ . كامل الزيارات، جعفر بن محمد بن قولويه القمّي (ت ٣٦٧ هـ)، تحقيق: الشيخ جواد القيّومي، مؤسّسة نشر الفقاهة، قم المقدّسة، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ.

مسيرة زيارة الأربعين وأثرها في ترسيخ العقيدة الإسلامية

الدكتور محمد صدقي

عضو الهيئة العلمية في جامعة العلامة الطباطبائي / إيران

ترجمة: الشيخ علي ماجد البدرابي

شعبة الترجمة

مؤسسة وارث الأنبياء للدراسات التخصصية في النهضة الحسينية، العراق

The Arbaceen Ziyara and Its Role in Strengthening Islamic Beliefs

Dr. Muhammad Sedghi

Faculty Member, Allameh Tabataba'i University, Iran

Translated by: Shaykh Ali Majed al-Badrawi

The Department of Translation – The Wartih al-Anbiya Institute for
Specialized Studies on the Uprising of Imam al-Husayn (PBUH) / Iraq

ملخص البحث

إنّ ما تمّ الحديث عنه في المصادر الدينية أنّ زيارة الإمام الحسين عليه السلام في العشرين من صفر (زيارة الأربعين) من علامات الإيمان، وأفضلية الإتيان بها سيراً على الأقدام، بينما لم تتحدّث تلك المصادر عن ذلك في زيارة أيّ معصوم آخر حتى النبي صلى الله عليه وآله؛ فإنّه يُحكى عن أنّ المسير في زيارة الأربعين - وبشهادة المصادر - فيه حكمة خاصّة لا توجد في زيارات المعصومين الآخرين عليهم السلام؛ وذلك أنّ أحكام الدين معلّلة بالأغراض ولا تأتي من دون دليل.

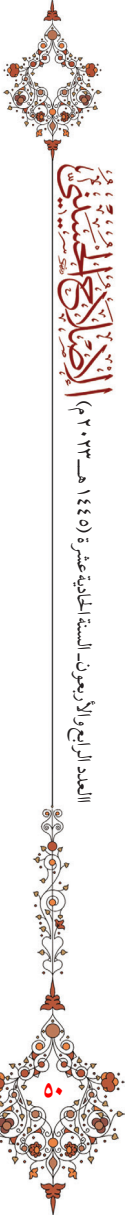
هذا التحقيق سيسير على وفق المنهج الوصفي - التحليلي، ويتّبع الأسلوب المكتبي، ويحاول أن يدرس حكمة التأكيد على مسيرة زيارة الأربعين في المصادر الدينية.

هذا؛ وقد توصل البحث إلى أنّ الدين الإسلامي بما أنّه قد تضرّر بشكل كبير بسبب حكم معاوية ويزيد، وتمّ تحريفه عن طريقه؛ فإنّ نهضة كربلاء قد انطلقت لإحياء الإسلام وإنقاذه من التحريف، والوقوف بوجه حكومة النفاق والظلم الأموي، وأنّ شهادة الإمام عليه السلام وأصحابه، وأسر أهل بيته عليهم السلام قد أسقطا القناع عن الوجه الأموي المنافق، ومهدّا الأرضية لذلك الإنقاذ.

لذا؛ فإنّه من الضروري أن يتمّ تهيئة مناخ معيّن يساعد على استمرار عقيدة النهضة الحسينية من أجل إنقاذ الإسلام؛ ومن هنا فإنّ الأئمة عليهم السلام باعتبارهم حفظة الدين، ومن خلال شعورهم بهذه الحاجة، وللحيلولة دون قيام بني أمية، أو بني العباس، أو الظلمة في المستقبل بالقضاء على نهضة كربلاء، أكّدوا ضرورة وجود حاجة لعامل يحافظ على استمرارية المبادئ العقيدية في نهضة كربلاء، ومن خلال التفاتهم عليهم السلام إلى كمالية مفهوم زيارة الأربعين وفعاليتها، أكّدوا المسير في زيارة الأربعين عند ارتفاع

الشمس؛ وبهذا الشكل أصبحت هذه الزيارة عاملاً لحفظ المفهوم العقدي الذي لن يسمح لأي آفة من أن تمس نهضة كربلاء - وما تمثله من امتداد للإسلام المحمدي الأصيل - بسوء.

الكلمات المفتاحية: السير على الأقدام، الزيارة، الأربعين، الإمام الحسين عليه السلام، نهضة كربلاء.



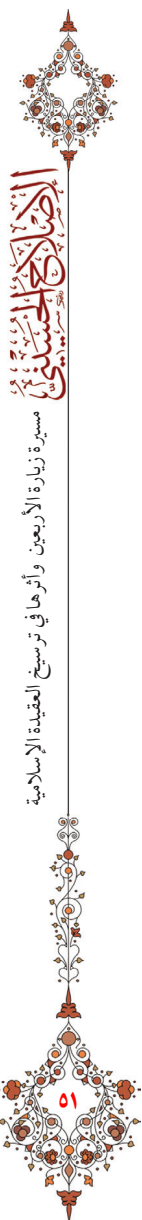
Abstract

Religious texts highlight that visiting Imam al-Husayn (PBUH) on the 20th of Safar, known as the Arbaeen Ziyara, is a profound expression of faith, and that performing this Ziyara on foot is emphasized and preferred. However, this practice is not similarly stressed for visiting other infallible figures, not even the Prophet (PBUH&HF). This unique focus suggests – supported by the religious texts – that walking during the Arbaeen Ziyara carries a deeper wisdom, one that sets it apart from other visits to infallibles (PBUT).

This study takes a descriptive analytical approach, drawing on library research, to explore why religious sources place such importance on walking during the Arbaeen Ziyara. The findings reveal that Islam faced severe distortion under the rule of Muawiya and Yazid, and was deviated from its path. The Karbala uprising emerged as a powerful response, aiming to revive and save Islam from this corruption and to confront the hypocrisy and oppression of the Umayyad regime. The martyrdom of Imam al-Husayn (PBUH), his loyal companions, and the captivity suffered by his family, exposed the true nature of the hypocrite Umayyads and laid the foundation for Islam's salvation.

To ensure the enduring impact of the movement of Imam al-Husayn (PBUH) and to principles and to safeguard Islam, it was essential to create an environment that would preserve its ideological foundations. Recognizing this, the Imams (PBUH), as the guardians of the faith, emphasized the act of walking during the Arbaeen Ziyara when the sun rises. They understood that this ritual would serve as a powerful means of preserving the ideological essence of the Karbala uprising, which embodies the pure, unaltered Islam of Prophet Muhammad (PBUH). By institutionalizing this practice, they created a lasting safeguard against any future attempts by oppressors – whether Umayyad, Abbasid, or others – to distort or erase the legacy of Karbala.

Keywords: walking on foot, Ziyara, Arbaeen, Imam al-Husayn (PBUH), Karbala uprising.



مقدمة

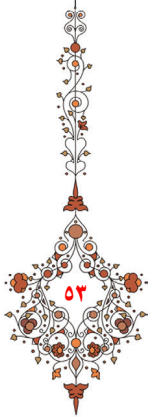
عرض الموضوع

تُعتبر زيارة المعصومين عليه السلام مستحباً مؤكداً من وجهة نظر المصادر الدينية، وجاء فيها الكثير من التوصيات في هذا الصدد، وخاصة فيما يتعلق بزيارة أبي عبد الله الحسين عليه السلام في مختلف المناسبات، حيث جعلت لكل خطوة في زيارته عليه السلام ثوابات مهمّة وعديدة، بل جعلت زيارته يوم الأربعاء من حين شهادته عليه السلام علامة من علامات الإيمان^(١).

من الواضح أنّ التعبير عن زيارة الأربعين بأنّها علامة على الإيمان، وأنّ كلّ شخص يريد أن يُظهر مدى إيمانه عليه أن يسعى للقيام بها، ما هو إلاّ زيادة تأكيد على أدائها.

ومن جانب آخر؛ فقد ورد أنّ أرجح صور القيام بزيارة الأربعين هو أن تتمّ مشياً على الأقدام، وذلك عند ارتفاع الشمس في ذلك اليوم، وهذا التأكيد يؤدّي إلى السؤال التالي: ما هي الحكمة من زيارة الأربعين في علم الله تعالى حتى يؤكّدها بهذا الشكل؛ في حال أنّ محتوى زيارة الأربعين ليس سوى مجموعة جُمِلت الإشارة فيها إلى أهداف نهضة كربلاء، وهي تشابه - تقريباً - ما ورد في سائر زيارات الإمام الحسين عليه السلام؟! وعليه؛ فإنّ السؤال في هذا البحث هو: أنّه مع ما نراه من التأكيد على زيارة الإمام الحسين عليه السلام في مناسبات عديدة، فما الحكمة في جعل زيارة الأربعين هي العلامة على الإيمان، وكذلك أفضلية الإتيان بها سيراً على الأقدام، بينما لا نرى هذا التأكيد في زيارات المعصومين عليه السلام؟

(١) الطوسي، محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام: ج ٦، ص ٥٢.



- ومن أجل الوصول إلى الجواب عن هذا التساؤل، علينا أن ندقق في المسائل التالية:
- ١ . المنزلة الإلهية للإمام الحسين عليه السلام وزيارة الأربعين.
- ٢ . تاريخ ظهور زيارة الأربعين للإمام الحسين عليه السلام.
- ٣ . استخدام عبارة (الأربعين) في النصوص الدينية.
- ٤ . سبب التأكيد على زيارة الأربعين للإمام الحسين عليه السلام دون سائر الأئمة المعصومين عليهم السلام.
- ٥ . أهداف النهضة الحسينية في زيارة الأربعين.
- ٦ . مسائل أخرى.

سابقة البحث

هناك كتابات متنوعة عن زيارة الإمام الحسين عليه السلام في الأربعين، نُشير إلى نماذج منها:

- ١ . تحقيق حول أول أربعين لسيد الشهداء عليه السلام، مؤلفه الشهيد محمد علي القاضي الطباطبائي رحمته الله ^(١).
- ٢ . الأربعين في ثقافة الشيعة، تأليف مرتضى مهدي يگانه ^(٢).
- ٣ . من عاشوراء حتى الأربعين، تأليف محمد سرخوش ^(٣).
- ٤ . الأربعون، تأليف رسول جعفریان ^(٤).
- ٥ . رسالة في الأربعين، تأليف مجيد جعفر پور ^(٥).

(١) تحقيق در باره اولین اربعین سید الشهداء عليه السلام (تحقيق حول أول أربعين لسيد الشهداء عليه السلام)، تأليف الشهيد محمد علي القاضي الطباطبائي رحمته الله.

(٢) اربعین در فرهنگ شیعه (الأربعين في ثقافة الشيعة)، تأليف مرتضى مهدي يگانه.

(٣) از عاشورا تا اربعین (من عاشوراء حتى الأربعين)، تأليف محمد سرخوش.

(٤) اربعین (الأربعون)، تأليف رسول جعفریان.

(٥) درسنامه اربعین (رسالة في الأربعين)، تأليف مجيد جعفر پور.

٦ . مضافاً إلى كتب ومقالات أخرى متعدّدة.

ولكنّ المؤلّف - ومع سعة تقصّيه - لم يجد ما يتعلّق بموضوع هذا المقال (حكمة السير في زيارة الأربعين). وبمعونة الله سبحانه وتعالى وعنايات الإمام الحسين عليه السلام نأمل أن يتمّ الجواب عن سؤال بحثنا بشكل مقنع.

معرفة المفاهيم

١. الزيارة

الزيارة في اللغة: هي اللقاء الحضوري^(١).

ويقول الطريحي: هي بمعنى القصد، والزائر يقصد الإمام عليه السلام ويلتجئ إليه^(٢). وعليه؛ فإنّ الزائر من خلال فعله الذي يقوم به يريد أن يُظهر قبوله لفعل المزور وموافقته عليه، ومن أجل أن يوصل هذا المعنى يأتي إليه ليلاقيه بنفسه.

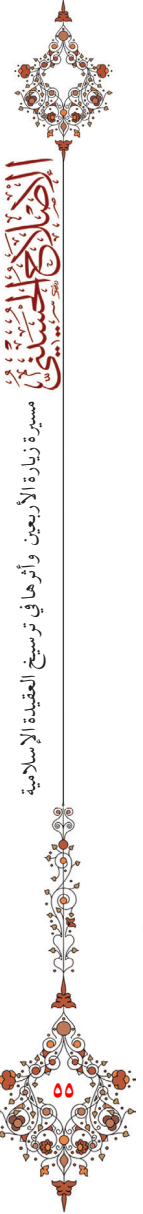
٢. مصطلح الأربعين

المراد من (الأربعين) في اللغة هو العدد أربعون؛ وعليه فالمقصود من يوم الأربعين - في مجال بحثنا - هو مضي أربعين يوماً على شهادة الإمام الحسين عليه السلام. إنّ مصطلح (الأربعين) جاء استعماله الديني للدلالة على مفهوم الوصول إلى حدٍّ معيّن وكامل، بمعنى أنّه حينما يصل الأمر إلى الأربعين يتعلّق به حكم خاصّ ويثبت له، فعلى سبيل المثال قال رسول الله ﷺ: «مَنْ حَفِظَ عَنِّي مِنْ أُمَّتِي أَرْبَعِينَ حَدِيثًا كُنْتُ لَهُ شَفِيعًا»^(٣)؛ فإنّه على أساس هذا الحديث يكون الوصول إلى شفاعته النبي الأكرم ﷺ بعد حفظ الحديث الأربعين، وإلاّ فإنّ الشخص لا يستحقّ هذه الشفاعة قبل ذلك.

(١) الراغب الإصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن: مادة زور.

(٢) الطريحي، مجمع البحرين: مادة زور.

(٣) الجوهرى البصري، أحمد، مقتضب الأثر في النصّ على الأئمة الاثني عشر: ص ١٢.



وعليه؛ فإن كلمة (أربعين) - في هذا الحديث والعديد من أمثاله - تشمل ذلك المقدار الذي يكون فيه إكمال النصاب؛ وعليه يبدو أن زيارة الأربعين تُعتبر المكمل للمبادئ العقديّة لنهضة كربلاء.

المكانة الإلهية للإمام الحسين عليه السلام وزيارة الأربعين

إنّ المكانة الإلهية للإمام الحسين عليه السلام وفضائله ومناقبه، وكذلك مصائبه التي وردت في النصوص الدينية، جاءت بشكل لا يمكن أن يُكتب فيها أو في فهمها أو بيانها بسهولة، ولكن يظهر منها جميعاً - وبشكل واضح - أنّ وجود الإمام عليه السلام وما صدر منه من أفعال كانت جميعها في طريق إحياء دين جدّه (الإسلام) وحفظه، «...وأني لم أخرج أشراً ولا بطراً، ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي ﷺ»^(١).

لذا؛ فقد تبوّأ الإمام عليه السلام عند الله مكانة خاصّة حتى اختصّ عليه السلام بزيارة عاشوراء، وزيارة الأربعين، وزيارات أخرى متعدّدة، وصار وجوده الشريف سبباً للكثير من البركات، فعلى سبيل المثال قال رسول الله ﷺ: «إنّ الحسين بن علي في السماء أكبر منه في الأرض»^(٢).

وعلى هذا الأساس؛ اعتبر الله تعالى ورسوله ﷺ جميع حركات الإمام الحسين عليه السلام تصبّ في سبيل الله، فجاء الثناء عليها، وبيان ما للإمام عليه السلام من الفضائل التي لا تُحصى. وعليه؛ ومن أجل ألا تبقى مساعي الإمام عليه السلام ناقصة أو غير مكتملة، فقد خُصّصت له زيارات متعدّدة وفي أماكن مختلفة، بل صارت زيارة أربعينه عليه السلام علامة من علامات الإيمان. وسوف نُشير إلى نماذج من فضائله العديدة التي جاءت في المصادر المعتمدة من الفريقين:

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٣٢٩.

(٢) الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات: ج ٢، ص ٤.

أ) قال رسول الله ﷺ: «حسين مني وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسيناً»^(١)، فإنَّ (وأنا من حسين) بمعنى بقاء النبوة والإسلام بالحسين ﷺ.

ب) عند ذكر الرسول الأكرم ﷺ المصائب التي سوف تُصَبُّ على الإمام الحسين ﷺ - والإمام ﷺ لا يزال في أيام طفولته - وبيان حزنه وجزعه الشديدين عليه، قال ﷺ: «يقتله شرار أمتي وفسقتهم»^(٢). ومن الواضح أنَّ الشهيد هو من يُقتل في سبيل الله، ومن أجل الدفاع عن عقيدة الإسلام.

ج) عن أبي عبد الله الصادق ﷺ أنَّه قال لأعرابي قدم من اليمن لزيارة الإمام الحسين ﷺ: «ما ترون في زيارته؟ قال: إنا نرى في زيارته البركة في أنفسنا، وأهالينا، وأولادنا، وأموالنا، ومعاشنا، وقضاء حوائجنا. قال: فقال له أبو عبد الله ﷺ: أفلا أزيدك من فضله فضلاً يا أخا اليمن؟ قال: زدني يا ابن رسول الله. قال: إنَّ زيارة أبي عبد الله ﷺ تعدل حجة مقبولة متقبلة زكية مع رسول الله ﷺ، فتعجب من ذلك! فقال له: أي والله، وحجتين مبرورتين متقبلتين زاكيتين مع رسول الله ﷺ. فتعجب! فلم يزل أبو عبد الله ﷺ يزيد حتى قال: ثلاثين حجة مبرورة متقبلة زكية مع رسول الله ﷺ»^(٣).

د) عن الإمام الرضا ﷺ: أنَّ النبي إبراهيم ﷺ بواسطة حزنه على شهادة الإمام الحسين ﷺ، استحصل الثواب على ذبح إسماعيل^(٤). وغيرها روايات كثيرة أخرى.

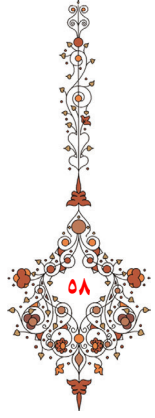
وعلى هذا الأساس؛ فحتى أولئك الذين لا يعتقدون بكون الإمام ﷺ إماماً معصوماً، فإنَّهم يُقبِّحون فعل يزيد بقتله الإمام ﷺ وأصحابه، ويعتبرونه يستحقُّ اللعن الإلهي على ذلك، فعلى سبيل المثال: هذا مؤلَّف كتاب (شذرات الذهب) الذي يُعتبر من علماء السنة، بعد نقله للعن الصريح أو التلميح للعديد منهم في يزيد،

(١) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج ٢، ص ١٢٧.

(٢) المصدر السابق: ص ٤٨٧.

(٣) الحرَّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ١٤، ص ٤٥٠، ح ١٣.

(٤) الفيض الكاشاني، محمد محسن، تفسير الصافي: ج ٤، ص ٢٧٩.



يقول في هذه المسألة [عند نقله كلام التفتازاني]: «اتَّفَقُوا على جواز اللعن على مَنْ قتل الحسين، أو أمر به، أو أجازه، أو رضي به، قال: والحقُّ أنَّ رضا يزيد بقتل الحسين واستبشاره بذلك وإهانته أهل بيت رسول الله صَلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم، ممَّا تواتر معناه وإن كان تفصيله آحاداً، قال: فنحن لا نتوقَّف في شأنه، بل في كفره وإيمانه، لعنة الله عليه وعلى أنصاره وأعوانه»^(١).

يقول الآلوسي - وهو أحد مفسري أهل السنَّة - ضمن نقله لإثبات لزوم لعن يزيد من القرآن عن أحمد بن حنبل: يجب عدم التوقُّف في لعن يزيد؛ ذلك أنَّه وبالنظر إلى ما قام به من أعمال، فإنَّه لم يكن مؤمناً برسول الله ﷺ... وفي طول مدَّة حكمه ارتكب الكبائر من الذنوب. ويقول الآلوسي مستطرداً: إنَّه يلحق في اللعن على يزيد ابن زياد، وابن سعد، وجماعة أخرى أيضاً^(٢).

مضافاً إلى ذلك؛ فإنَّ كبار علماء أهل السنَّة نقلوا العديد من تصريحات رسول الله ﷺ في فضائل الإمام الحسين عليه السلام، مثل:

١. «مَنْ أَحَبَّ الحسَن والحسين فقد أَحَبَّنِي»^(٣).

٢. «حسين مِنِّي وأنا من حسين»^(٤).

وغيرهما من الروايات النبوية.

(١) ابن العماد الحنبلي، عبد الحي، شذرات الذهب في أخبار مَنْ ذهب: ج ١، ص ٦٨.
(٢) الآلوسي، محمود بن عبد الله، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم: ج ١٣، ص ٢٢٧-٢٢٩، وج ٣، ص ٣٥٨.

(٣) ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق: ج ١٤، ص ١٥٢-١٧٦. الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي: (مناقب الحسين)، ح ٣٧٧٥. وفي طبعة أخرى: ح ٤١٤٤. القاضي المغربي، النعمان بن محمد، شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار عليه السلام: ج ٣، ص ٧٦.

(٤) الترمذي، سنن الترمذي، محمد بن عيسى: (مناقب الحسين)، ح ٣٧٧٥. المتقي الهندي، علي بن حسام الدين، كنز العمال: ح ٣٤٢٦٤. القاضي المغربي، النعمان بن محمد، شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار عليه السلام: ج ٣، ص ١١٢. الإربلي، علي بن عيسى، كشف الغمّة في معرفة الأئمة: ج ٢، ص ٦. ومصادر أخرى.

مسيرة زيارة الأربعين في التاريخ

إنّ المشي في زيارة الأربعين - وبشهادة التاريخ - كان منذ الأربعين الأولى بعد شهادة الإمام الحسين عليه السلام، حيث ورد:

(أ) مسير صحاب النبي صلى الله عليه وآله المعروف جابر بن عبد الله الأنصاري في أول أربعين لشهداء كربلاء، وهي حادثة معروفة، حيث جاء مع مجموعة من بني هاشم وغيرهم من المدينة إلى كربلاء؛ لزيارة قبر الإمام الحسين عليه السلام في أول أربعين^(١). وقد جاء بآداب الزيارة الخاصة؛ فإنّه مضافاً إلى الغسل والطهارة اللذين وردا في آداب زيارات المعصومين عليهم السلام، قام بارتداء ثياب تشبه ثياب الحجيج، ثم توجه نحو المرقد الطاهر سيراً على الأقدام، وهو يسير بخطى قصيرة، ويظهر عليه الحزن، ثم قال: سمعت من حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: ثواب كلّ خطوة يرفعها ويضعها زائر الإمام الحسين عليه السلام تعدل حجة وعمرة مقبولة^(٢).

وعليه؛ فإنّه ومنذ الأربعين الأولى لشهادة الإمام عليه السلام تحققت زيارة الأربعين سيراً على الأقدام بفعل محبي الإمام الحسين عليه السلام وشيعته.

(ب) مضافاً إلى إقامة الأئمة عليهم السلام لمجالس العزاء على جدّهم عليه السلام، فقد كانوا يشجّعون الناس على زيارته عليه السلام في مختلف المناسبات، وخاصة في زيارة الأربعين. لذا؛ فإنّ محبي أهل البيت عليهم السلام وتأسياً بأئمتهم والعمل بوصاياهم، كانوا يقومون بزيارة أبي عبد الله الحسين عليه السلام، وبالخصوص زيارة الأربعين منذ شهادته عليه السلام^(٣).

كتب القاضي الطباطبائي في هذا الصدد: إنّ حركة الشيعة نحو كربلاء في الأربعين من أجل زيارة الإمام الحسين عليه السلام، كانت متداولة منذ عهد الأئمة عليهم السلام؛ فإنّه بالرغم من كون الزيارة في عهدي بني أمية وبني العباس كانت محاطة بالأخطار على

(١) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ١٩٧.

(٢) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ١٥١، وص ١٧٧.

(٣) القمي، عباس، مفاتيح الجنان، ص ٣٨٢، أعمال يوم العشرين من صفر.



الأنفس والأموال، لكن الشيعة كانوا ملتزمين بها آنذاك^(١).

مضافاً إلى ذلك؛ فإن السير إلى زيارة الأربعين عند الشيعة ومحبي أهل البيت عليه السلام يُعتبر عملاً يتبعون به ما قامت بفعله السيّدة زينب عليها السلام بطلة كربلاء؛ فإنّها - وبحسب النصوص التاريخية - بعد ذهابها مع سبايا أهل البيت عليه السلام إلى الشام، وفي طريق عودتها إلى المدينة، جاءت في مثل هذا اليوم إلى زيارة قبر أخيها الحسين عليه السلام والشهداء من أصحابه، فالتقت في تلك الأثناء بالصحابي جابر الأنصاري.

الأهداف من السير في زيارة الأربعين

مع أنّ نصّ زيارة الأربعين لا يختلف في الكثير من عباراته عن زيارات الإمام الحسين عليه السلام الأخرى، ألاّ أنّها وفي بعض العبارات التي تتبيّن فيها بعض أهداف نهضة كربلاء، تحظى بأهميّة خاصّة، حيث يقول الإمام الصادق عليه السلام في تلك العبارات: «... وبذل مهجته فيك؛ ليستنقذ عبادك من الجهالة وحيرة الضلالة، وقد توازر عليه من غرته الدنيا، وباع حظّه بالأرذل الأدنى...»^(٢).

الجهالة والضلالة المذكورتان اللتان حصلتا في ذلك العصر كانتا - وبحسب بيان أمير المؤمنين علي عليه السلام - عبارة عن أنّ المنافقين الذين كانوا في عصر النبي وبعد وفاته عليه السلام قد توغلوا في الحكومة، وبدؤوا بإعطاء إعاقاتهم للأُمور صفة رسمية، حتى قيل فيهم: «... فوالذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، ما أسلموا ولكن استسلموا وأسرّوا الكفر، فلمّا وجدوا أعواناً عليه أظهره»^(٣).

(١) القاضي الطباطبائي، محمد علي، تحقيق درباره اربعين اول (تحقيق حول أول أربعين لسيّد الشهداء): ص ٢.

(٢) الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتهجّد: ص ٧٨٨. الطوسي، محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام: ج ٦، ص ١١٣. ابن طاووس، علي بن موسى، إقبال الأعمال: ج ٣، ص ١٠٢. ومصادر أخرى.

(٣) نهج البلاغة، تحقيق (صباحي صالح): ص ٣٧٤، الرسالة ١٦.

كما يقول الإمام عليه السلام في كتاب له إلى معاوية: «وما أسلم مسلمكم إلا كرهاً، وبعد أن كان أنف الإسلام كله لرسول الله صلى الله عليه وآله حزباً»^(١).

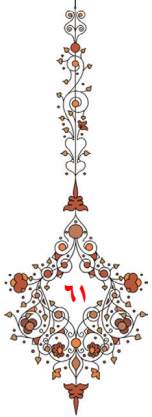
وعلى هذا الأساس؛ ومن خلال نفوذ المنافقين في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله في كيان الأمة وبين المسلمين، وصل معاوية إلى سدة الحكم من خلال استخدامه للقوة والمكر، واستمر في الحكم لمدة أربعين سنة، منها عشرون سنة كان والياً فيها، وعشرون سنة أخرى كان حاكماً، ومن خلال تشكيله للجيش وللولاة من الأمويين المجرمين أمثال بسر بن أرطاة، ثم تنصيبه لولده يزيد ولي العهد، نفذ خطته المشوبة بالنفاق ضد الإسلام تحت غطاء إسلامي، فقام بتضليل الناس وإبقائهم على جهلهم بعيدين عن الإسلام، ثم قام - وبأساليب مختلفة - باغتيال الأشخاص المؤمنين والأوفياء للإسلام، أمثال: مالك الأشتر، ومحمد بن أبي بكر، وحجر بن عدي، وغيرهم. وفي الحقيقة أنه تابع بذلك أهداف الجاهلية ولكن بلباس الإسلام، وبذلك أسس لإسلام بني أمية بدلاً عن الإسلام الحقيقي، ولم يبق من الإسلام إلا شكله الخالي عن محتواه. في مثل هذه الظروف المليئة بالجهل والضلال (الجاهلية بلباس الإسلام)، قام الإمام الحسين عليه السلام بقرع أجراس الخطر فيما يتعلق بحكومة يزيد وتهديدها للإسلام، وجعل إحياء الإسلام، وإنقاذ الناس من الجهل والضلال، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، و... عنواناً لثورته، فقال: «إنا لله وإنا إليه راجعون، وعلى الإسلام السلام إذ قد بُليت الأمة براع مثل يزيد...»^(٢).

وقال في مكان آخر: «...وأني لم أخرج أشراً ولا بطراً، ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي صلى الله عليه وآله، أريد أن آمر بالمعروف وأنهي عن المنكر...»^(٣).

(١) المصدر السابق: ص ٤٥٤، الرسالة ٦٤.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٣٢٦.

(٣) المصدر السابق: ص ٣٢٩.



وبهذا البيان؛ يظهر بأن نهضة عاشوراء كانت أمراً لا بدّ منه بعد ملاحظة تلك الأهداف المقدّسة التي ذُكرت؛ وعليه فلاجل المحافظة على نهضة كربلاء، والتأسيس لمناخات تحقيق هذه الأهداف - إذ كان حكام بني أمية وبني العباس مناهضين لها بشدّة - كانت بحاجة إلى الحماية، وهذا ما قام به الأئمة عليهم السلام من خلال تأكيدهم استمرار زيارة الأربعين التي تُعتبر علامة على الإيمان، حتى يتمّ من خلال إحيائها التذكير بأهداف نهضة كربلاء في كلّ عام، والحفاظ على عقائد الإسلام ومبادئ تلك النهضة الحسينية.

الأثار المهمة في مسيرة زيارة الأربعين

أولاً: تقوية القيم الإلهية في الإنسان

يُعتبر الإيثار والتسامح والمحبة والرحمة والتعاطف ونحوها من خصائص مسيرة زيارة الأربعين البارزة؛ فإنّ الذين كانت لهم مشاركة في مسيرة الأربعين قد لمسوا هذه القيم بأرواحهم وأجسادهم؛ لذا فإنّ هذه المسيرة تُعتبر تجسّداً للقيم الإلهية الإسلامية والمدرسة الشيعية؛ وعليه فإنّ مسيرة زيارة الأربعين ومن خلال وضعها للفرد داخل الجماعة، توجد الأرضية المناسبة لبناء الإنسان وتربيته على القيم الإلهية، فيكون لها دور سريع في تحوّل سلوك الناس؛ بمعنى لو أنّ شخصاً وقع في جوّ المصالح الفردية وأصبحت مصالحه الشخصية هي المقدّمة على غيرها عنده، فمن الطبيعي أن تكون جميع حركاته ضمن هذا البُعد الفردي الذي يقدّم مصلحته الشخصية، على خلاف ما لو وقع في جوّ الجماعة الذي ينظر إلى الفرد بما هو جزء من المجتمع، فتكون مساعيهِ وحركاته من أجل إنقاذ المجتمع.

يقول الإمام عليه السلام في فلسفة نهضة كربلاء: «خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدّي صلى الله عليه وآله؛ فإنّ هذا الكلام من الإمام عليه السلام فيه دلالة على الرؤية الجمعية التي محورها الإمام الحسين عليه السلام؛ لذا فإنّ الفرد الذي يتحرّك في هذه القافلة تتغيّر رؤيته وتحوّل حتى يكون ضمن مشروع إصلاح الأُمّة.

ثانياً: تعزيز القدرة وإيجاد العزة في العالم الإسلامي

إنَّ حادثة كربلاء بالرغم من فضاعتها لكنها أعطت للمسلمين درساً في الفداء والتضحية والإيثار والتفاني في سبيل الإسلام، والثبات والصبر في مواجهة المشاكل والتقلبات وما شابههما، بمعنى أنَّ نهضة الإمام عليّ عليه السلام كانت من أجل الحيلولة دون تحريف الإسلام وولاية يزيد بن معاوية الظالمة.

وبتعبير آخر: أنَّ الإسلام كان يواجه في تلك الأيام خطراً استدعى من الإمام عليّ عليه السلام أن ينهض لمواجهة، ومواجهة جميع خطط بني أمية العازمة على محو الإسلام.

إنَّ نهضة الإمام الحسين عليه السلام قامت على شعارات: «هيهات منا الذلة»، «فإني لا أرى الموت إلا سعادة، والحياة مع الظالمين إلا برماً»، «إن لم يكن لكم دين فكونوا أحراراً في دنياكم»، «وعلى الإسلام السلام إذ قد بُليت الأمة براعٍ مثل يزيد»؛ لذا فإنَّ نهضة الإمام عليّ عليه السلام تُعتبر مدرسة عقدية تُدرّس فيها قيم ومبادئ، من قبيل:

١ . الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٢ . الجهاد والشهادة.

٣ . ثقافة عزة الأمة وسموها.

٤ . التوكل والتبرّي.

إنَّ المعلم في هذه النهضة والمخطط لها هو الإمام الحسين عليه السلام، الذي يُعلّم الأمة أن تصرخ في وجه الانحراف والظلم؛ ذلك أنَّ أمة الإسلام لا يليق بها أن تكون أسيرة تحت نير الآخرين.

ومن البديهي أنَّ نتيجة هذه الأسس الفكرية هي تقوية الأمة الإسلامية في مواجهة الانحرافات والحكومات الظالمة، ورفع مستوى عزة المسلمين وكرامتهم وقوتهم في مواجهة الذين يريدون بهم سوءاً؛ لذا فلو لم تقم هذه النهضة في توفير مناخات هذه القيم الإلهية التي تبعث على عزة المسلمين وكرامتهم، وترسيخ العقائد

الحقّة، لما كان المسلمون قادرين على الوقوف بوجه الطغاة، ولكانوا - ولا يزالون - قابعين تحت نير الذلّ والعبودية ليزيد وأمثاله من الطغاة.

ثالثاً: التأسيس لأهداف النهضة الحسينية

إنّ تكرار مسيرة زيارة الأربعين سنوياً واستمرارها يعرض الأهداف الإلهية لنهضة كربلاء، وهذا له دور أساسي في ترسيخ هذه الأهداف والقيم في المجتمع، الأمر الذي يؤسّس لجعلها ثقافة على مستوى العالم أجمع؛ وعلى هذا الأساس فإنّ مسيرة الأربعين من خلال تعريفها بالأهداف والقيم الخاصّة بنهضة كربلاء، تعتبر مؤسّسة لهذه القيم على المستوى العالمي.

رابعاً: توحيد العالم الإسلامي وإيجاد الأرضية من أجل تشكيل أمة صاحب الزمان (عجل الله فرجه) الواحدة

إنّ وحدة المسلمين تُعتبر من الأصول التي أكّدها الإسلام فيما بينهم، بل فيما بينهم وبين أتباع الأديان الأخرى، فقد أوصى المسلمين بجعل المشتركات الدينية هي الأصل، وأن يتركوا على أساسها التفرقة والعداوة فيما بينهم ومع غير المسلمين، ويتعايشوا معهم سلمياً؛ لذا فإنّ أعداء الإسلام يسعون وبشكل مستمرّ - وبالاخصّوص في عصرنا الحاضر من خلال إحداثهم للمجموعات الإرهابية تحت مسمّى الإسلام ولكنّها في الحقيقة ضدّ الإسلام - إلى تأجيج نار التفرقة والاختلافات والنزاعات بين المسلمين أنفسهم وإذكاء أوارها، ونحن جميعاً شاهدون على ما عاناه المسلمون من آلام ومآسٍ وتشريد الآلاف من النساء والرجال والأطفال المسلمين من أراضيهم وأوطانهم في العراق واليمن وسوريا ولبنان؛ كلّ ذلك بسبب زرع الفتنة والفرقة والعداوة بين أبناء المسلمين، فأصبح قلب كلّ مسلم يتألم لذلك.

في هكذا ظروف؛ فإنّ مسيرة الأربعين تبعث الروح والنشاط في اتّحاد المذاهب والأديان في مختلف بقاع الدنيا، وذلك تحت شعار (حبّ الحسين يجمعنا). ومن خلال احتوائها على العديد من الصفات الإلهية، وخاصّة شعار «إن لم يكن لكم دين فكونوا أحراراً في ديناكم»، فإنّها تمتلك الإمكانات القوية جدّاً في بيان المفاهيم والمبادئ التي

يبتني عليها الإسلام المحمدي الأصيل ونشرها، وإحداث نوع من التقارب والتآلف بين قلوب الناس، ومن خلال هذه الرؤية فإن جميع الأحرار - وإن لم يكن بعضهم مسلمين - سوف يقفون تحت هذه المظلة، فيؤدّي ذلك إلى إيجاد مجتمع بشري يتجاوز فيه الناس الانتماء الوطني، فيتحرّكون نحو تشكيل أمة واحدة.

وعليه؛ فإنّ هذه المسيرة من الناحية السياسية مضافاً إلى احتوائها على البعد الديني، تعتبر اتحاداً سياسياً في مواجهة المستكبرين في العالم؛ ولهذا فإنّ الاستكبار يسعى للتقليل من أهميّة هذه المسيرة العظيمة، فلا تقوم منصّاتهم الإعلامية بتغطيتها أو إعداد التقارير الخبرية عنها، بالرغم من أنّها تُعتبر من الحوادث الفريدة والملفتة للنظر في تاريخنا المعاصر.

وهي في الوقت نفسه تحمل الكثير من البركات؛ فيشارك فيها الملايين من البشر من محبّي أهل البيت (عليه السلام)، ومحبّي القيم الإلهية من قوميات ومذاهب أخرى جاؤوا من أقصى نقاط العالم، فيتجمعون جميعاً تحت لواء القيم الإلهية الحسينية؛ لذا يمكن القول بأنّه كما هدى الله الأعراب وأخرجهم من ظلمة الجاهلية إلى نور الإسلام، فأوجد بهم أمة مشهورة بين القبائل بعد أن كانت مجهولة العنوان، ورفعهم من الحضيض إلى الأعلى، وأخرجهم من حالة العجز والوهن إلى القوّة^(١)، فكَذلك يريد الله تعالى من خلال اعتصام الناس بحبل الحسين (عليه السلام) الذي هو الحبل الإلهي^(٢) - أن يجمع محبّي أهل البيت (عليه السلام) المتفرّقين ويوحّدهم، ويقرب قلوبهم المتباعدة ويعطيها هوية واحدة، ويجعل منهم أمة واعية حيّة، تملك العزّة وتسعى إلى الحرية.

وهذا على العكس ممّا يُخطّط له الأعداء من إيذاء المسلمين في شعوب المنطقة، في إيران والعراق وغيرهما من البلاد الإسلامية؛ فإنّ العدو يسعى جاهداً في إذكاء نيران

(١) قال تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.
آل عمران: الآية ١٠٣.

(٢) الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات: ج ٢، ص ١٩٩.



الحروب وإبقائها مستعرة، ولكن الله تعالى وفي ظل مسيرة زيارة الأربعين جمع هذه الشعوب - وخاصة الشعبين العراقي والإيراني - جمعاً يعتبر أنموذجاً عابراً للسلام والمحبة بين الشعوب، بحيث إنهم يتسابقون في خدمة بعضهم بعضاً.

وبهذه الطريقة أصبحت مسيرة زيارة أربعين الإمام الحسين عليه السلام من أيام الله الكبرى، التي تتشكل فيها - بحق - أمة صاحب الزمان الواحدة، كما حصل في عهد النبي صلى الله عليه وآله هذا النوع من الوحدة، بحيث نشأت أمة واحدة متّحدة كريمة طيبة؛ لذلك وسمت هذه الزيارة بأنها علامة على الإيمان.

والحاصل: أن هذه الأمة المتفرقة والمتناثرة ما هي إلا جمع مريض محتضر، وليس له دواء شافٍ سوى الوحدة والاتحاد، وما هي تتحقق تحت لواء (حبّ الحسين يجمعنا)، وهذا ما يجعل مسيرة الأربعين ممهّدة لظهور منقذ البشرية الإمام المهدي عليه السلام.

تقول صحيفة (هافينغتون بوست) في بيان لها حول بعض خصائص مسيرة الأربعين: «تعتبر أكبر تجمع سنوي، وأطول مائدة طعام، وأكثر جماعة من الناس يأكلون بالمجان، وأكثر عدد من المتطوّعين ضمن حدث واحد، وهذا بعض من تلك الخصائص»^(١).

كما يقول القسيس الكرجستاني الذي كانت له مشاركة في مسيرة الأربعين: «... أنا مسيحي، ولكنني أعتقد بأن الإمام الحسين عليه السلام يحمل لي الكثير من الدروس... ثم يقول مستطرداً: إنّ تأثير الأربعين يعتبر تأثيراً إعجازياً، يسير بالعالم نحو أفضل الطرق التي يمكنه أن يسير عليها»^(٢).

خامساً: إيجاد العقلانية المصاحبة للمعرفة والمعنوية

إنّ مسيرة زيارة الأربعين لها دور كبير وبناء في تحكيم العقلانية والوعي

(١) يعقوب توكلی، جاپای زینب در اربعین (سفرنامه اربعین حسینی): ص ١٣٧.

(٢) الأخبار المباشرة لوكالة الأنباء التحليلية الإيرانية، أخبار ثقافية في ٢٦ سبتمبر ٢٠١٨ م.

المصاحب للمعنوية، حيث يطغى فيها مفهوم الجماعة على الفرد والعكس؛ فإنه فمع هذا الكمّ الهائل من البشر تكون جميع العيون والأيدي طاهرة، ولا يوجد هناك نظرات ملوثة. أو مع وجود جميع هذه الأموال والمعدّات التي يحملها الزوّار معهم، إلّا أنّه لا يتمّ الإبلاغ عن حصول سرقات ونحوها. وفي مقابل ذلك كمّية الخدمة، والحبّ، والعطف المتبادل، والبذل والإيثار، ...

في الحقيقة أنّ مسيرة الأربعين من ناحية المكان هي لكربلاء، ولكن من ناحية المعرفة والفكر والزمان تتّجه نحو تطبيق الإسلام المحمدي الأصيل.

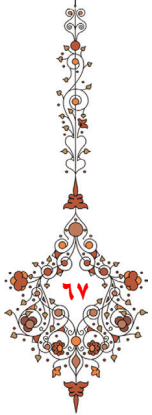
سادساً: خلق روح إيجابية وتحفيزها والأمل بالأهداف السامية

من الآثار الأخرى لمسيرة زيارة الأربعين إعطاء الطاقة الإيجابية، وإحداث حالات معنوية قوية عند محبّي أهل البيت (عليه السلام)، وإعطاء الدوافع العالية التي تساعد على الانتصار والوصول إلى الأهداف والتغلب على العدو؛ فإنّ القرآن الكريم يذكر بأنّ عشرين من المسلمين المؤمنين من الذين يتحلّون بالاستقامة، قادرون على الانتصار على مئتين من الكافرين، ومئة منهم ينتصرون على ألف من الكافرين^(١).

إنّ مسيرة زيارة الأربعين تُعطي روحاً قوية وأملاً بالوصول إلى الهدف والتغلب على الأعداء، ففي الوقت الذي يستفيد فيه أعداء الإسلام من أساليبهم الخطرة من خلال بثّ روح اليأس بين المؤمنين وأتباع المدرسة الحسينية، ويسعون سعياً حثيثاً من أجل أن يسلبوا هذه الروح القوية عنهم، وهذا الأمل بالنصر، نجد مسيرة زيارة الأربعين تبطل كلّ مساعي الأعداء في ذلك، وتُعطي لمحبي أهل البيت (عليه السلام) قوّة تجعلهم مستعدين دائماً للمواجهة، وتزرع فيهم الأمل بالنصر.

إنّ الآثار التي تمّ ذكرها لمسيرة زيارة الأربعين مع أنّها ليست جميع الآثار التي

(١) قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَرَضٌ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَبِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾. الأنفال: الآية ٦٥.



تترتب على هذه الزيارة، لكنها تدلّ على أنّ هذه المسيرة لها دور مهمّ في توفير مناخات ملائمة لممارسة عقائد الإسلام المحمديّ الأصيل.

استخدام الأربعين بمعنى المكمل

الأربعين - أو الأربعينية - في العرف العامّ يستخدم في الأمور المعروفة؛ أمّا فيما يتعلّق بإحياء ذكرى أربعينية استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام) وزيارته في ذلك اليوم، فإنّه مضافاً إلى الآداب العرفية التي تُمارس في هذه الذكرى، فقد ورد ذكرها في نصّ روائيّ مسند عن المعصوم (عليه السلام)، فعن الإمام العسكري (عليه السلام) أنّه قال: «علامات المؤمن خمس... وزيارة الأربعين...»^(١).

ومن جانب آخر؛ فقد استُخدمت عبارة الأربعين في المصادر الدينية في مواضيع مختلفة، لكنّ المعنى المراد منها فيها واحد، حيث إنّهُ عند وصول موضوع معيّن أو عمل ما إلى حدّ الأربعين؛ فإنّه يصل إلى كماله، فهو لم يكن يتمتّع بهذه الصفة قبل وصوله إلى مرحلة الأربعين، وعند وصوله إليها يُعتبر أنّه قد بلغ حدّ الكمال. وعليه؛ فإنّ المسير في زيارة الأربعين كذلك يراد منه الوصول إلى قمة الكمال وتجذّر نهضة كربلاء؛ لذلك كانت محطّ اهتمام وتأكيد الأئمة المعصومين (عليهم السلام).

وبتعبير آخر: بما أنّ الأحكام التي تصدر في الإسلام لا تكون من دون علة وسبب كما يقول القرآن الكريم: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾^(٢)؛ فعليه فإنّ مفردة الأربعين في الاستخدام القرآني والروائي جاءت تمثّل مفهوم الكمال، وهذا يدلّ على أنّ الأربعين بمعنى التكامل.

وسوف نشير إلى بعض الموارد التي استُخدمت فيها هذه المفردة بمعنى الكمال في القرآن الكريم والروايات الشريفة.

(١) الحرّ العاملي، وسائل الشيعة: ج ١٤، ص ٤٧٨، ح ١.

(٢) الأعراف: الآية ١٥٧.



١. في القرآن الكريم

أ) يذكر لنا القرآن الكريم حضور النبي موسى ﷺ أربعين ليلةً في جبل الطور من أجل الحصول على ألواح التوراة، يقول تعالى في هذا الصدد: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فِتْنٍ مِيقَتُ رَبِّهِ أَزْبَعِينَ لَيْلَةً﴾^(١). فكلمة (أَتَمَمْنَا) في الآية الكريمة، تدلّ بصراحة على مفهوم الإتمام والإكمال بواسطة العدد أربعين.

ب) حينما تخلف اليهود عن إطاعة أوامر النبي موسى ﷺ في الجهاد مع العمالقة، وتجروّوا على رفض أوامر نبيّهم فاستحقّوا أن يتيهوا أربعين سنة، استخدم القرآن الكريم في هذه الحادثة عبارة ﴿أَزْبَعِينَ لَيْلَةً﴾، وذلك حتى يعرفهم بأن زوال كسل وتقاعس بني إسرائيل في تنفيذ أوامر نبي الله واستعادتهم القوّة الضرورية والروح العالية، كلّ ذلك لا يتأتّى إلّا من بعد مضي أربعين سنة.

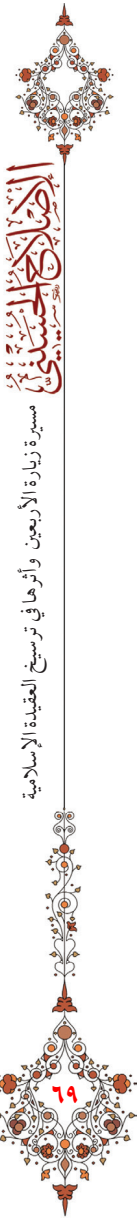
ج) تكامل الإنسان يكون بعد وصوله إلى عمر أربعين عاماً، ففي الآية الخامسة عشرة من سورة الأحقاف جاءت كلمة أربعين: ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾، بمعنى وصول الإنسان إلى الكمال.

يقول العلامة الطباطبائي وآية الله مكارم الشيرازي في تفسيريهما لكلمة (أربعين): إنّ المراد من الوصول إلى الأربعين في الآية، هو الكمال العقلي^(٢). والرواية من خلال استخدامها كلمة (منتهاه)، فإنّها تقصد بها وصول الإنسان إلى سنّ الأربعين عاماً، واعتبرت ذلك منتهى كماله^(٣).

(١) الأعراف: الآية ١٤٢.

(٢) أنظر: الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج ١٨، ص ٢٠١. مكارم الشيرازي، ناصر، تفسير نمونه: ج ٢١، ص ٣٢٩.

(٣) أنظر: الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ١٦، ص ١٠٢، ح ٢١٠٩٣.



٢. في الروايات

استخدمت الروايات مصطلح الأربعين في موارد متعدّدة بمعنى الوصول إلى الكمال، مثل:

(أ) بقي آدم عليه السلام ساجداً على جبل الصفا مدّة أربعين يوماً حتى قبلت توبته ^(١)، فعلى هذه الرواية لم تكتمل شروط قبول توبة آدم عليه السلام إلا بعد مضي هذه المدّة.

(ب) تجب الزكاة في الأغنام عند بلوغها النصاب، وهو أربعون، وذلك بشروط خاصّة، ولا تتحقّق الزكاة في أقلّ من هذا العدد حتى لو بلغ تسعة وثلاثين رأساً من الغنم ^(٢).

(ج) قيل: إنّ مراحل الخلق وتغييرات النشأة واكتمال الطفل في رحم أمّه تتمّ كلّ أربعين يوماً ^(٣)، ومعنى ذلك أنّه في كلّ أربعين يوماً يصل جزء من الخلق إلى مرحلة الكمال.

(د) من أخلص لله أربعين صباحاً أجرى الله ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه ^(٤).
(هـ) عدم أكل اللحم لمدّة أربعين يوماً يؤدّي إلى سوء الخلق ^(٥)؛ ولا ينتج ذلك بعدم أكل اللحم لمدّة أقلّ من هذا العدد.

(و) لا تُقبل صلاة شارب الخمر لمدّة أربعين يوماً ^(٦)، أي إنّهُ بعد مضي أربعين يوماً تحصل الطهارة الباطنية وينتهي أثر ذلك.

(١) القمي، علي بن إبراهيم، تفسير القمي: ج ١، ص ٤٤.

(٢) الإمام الرضا عليه السلام، الفقه المنسوب إلى الإمام الرضا عليه السلام: ص ١٩٦. الإمام الخميني، روح الله، تحرير الوسيلة: ج ١، ص ٢٩٧، المسألة ١. ومصار أخرى.

(٣) الإمام الحسن العسكري عليه السلام، التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري: ص ١٣٥.

(٤) الصدوق، محمد بن علي، عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ٢، ص ٦٩. الإمام جعفر الصادق عليه السلام، مصباح الشريعة: ص ٣٥٥.

(٥) الإمام الرضا عليه السلام، صحيفة الرضا عليه السلام: ص ٧٥. البرقي، أحمد بن محمد، المحاسن: ج ٢، ص ٤٦٥.

(٦) الطوسي، محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام: ج ٩، ص ١٠٨. الصدوق، محمد بن علي، علل الشرائع: ج ٢، ص ٣٤٥.

(ز) في صلاة الميّت إذا قال أربعون شخصاً: (إنا لا نعلم منه إلا خيراً)؛ فإن الله سبحانه وتعالى يقبل شهادة هؤلاء ويعفو عن ذلك الميّت برحمته حتى وإن كان يعلم منه ارتكابه للذنوب^(١).

(ح) حينما يقوم القائم عليه السلام تصبح قوة كل رجل من شيعة أهل البيت عليهم السلام تضاهي قوة أربعين رجلاً^(٢).

(ط) مَنْ حفظ أربعين حديثاً من ضروريّات الدين حُشر يوم القيامة فقيهاً، فيحصل على مرتبة الفقهية بحفظه أربعين حديثاً وليس أقلّ من ذلك العدد^(٣). وهناك العديد من الروايات الأخرى التي استخدمت كلمة الأربعين في مفهوم الكمال.

مسيرة زيارة الأربعين والمبادئ العقيدية لنهضة كربلاء

لقد اعتبرت المصادر الدينية زيارة قبور المعصومين عليهم السلام من الأمور المستحبة، ولكن لم يتمّ التأكيد على زيارة أحد المعصومين عليهم السلام بعنوان زيارة الأربعين غير الإمام الحسين عليه السلام، كما أنه قد ورد أنّ زيارة أربعين الإمام الحسين عليه السلام تُعدّ علامة من علامات الإيمان؛ وعلى هذا الأساس يقال: إنّه إذا كان التأكيد على زيارة معصوم من قبل معصوم آخر، فكان من الأولى التأكيد على زيارة بعنوان (الأربعين) لرسول الله صلى الله عليه وآله والإمام علي عليه السلام؛ باعتبارهما أبوي الأُمّة الإسلامية بناءً على النبوي الذي ورد فيه أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله والإمام عليّاً عليه السلام هما أبوا هذه الأُمّة^(٤)، ولكنه لم يرد فيهما عليهما السلام زيارة بهذا العنوان.

وعليه؛ فإنّ الملاك في هذه القضية ليس هو شخصية المعصوم عليه السلام، وإنّما هناك

(١) الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ٣، ص ٢٨٥.

(٢) الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات: ج ٥، ص ١١٤.

(٣) الديلمي، الحسن بن محمد، أعلام الدين في صفات المؤمنين: ص ٣٩٠.

(٤) الصدوق، محمد بن علي، الأمالي: ص ٦٥٧.

سرّ آخر في زيارة الأربعين الإمام الحسين (عليه السلام) لا يوجد في المعصومين (عليهم السلام) غيره، حيث إنّه وبالنظر إلى الآثار المذكورة في زيارة الأربعين الإمام الحسين (عليه السلام)، وكذلك بالنظر إلى استخدام الأربعين في مفهوم الكمال؛ فإنّه - وعلى أعلى الاحتمالات - يمكننا القول بأنّ سرّ المسألة هو من باب أنّ زيارة الأربعين فيها إشارة إلى بعض الأهداف التي تتعلّق بنهضة كربلاء، فيمكنها أن تكون المكّلة والمحافظة على أهداف ومفاهيم نهضة كربلاء في مواجهة مساعي بني أمية وبني العبّاس وأمثالهم من الذين يسعون - وعلى مرّ التاريخ - إلى محو نهضة كربلاء^(١).

وبهذه الطريقة يتمّ تفعيل أهمّ هدف من أهداف نهضة كربلاء على مرّ العصور، وهو حفظ الإسلام المحمدي الأصيل.

هذا هو السرّ في زيارة الأربعين الحسيني ومفهومها التكميلي فيما يتعلّق بنهضة كربلاء، وتأكيد مبادئها وأهدافها، وعلى هذا الأساس يظهر بأنّ التأكيد على زيارة الأربعين في الروايات وعلايمتها على الإيذان إنّما بسبب هذا التضمين والتأكيد على بقاء نهضة كربلاء؛ لما تمثّله من امتداد للإسلام المحمدي الأصيل، ولما تملكه من دور مهمّ في تثبيت تلك المبادئ والأهداف وترسيخها في الأمّة الإسلامية.

وعليه؛ فإنّ مشاية زيارة الأربعين الحسيني كلّما أُقيمت بأدائها الخاصّة، أي بشكل علني، وفي وضوح النهار، وبصورة السير على الأقدام، كلّما كان تأثيرها أكبر وأكثر، كما فعل ذلك جابر بن عبد الله الأنصاري في زيارته للإمام الحسين (عليه السلام) يوم الأربعين؛ استناداً إلى التعاليم النبوية.

الخاتمة

إنّ نهضة كربلاء والأحداث المتعدّدة التي وقعت فيها، والمصائب التي جرت على أهل البيت (عليهم السلام) في ذلك اليوم، كلّ ذلك كان من أجل إحياء الدين؛ لذلك فإنّها

(١) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ٣٣.

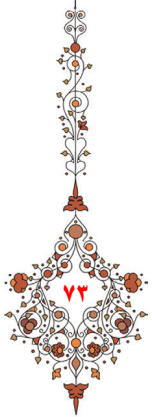
كانت محلّ تأييد خاصّ من الله ورسوله ﷺ والأئمة الطاهرين عليهم السلام؛ لذا فإنّ إحياء تلك النهضة باعتبارها المحافظة على الإسلام المحمدي، له موضوعية خاصّة.

لكن بالنظر إلى مساعي الأعداء ومحاولتهم القضاء على نهضة كربلاء، وسعيهم من أجل تخريب آثار تلك النهضة، والمنع من زيارة الإمام الحسين عليه السلام، فإنّه ربّما من الممكن مع تراكم هذه المساعي التخريبية وتقدم الزمن أن تُنسى أهداف هذه النهضة التي تظهر الوجه الحقيقي للإسلام؛ لذا فقد كانت الحاجة تقتضي وجود حركة مثبّتة لنتائج تلك النهضة والمحافظة على أهدافها. ومن هنا؛ شأّت القدرة الإلهية عدم وقوع خطر النسيان على نهضة كربلاء؛ وذلك بفعل بعض العوامل من جملتها زيارة الأربعين التي أُحييت أهداف هذه النهضة ومبادئها، وبالتالي المحافظة على الإسلام المحمدي الأصيل؛ لذا جُعِلت في الرواية علامة من علامات الإيثار، وجاء التأكيد على تكرارها وضمّان استمراريّتها على مرّ الأزمان.

ومن هنا؛ جاء في طيّات البحث بيان السرّ في التأكيد على زيارة أربعين الإمام الحسين عليه السلام من خلال مجموعة من النقاط، هي:

- ١ . مكانة الإمام عليه السلام في الساحة الإلهية.
- ٢ . السير في زيارة الأربعين في التاريخ.
- ٣ . أهداف مسيرة زيارة الأربعين.
- ٤ . آثار السير في زيارة الأربعين.
- ٥ . الاستخدام الديني للأربعين في مفهوم الكمال.

وكان حاصل هذا التحقيق هو أنّ زيارة الأربعين هي إكمال أهداف نهضة كربلاء وتثبيتها في التاريخ، حتى لا يتمكّن الطغاة والجبابرة والمستكبرون على مرّ التاريخ من محو آثار هذه النهضة المباركة.



المصادر المراجع

* القرآن الكريم.

١ . إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات، محمد بن الحسن الحرّ العاملي، الأعلمي، بيروت، ١٤٢٥هـ.

٢ . الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي المعروف بالشيخ المفيد، ترجمة: ساعدي خراساني، اسلامية، طهران، ١٣٨٠هـ. ش.

٣ . الأصول الستة عشر، مجموعة من العلماء، تصحيح: ضياء الدين المحمودي وآخرون، مؤسّسة دار الحديث الثقافية، قم المشرّفة، ١٤٢٣هـ.

٤ . أعلام الدين في صفات المؤمنين، الحسن بن محمد الديلمي، تصحيح ونشر: مؤسّسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، قم المشرّفة، ١٤٠٨هـ.

٥ . إقبال الأعمال، السيّد علي بن موسى المعروف بابن طاووس، دار الكتب الإسلامية، طهران، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ.

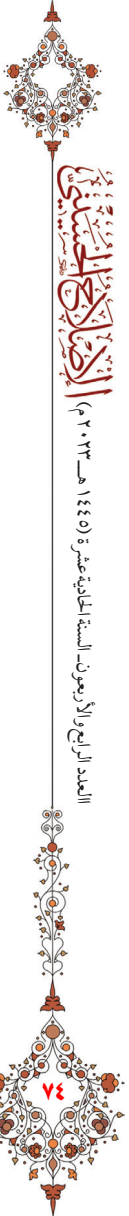
٦ . الأمالي، محمد بن علي بن بابويه المعروف بالشيخ الصدوق، نشر كتابجي، طهران، ١٣٧٦هـ. ش.

٧ . بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمّة الأطهار، محمد باقر المجلسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٣هـ.

٨ . بشارة المصطفى لشيعه المرتضى، عماد الدين محمد بن أبي القاسم الطبري الآملي، المكتبة الحيدرية، النجف، الطبعة الثانية، ١٣٨٣هـ.

٩ . تاريخ مدينة دمشق، علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر الشافعي، دار الفكر، بيروت.

١٠ . تحرير الوسيلة، الإمام روح الله الخميني الموسوي، جماعة المدرّسين، قم المشرّفة.



١١ . تحف العقول عن آل الرسول ﷺ، الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحرّاني،
تصحیح: علي أكبر الغفاري، مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين،
قم المشرّفة، ١٤٠٤هـ.

١٢ . تحقيق دربارہ اربعین اول، محمد علي القاضي الطباطبائي، تبریز، ١٣٦٨هـ. ش.

١٣ . تفسير الصافي، الملا محمد محسن بن مرتضى الفيض الكاشاني، تصحيح:
الأعلمي، مكتبة الصدر، طهران، ١٤١٥هـ.

١٤ . التفسير المنسوب إلى الإمام الحسن العسكري عليه السلام، الإمام الحسن بن علي
العسكري عليه السلام، مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، قم المشرّفة، ١٤٠٩هـ.

١٥ . تفسير نمونه، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، دار الكتب الإسلامية، طهران،
الطبعة العاشرة.

١٦ . تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، محمد بن حسن الحرّ العاملي،
تحقيق ونشر: مؤسّسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، قم المشرّفة، ١٤٠٩هـ.

١٧ . تهذيب الأحكام، محمد بن الحسن الشيخ الطوسي، تصحيح: حسن الموسوي
الخرسان، دار الكتب الإسلامية، طهران، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ.

١٨ . ثواب الأعمال وعقاب الأعمال، ابن بابويه، محمد بن علي بن بابويه المعروف
بالشيخ الصدوق، نشر الرضي، قم المشرّفة، ١٤٠٦هـ.

١٩ . جاپای زينب در اربعين (سفرنامه اربعين حسيني)، يعقوب التوكلي، مؤسّسة
فرهنگ مشعر، طهران، ١٣٩٦هـ. ش.

٢٠ . روح المعاني في تفسير القرآن العظيم (تفسير الآلوسي)، محمود بن عبد الله
الآلوسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٤هـ.

٢١ . سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون،
دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢٢ . سيرة ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب المعروف بابن هشام الحميري،
دار الفكر، بيروت.



- ٢٣ . شذرات الذهب في أخبار مَنْ ذهب، عبد الحي بن أحمد المعروف بابن العماد الحنبلي، دار ابن كثير، دمشق، ١٤٠٦ هـ.
- ٢٤ . شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار عليهم السلام، القاضي النعمان بن محمد التميمي المغربي (ابن حيون)، جامعة المدرّسين، قم المشرفة، ١٤٠٩ هـ.
- ٢٥ . صحيفة الإمام الرضا عليه السلام، الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام، مؤتمر الإمام الرضا عليه السلام العالمي، مشهد، ١٤٠٦ هـ.
- ٢٦ . علل الشرايع، محمد بن علي بن بابويه المعروف بالشيخ الصدوق، مكتبة الداوري، قم المشرفة، ١٣٨٥ هـ.
- ٢٧ . عوالي الآلي العزيرية في الأحاديث الدينية، محمد بن علي المعروف بابن أبي جمهور الأحسائي، تحقيق: مجتبی العراقي، دار سيّد الشهداء للنشر، قم المشرفة، ١٤٠٥ هـ.
- ٢٨ . عيون أخبار الرضا عليه السلام، محمد بن علي بن بابويه المعروف بالشيخ الصدوق، تحقيق: مهدي اللاجوردي، نشر جهان، طهران، ١٣٧٨ هـ.
- ٢٩ . الفقه المنسوب إلى الإمام الرضا عليه السلام، الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام، مؤسسة آل البيت عليه السلام، مشهد، ١٤٠٦ هـ.
- ٣٠ . كامل الزيارات، جعفر بن محمد بن قولويه القمي، دار المرتضى، بيروت، ١٤٢٩ هـ.
- ٣١ . كتاب سليم بن قيس، سليم بن قيس الهلالي، تصحيح: أنصاري، الهادي، قم المشرفة، ١٤٠٥ هـ.
- ٣٢ . كشف الغمّة في معرفة الأئمة، علي بن عيسى الإربلي، تصحيح: رسولي محلاتي، بن هاشم، تبريز، الطبعة القديمة، ١٣٨١ هـ.
- ٣٣ . كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علي بن حسام الدين المتقي الهندي، تحقيق: البكري وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠١ هـ.

٣٤ . اللهوف في قتلى الطفوف، السيّد علي بن موسى المعروف بابن طاووس، ترجمة: أبو طالب، دليل ما، قم المشرفة، ١٣٨٠هـ.ش.

٣٥ . مجمع البحرين، فخر الدين الطريحي، تصحيح: أحمد الحسيني الأشكوري، الناشر: مرتضوي، طهران، الطبعة الثالثة، ١٣٧٥هـ.ش.

٣٦ . مجمع البيان في تفسير القرآن، الفضل بن الحسن الطبرسي، ناصر خسرو، طهران، ١٣٧٢هـ.ش.

٣٧ . المحاسن، أحمد بن محمد بن خالد البرقي، تصحيح: جلال الدين المحدث، دار الكتب الإسلامية، قم، الطبعة الثانية، ١٣٧١هـ.

٣٨ . مصباح الشريعة، الإمام جعفر الصادق عليه السلام (المنسوب إلى الإمام)، ترجمة: المصطفوي، انجمن اسلامي حكمت وفلسفه، طهران، ١٣٦٠هـ.

٣٩ . مصباح المتهجد وسلاح المتعبد، محمد بن الحسن الشيخ الطوسي، مؤسّسة فقه الشيعة، بيروت، ١٤١١هـ.

٤٠ . مفردات ألفاظ القرآن، الحسين بن محمد المعروف بالراغب الإصفهاني، تصحيح: الداودي، صفوان عدنان، دار القلم، بيروت، ١٤١٢هـ.

٤١ . مقتضب الأثر في النصّ على الأئمة الإثني عشر، أحمد الجوهري البصري، نشر: مكتبة الطباطبائي، قم المشرفة.

٤٢ . مناقب آل أبي طالب عليه السلام، محمد بن علي بن شهر آشوب المازندراني السروي، علامة، قم المشرفة، ١٣٧٩هـ.

٤٣ . الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ.

٤٤ . نهج البلاغة، السيّد محمد بن الحسين بن موسى المعروف الشريف الرضي، تحقيق: صبحي الصالح، هجرت، قم المشرفة، ١٤١٤هـ.



الأنماط التواصلية ونتائجها في الزيارة الأربعينية للإمام الحسين عليه السلام

د. خديجة ضيائي

دكتوراه في فرع التفسير المقارن، مؤسّسة بنت الهدى للدراسات العليا،

جامعة المصطفى العالمية / إيران

ترجمة: حيدر الحيدري

شعبة الترجمة في مؤسّسة وارث الأنبياء

للدراستات التخصصية في النهضة الحسينية / العراق

Communication Patterns and their Outcomes in the Arbaeen Ziyara to Imam al-Husayn (PBUH)

Dr. Khadija Dhiaei

Ph.D. in Comparative Exegesis, Bint al-Huda Graduate

Studies Institute, Al-Mustafa International University / Iran

Translated by: Haidar al-Haidari

Department of Translation at the Warith al-Anbiya Institute

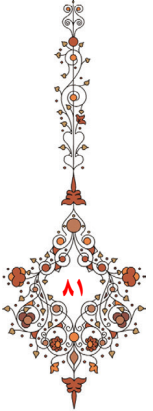
for Specialized Studies in the Uprising of Imam al-Husayn (PBUH) / Iraq

ملخص البحث

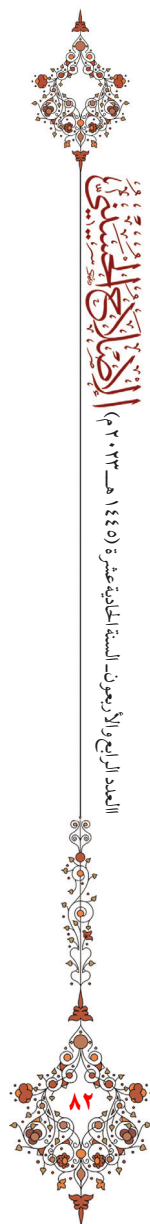
أهمية الزيارة في الثقافة الإسلامية وروايات أهل البيت عليهم السلام ليست بالشيء الخافي على أحد، ويرى أعلام علماء الشيعة أنفسهم ملزمين بزيارة مشاهد أهل البيت عليهم السلام، ولا سيما مرقد الإمام الحسين عليه السلام، بل لطالما حرصوا على تأكيد التوصية للآخرين بذلك؛ فالزيارة في ظاهرها رحلة مادية، لكن بما أن المزارات تُصنّف ضمن الأركان الثقافية والروحانية للدين، فإن الزائر يطلب فيها أيضاً الروحانية وكل ما هو مقدّس ومبارك؛ من أجل ذلك ترتبط زيارة البقاع المقدّسة بالروحانية.

انطلاقاً ممّا ذكر يتسنى لنا أن نذهب إلى أنّ إحدى خصوصيّات البقاع الروحانية هي كونها الممّهّد لخلق أنماط تواصلية يحتاجها الإنسان لنيل السعادة الأبدية في إطار علاقته بالله تعالى وبأوليائه، وبأبناء جنسه عبر الالتزام بشروطها وآدابها؛ ولذا تأتي هذه المقالة، ومن خلال منهج وصفي تحليلي مبني على جمع البيانات بأسلوب البحث الوثائقي المكتبي، لتتولّى معرفة نتائج هذه الأنماط من التواصل من خلال دراستها والوقوف على الآداب الخاصّة بكلّ منها.

ويُفرز تواصل زائر أربعينية الحسين عليه السلام مع الله تعالى وارتباطه به نتائج، مثل: الأجر اللامتناهي، والتوبة، وتهذيب النفس، وترسيخ المعتقدات الدينية، والتوّلي والتبرّي، والثقة بالنفس، والشمول بدعاء الإمام الصادق عليه السلام. كما يُنتج تواصله مع أولياء الله نصرّة الإمام الحجّة عليه السلام، ومسرّة قلوب أهل البيت عليهم السلام، وقبول ولاية المعصوم عليه السلام وامتنال أوامره، واقتران المدرسة الحسينية الدامية بالميعاد المهدوي الوضّاء. ومن ثم يولّد تواصله مع باقي بني جنسه نتائج، مثل: استنهاض روح مقارعة الكفر والاستكبار، والتمرّس على الجهاد إلى الله، وخلق مشاعر الأخوة مع



شيعة العالم، والشعور الجماعي بالحماسة الحسينية. وإنَّ لكلَّ واحدة من هذه النتائج دوراً جوهرياً في إمام الإنسان بمنظومة الإسلام المعرفية، واكتسابه طهارة الروح. الكلمات المفتاحية: التواصل، النمط التواصل، الزيارة، زيارة الأربعين، آداب التواصل.

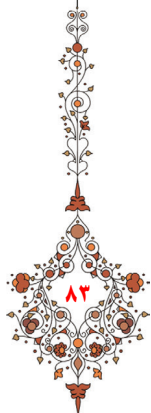
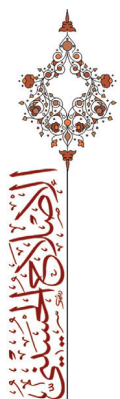


Abstract

The importance of *Ziyara* (visit) in Islamic culture and the narrations of the Household (PBUT) is widely recognized. Shia scholars not only consider it a duty to visit the shrines of the Household (PBUT), especially Imam al-Husayn (PBUH), but they also actively encourage others to do the same. While *Ziyara* may seem like a physical journey, it is much more than that. Holy sites are seen as cultural and spiritual cornerstones of religion, and visitors seek not only to visit these places but also to connect with the sacred and the divine. This is why *Ziyara* is deeply tied to spirituality.

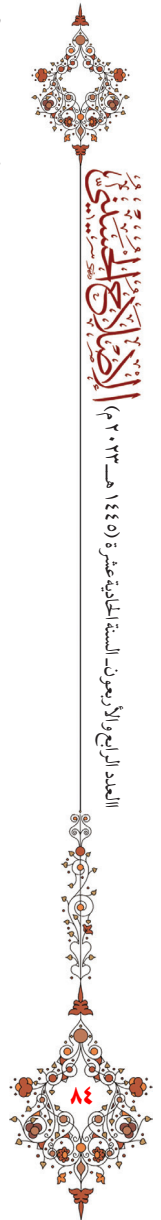
With this in mind, spiritual sites can be seen as spaces that foster unique communication patterns. These patterns help individuals achieve eternal happiness by strengthening their relationship with Allah, the Exalted, His *Awliyaa* (chosen ones), and their fellow human beings – provided they follow the proper conditions and etiquettes. This study uses a descriptive-analytical approach, drawing on documentary and library research, to explore the outcomes of these communication patterns and the specific etiquettes associated with them.

For example, when visitors communicate with Allah, the Exalted, during the Arbaeen *Ziyara*, they experience outcomes such as infinite rewards, repentance, self-discipline, strengthening of religious beliefs, *Tawalli* (allegiance to the righteous) and *Tabbari* (disavowal of the unrighteous), increased self-confidence, and the blessing of being included in the supplications of Imam al-Sadiq (PBUH). Similarly, their connection with the *Awliyaa* of Allah leads to supporting Imam al-Mahdi (MAHHR), bringing joy to the hearts of the Household (PBUT), accepting the *Wilaya* (guardianship) of the Infallible (PBUH) and following him, and linking the tragic legacy of Imam al-Husayn (PBUH) with the hopeful promise of Imam al-Mahdi (MAHHR). Finally, their



interactions with each other foster a spirit of resistance against disbelief and arrogance, and provide experience of struggle for the sake of Allah, a sense of brotherhood with Shia communities worldwide, and a shared enthusiasm for the values embodied by Imam al-Husayn (PBUH). Each of these outcomes plays a vital role in helping individuals understand the deeper truths of Islam and achieve spiritual purity.

Keywords: communication, communication patterns, Ziyara, Arbacen Ziyara, communication etiquettes.



المقدمة

تُعَدُّ زيارة البقاع المباركة والتوسُّل إلى الله بالأئمة الأطهار عليهم السلام وأولادهم في الثقافة الشيعية من أهم أسباب محبتهم ومودتهم عليهم السلام، وهي تترك في الزائر آثاراً روحية لا تُحصى ولا تُعدّ.

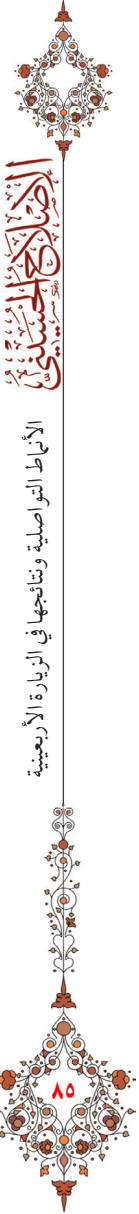
وقد ورد تأكيد كبير على زيارة الإمام الحسين عليه السلام خاصةً من بين سائر الأئمة عليهم السلام، وأن ما ذكرته الروايات في باب زيارته يبرز الدور المهم الذي نهض به الإمام الحسين عليه السلام في تبليغ رسالة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله.

إنّ الاهتمام المميّز الذي أبداه أهل البيت عليهم السلام بالإبقاء على جذوة ذكر سيّد الشهداء عليه السلام، وخصّ زيارة الأربعين به، ينطوي على أسرار لم تنكشف لنا إلى الآن بشكل كامل، لكن بالالتفات إلى الحديث الشريف: إنّ الحسين بن علي «مصباح هدى وسفينة نجاة»^(١)؛ فإنّ لنا أن نستشف بأنّ المرء يقع في زيارة الأربعين على أمور مهمّة تُكشف له بواسطتها حقيقة التعاليم الإسلامية.

على سبيل المثال: تستعرض الزيارة أنماطاً تواصلية نستطيع من خلالها إحياء الشريعة المحمّدية الأصيلة والشعائر الإسلامية. لهذا؛ وبغية إلقاء الضوء على الموضوع، فقد عزمت في هذه المقالة على دراسة نتائج الأنماط التواصلية في المناسك الروحانية الخاصّة بزيارة أربعينية الإمام الحسين عليه السلام، وذلك من خلال منهج وصفي تحليلي مبني على جمع البيانات بأسلوب البحث الوثائقي المكتبي.

هناك أقلام بارعة كتبت في زيارة الأربعين الخاصّة بسيّد الشهداء عليه السلام، منها مقالة: (ما سبب تعظيم الأربعين؟) للدكتور رسول جعفریان، التي بحث فيها الكاتب الأسباب الداعية إلى تبجيل سيّد الشهداء عليه السلام في مثل هذا اليوم، مستنداً في

(١) الصدوق، محمد بن علي، عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ١، ص ٦٢.



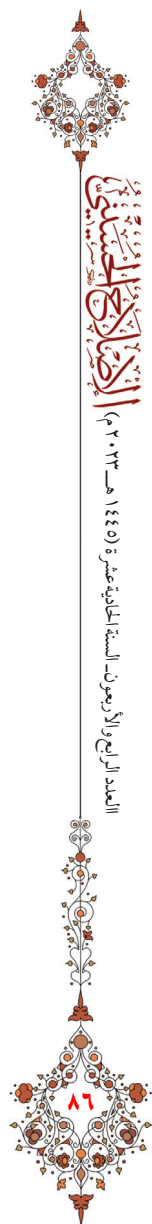
ذلك إلى الأدلة التاريخية والروائية. ومنها: المقالة العالية المضامين المعنونة: (فلسفة تعظيم أربعينية الحسين عليه السلام) لسماحة آية الله عبد الله الجوادى الأملى التي أشار فيها إلى أنّ موضوعي تعليم الكتاب والحكمة وتركية النفوس مُضمَّنان في زيارة الأربعين، و... إلى آخره.

أمّا المقالة الحالية فإنّها - ومن خلال استخراج الأنماط التواصلية المشاهدة في زيارة أربعينية الإمام الحسين عليه السلام الحماسية - تُعالج النتائج المستحصلة من هذه الأنماط لتقدّمها لمحبي أهل البيت عليهم السلام هديةً معنوية تعينهم على طي درب الهداية. ومن خلال تعداد الأنماط التواصلية - وهي تواصل الإنسان مع الله جلّ وعلا، ومع أولياء الله تعالى، ومع بني جنسه - والآداب المذكورة لكلّ منها، سنقوم فيما يلي ببيان نتائج كلّ واحد من هذه الأنماط ودراستها:

١. نمط تواصل الزائر مع الله تعالى في زيارة الأربعين

يجتمع مسلمو العالم عموماً، وشيعته خصوصاً في أيّام أربعينية الإمام الحسين عليه السلام للزيارة، فيدأبون على طول طريق المشي أثناء هذه الرحلة الروحانية على الاهتمام بممارسة عباداتهم، وإحكام عُرى علاقتهم برّبهم، ناهيك عن تقوية معتقداتهم الدينية. وهذه العلاقة - في الواقع - هديةً يقدّمها الله جلّ وعلا إلى زائري الحسين عليه السلام؛ فحين يسير الزائر نحو قبر الحسين عليه السلام قاصداً زيارته، فإنّه سيشتغل بعبادات من مثل قراءة القرآن الكريم، والدعاء إلى الله سبحانه ومناجاته، مضافاً إلى ما سيناله في تلك البقعة المقدّسة من سكينة القلب وسكون الروح، فتسمو روحه، ويستشعر حالةً روحانية خاصّة.

إنّ استشعار الإنسان حسّ التقرب إلى الله يجعله يفنى من الداخل، ويظهر كلّ ما في أعماقه.



وبعبارة أخرى: يُحلي باطنه، بل ييوح لربّه بما سبق أن ارتكبه من المعاصي، فيتطهر منها بالتوبة والإنابة^(١).

ونشير فيما يلي إلى جانب من الآداب التي تعزز ارتباط الزائر برّبّه:

آداب تواصل الزائر مع الله تعالى

إنّ لنمط التواصل الذي ينتهجه الإنسان مع ربّه في زيارة أربعين الإمام الحسين عليه السلام آداباً خاصّة، نشير فيما يلي إلى بعضها بإيجاز:

أ) الصلاة

إنّ من أهمّ الخيارات المتاحة للإنسان وأسهلها لإقامة علاقة روحانية بالله (جلّ وعلا) هي الصلاة، فعن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال: «إنّ الله جلّ جلاله قال: ما يتقرّب إليّ عبد من عبادي بشيء أحبّ إليّ ممّا افترضت عليه، وإنّه ليتقرّب إليّ بالنافلة حتى أحبه، فإذا أحبّته كنتُ سمعَه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ولسانه الذي ينطق به، ويده التي يبطش بها، إن دعاني أجبتّه، وإن سألني أعطيتّه»^(٢).

فالحقّ أنّ زائري أبي عبد الله الحسين عليه السلام يهتمّون اهتماماً مميّزاً بإقامة الصلاة، حتى أنّ أطول صفوف المصلّين وأضخم الجماعات تشاهد على طول طريق المشاة أثناء هذا التجمّع الفريد من نوعه.

ب) صلاة الليل

يقول الله تبارك وتعالى لنبيّه موسى عليه السلام: «يا ابن عمران، كذب من زعم أنّه يحبّني فإذا جنّه الليل نام عني، أليس كلّ محبّ يحبّ خلوة حبيبهِ؟! ها أنا ذا يا ابن عمران مُطلّع على أحبائي، إذا جنّهم الليل حولتُ أبصارهم من قلوبهم ومثلتُ عقوبتي بين أعينهم،

(١) أنظر: الجواد، مرتضى، فلسفة زیارت و آیین آن (فلسفة الزيارة وطقوسها): ص ٦٨.

(٢) الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ٤، ص ٧٢.



يخاطبوني عن المشاهدة، ويكلّموني عن الحضور»^(١). وتجعل الرواية صلاة الليل أفضل سُبُل التواصل القلبي مع الله عزّ وجلّ؛ وذلك لكي يشتغل زائر الأربعين، وهو في خلوة الليل وظلمته بالتضرّع إلى ربّه ومناجاته.

ج) الدعاء

يجتهد الزائر طيلة أيّام الأربعينية الروحانية في اتّخاذ سيّد الشهداء عليه السلام وسيلةً لتواصله القلبي مع ربّه، وأنّ أنجع أساليب التواصل القلبي مع الله (جلّ شأنه)، أو ما يُسمّى بـ (التقرّب من الله)، هو الارتباط عن طريق الفكر والمعتقد والعمل، وهو ما بيّنته شريعة الإسلام. وتعمل بعض أنماط التواصل هذه - التي تتجسّد بصورة فرائض أو سنن - على شغل الزائر دوماً بذكر الله تعالى، فتراه يُشفعها بالدعاء والمناجاة لتعزيز هذه الروابط مع الله أكثر؛ لكي يُصنّف في زمرة المحيّن له تعالى وللإمام الحسين عليه السلام^(٢).

الحقّ أنّ زائري الأربعينية في مثل تلك الأجواء الروحانية، يعملون في ظلّ الدعاء ومخاطبة الأنفس الطاهرة، واستنصار الأرواح الطيّبة، والتوسّل بالأئمة الأطهار عليهم السلام، على تخفيف بعض ضغوط الحياة ومتاعبها عن أنفسهم، فيستشعرون في أعماقهم طاقةً أعلى ومعنويّات مستجدّة، ويُعينهم هذا الشعور الطيّب على عيش حياة هادئة مُترعة بالروحانية^(٣). فعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام في أدنى ما يحصل عليه زائر الحسين عليه السلام أنّه قال: «إنّ أدنى ما يكون له أنّ الله يحفظه في نفسه وأهله حتّى يرده إلى أهله، فإذا كان يوم القيامة كان الله الحافظ له»^(٤).

(١) الصدوق، محمد بن علي، الأمالي: ص ٣٥٦.

(٢) أنظر: وكالة تسنيم للأبناء، تاريخ: ٢٠ كانون الأوّل ٢٠١٣ م.

(٣) المصدر السابق.

(٤) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٣٤٠.



(د) تلاوة القرآن

تنهض تلاوة القرآن الكريم بدور بارز في خلق حالة التواصل القلبي مع الله جلّ وعلا؛ ومن هنا يُولي زائرو الأربعين اهتماماً بقراءة القرآن؛ استدراكاً لرضا الله ورضا الإمام الحسين عليه السلام، حتّى أنّك تجد على طول طريق المسيرة الأربعينية محطات ينشغلون فيها بقراءة القرآن الكريم، بل ترى أنّ بعضهم يحمل مصحفاً صغيراً فينهمك بالقراءة وهو ماشٍ.

نتائج تواصل الزائر مع الله

بعد الانتهاء من بيان تواصل الزائر مع ربّه وكيفية تحقيق هذا التواصل الروحاني، نتطرّق الآن إلى نتائجه:

(أ) التوبة وتهذيب النفس

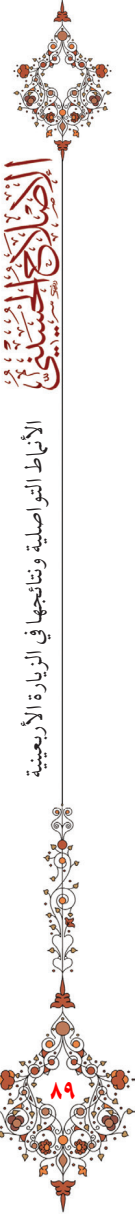
إنّ مسيرة الأربعينية الراجلة رحلة لتهذيب النفس وتطهير الروح من الأدناس، وإنّ في كلّ خطوة نخطوها لزيارة أبي عبد الله الحسين عليه السلام مغفرةً لنا؛ فمشاق الطريق بحدّ ذاتها مفيدة جدّاً لتهذيب النفس ومجاهدتها. والإنسان بحاجة دوماً إلى التوبة والاستغفار، وزيارة كربلاء - ولا سيّما مشياً - تمثّل فرصة مغتنمة للتهذيب والتوبة والاستغفار. وليس الاستغفار هو ممّا نحتاج إليه في أوقات خاصّة أو بمقدار محدود فحسب، وما المغفرة بقضية تنتهي، بل إنّ على المرء أن يحرص على الاستغفار كلّ الحرص، فنحن بحاجة إليه بشكل دائم^(١). وإذا كان رسول الله صلّى الله عليه وآله يستغفر في اليوم مئة مرّة؛ «إنّه ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله في اليوم مئة مرّة»^(٢)، فما بالك بنا نحن؟!

(ب) ترسيخ المعتقدات الدينية

من المكاسب الضخمة لمسيرة مشي الأربعين أيضاً رؤية مشاهد محبّة الناس

(١) أنظر: تقوى، رضا، اربعين در فرهنگ اسلامي (الأربعين في الثقافة الإسلامية): ص ٨٣.

(٢) ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، أسد الغابة: ج ١، ص ١٠٤.



لأهل البيت عليهم السلام، وأن احترام شيعة العراق لزائري أبي عبد الله الحسين عليه السلام في هذا الطريق ليبلغ حدّ تكحيل أعينهم بتراب أقدامهم، وبذلهم السخي لهم. ويأتي ترسيخ المعتقدات الدينية نتاجاً لهذه الحركة الحسينية في مسيرة المشي الأربعينية. والمدّش أن هذه المسيرة غدت عالمية وعابرةً للأُمم، بل إنّ فرقاً من اليهود والنصارى وسائر الأديان الأخرى أيضاً تشارك في هذه الملحمة العظيمة مشياً على الأقدام. يقول جوزيف إلياس رجل الدين المسيحي العراقي: «إنّ مسيحيي العراق معزّون بمصاب الحسين بن علي عليه السلام، شأنهم شأن المسلمين»^(١).

ج) تحصيل الأجر اللامتناهي

المشي في الأربعين ضرب من الاحترام والخضوع والخشوع، ومن مصاديق تعظيم الشعائر الإسلامية الذي يُخصّ العامل به بأجر عظيم، فعن الإمام الصادق عليه السلام في زيارة الحسين عليه السلام مشياً على الأقدام أنّه قال: «مَنْ خَرَجَ مِنْ مَنْزِلِهِ يَرِيدُ زِيَارَةَ قَبْرِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عليه السلام إِنْ كَانَ مَاشِياً كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ حَسَنَةٍ وَحَمَى عَنْهُ سَيِّئَةً، حَتَّى إِذَا صَارَ فِي الْحَائِرِ كَتَبَهُ اللَّهُ مِنَ الْمَفْلُحِينَ الْمُنْجِحِينَ، حَتَّى إِذَا قَضَى مَنَاسِكَهَ كَتَبَهُ اللَّهُ مِنَ الْفَائِزِينَ، حَتَّى إِذَا أَرَادَ الْإِنْصِرَافَ أَتَاهُ مَلَكٌ فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم يُقَرِّئُكَ السَّلَامَ وَيَقُولُ لَكَ: اسْتَأْنَفَ الْعَمَلَ فَقَدْ غُفِرَ لَكَ مَا مَضَى»^(٢).

د) الشمول بدعاء الإمام الصادق عليه السلام

«عن معاوية بن وهب، قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام وهو في مُصَلَّاه، فجلستُ حتى قضى صلاته، فسمعتَه وهو يناجي ربّه ويقول: يَا مَنْ خَصَّنَا بِالكَرَامَةِ وَوَعَدَنَا الشَّفَاعَةَ... وَخَصَّنَا بِالْوَصِيَّةِ... وَجَعَلَ أَفْئِدَةَ مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْنَا، اغْفِرْ لِي وَلِإِخْوَانِي وَزَوَّارِ قَبْرِ أَبِي الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عليه السلام، الَّذِينَ أَنْفَقُوا أَمْوَالَهُمْ وَأَشْخَصُوا أَبْدَانَهُمْ؛ رَغْبَةً فِي

(١) أنظر: القاضي الطباطبائي، محمد علي، تحقيق دربارہ اربعین سید الشهداء (بحث حول أربعينية سید الشهداء عليه السلام): ص ٩٨.

(٢) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٢٥٣.

برّنا، ورجاءً لما عندك في صلتنا، وسروراً أدخلوه على نبيّك محمد ﷺ، وإجابةً منهم لأمرنا، وغيظاً أدخلوه على عدوّنا؛ أرادوا بذلك رضوانك، فكافهم عنّا بالرضوان»^(١).

إنّ أثر هذه الفقرة من دعاء الإمام الصادق عليه السلام تشعر الزائر في هذه الرحلة الروحانية وكأنّ الشياطين مغلولّة، كما هو حالها في شهر رمضان المبارك، وأنّ بإمكانه إحساس رفقة الله تعالى له. وما أشدّ شعور المرء بالخجل من كلّ هذا اللطف الذي يجلّل به أئمة الهدى عليهم السلام إزاء هذا اليسير الذي تقدّمونه!

ثمّ يُتمّ الإمام عليه السلام هذه النجوى بقوله: «اللهمّ إنّ أعداءنا عبأوا عليهم خروجهم فلم ينههم ذلك عن النهوض والشخوص إلينا خلافاً عليهم، فارحم تلك الوجوه التي غيرتها الشمس، وارحم تلك الخدود التي تقلّب على قبر أبي عبد الله عليه السلام»^(٢).

هـ) التوّلي والتبرّي

التوّلي في الثقافة الإسلامية هو قبول الحكم والوصاية والولاية لله تعالى ولرسوله ﷺ ولمن يعيّنه الله ورسوله، وله صلة وثيقة بمن هم محبوبون عند الله عزّ وجلّ. وبعبارة أخرى: التوّلي هو وحدة المؤمنين الذين يجمعهم هدف واحد.

أمّا التبرّي فهو النأي عن الناس والتيارات التي ليس لها وجهة إلهية، وتصنّف في عداد أعداء الله تعالى. فالتبرّي - بعبارة أخرى مغايرة - هو تحاشي معسكر الباطل^(٣). في الحقيقة إنّ حالتي التوّلي والتبرّي هما من أهمّ الخصوصيّات المرتبطة بتواصل الإنسان مع الله تعالى، وهما موجودتان في الحيوان والنبات أيضاً على هيئة القوتين الجاذبة والدافعة، وتتجلّى في البشر بصورة الحبّ والبغض. فكلّ كائن يجتذب ما يُعجبه ويُرضيه، ويدفع عن نفسه ما لا يرضيه، وكلّ امرئٍ من منطلق رؤيته الخاصّة يُعجّب بأمرٍ فيحبّها، ويَنفّر من غيرها فيكرهها.

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٩٨، ص ٨.

(٢) المصدر السابق.

(٣) أنظر: جعفري، وفا، تولى و تبرى (التوّلي والتبرّي): ص ١٧-١٨.

والتوَّلي والتبرِّي - كما هو الحال مع الإيمان بالله والكفر بالطاغوت - وسيلة مهمّة للسلوك الهادف إلى بلوغ الكمال والسمو والرُّقي، حيث لا تُغني أيّ واحدة منهما عن الأُخرى، ولا يتسنّى للمرء ارتقاء سلّم الرقي بإحداهما دون أُختها^(١).

وجاء موضوع التوَّلي والتبرِّي في فقرة من فقرات زيارة الأربعين، حيث يُشهد الزائر الله (جلّ وعلا) على نفسه، من أنّه يحبّ أولياء الحسين (عليه السلام) ويعادي أعداءه: «اللهمّ إنّني أشهدك أنّي وليّ لمن والاه، وعدوّ لمن عاداه»^(٢).

يقول الإمام الخامنّي في هذا المجال: «يعمل التوَّلي والتبرِّي على تقوية وشائج المسلمين فيما بينهم؛ حتى لا يستطيع عامل أن يفرّق بينهم، بل إنّهُ يخلق فيهم لوناً من حالة الانضباط الحزبي؛ إذ من الممكن أن يتأثر فكر الأقلّية بفكر الأكثرية، وتضمحلّ شخصيّتهم بين شخصيّات الآخرين. ومن أجل مواجهة حالة الذوبان الطبيعية عمل الدين الإسلامي على توثيق أواصرهم فيما بينهم، وفصلهم عن باقي الجبهات؛ كمثّل جماعة من متسلّقي الجبال الذين يتحمّ عليهم اجتياز طريق جبلي وعر مليء بالمنعطفات والعقبات لبلوغ القمّة، فترى بعضهم يلتصق ببعض، ويربطون أحزمتهم إلى بعضهم بإحكام، حتى إذا أوشك أحدهم على السقوط حال الآخرون دون ذلك، وهذه تترجم حالة التماسك الشديد بين المسلمين، التي تُسمى في المصادر الإسلامية بالتوَّلي والتبرِّي»^(٣).

وتتّضح أهمّية التوَّلي والتبرِّي إذا أدركنا أنّ المحبّة إذا وقعت في قلب امرئ تجاه شخص ما، صاحب ذلك انجذاب قلبي إليه، وهذا الانجذاب - بشكل طبيعي - يشبه حالة الكون مع المحبوب والاقتراء به في الخلق والسلوك، ومن ثم يظهر في شخص المحبّ ما هو ظاهر في المحبوب.

(١) أنظر: جواديّ الآملي، عبد الله، ادب فناى مقربان (أدب فناء المقرّبين): ج ١، ص ٥٩.

(٢) مصباح المتّهجد: ج ٢، ص ٧٨٩. القمي، عبّاس، مفاتيح الجنان: زيارة الأربعين.

(٣) أنظر: جعفرى، وفا، تولى و تبرى (التوَّلي والتبرِّي): ص ٢٠.

من هنا؛ يؤسّس الإسلام لموضوع مهمّ عنوانه (التوَّي والتبرّي)؛ لكي يحثّ أتباعه على جعل الصالحين أن يغرسوا في قلوبهم وأرواحهم - بالتوَّي - السمات الحميدة والسلوكيات الصالحة، وليؤمّن به أتباعه - بالتبرّي - من مخاطر الأضرار الأخلاقية والسلوكية الناجمة عن مصادقة الطالحين والظلمة^(١).

(و) الثقة بالنفس

ساعة يبلغ الشخص هدفه بعد مقاساة مشاقّ الطريق تتولّد في أعماقه حالة من الرضا عن نفسه، بأنّ لديه القدرة على تحقيق الأهداف الضخمة، ويترجم أثر حالة الثقة بالنفس هذه في مواصلة حياته بنجاح وموقّية.

ومن المهمّ جدّاً أن يصون الزائر ما ناله في هذه الرحلة الروحانية من ثمار؛ كي يتسنّى له - من خلال التوكّل على الله تعالى، والتوسّل بأهل البيت عليهم السلام، وحضور المجالس الدينية، والتشرّف بزيارة المزارات، ومخالطة الأقران والأشخاص المتديّنين ومجالستهم - اكتساب بعض الفضائل، من قبيل:

الاستقامة والصبر: الصبر بحسب المنطق القرآني سبب للنجاة: ﴿وإن تصبروا وتنتقوا لا يضرّكم كيدهم شيئاً﴾^(٢). فحين يُبلغ المرء نفسه قبر سيّد الشهداء عليه السلام بعد تحمّل عناء الطريق في مسيرة المشي هذه، تصبح روح الصبر والاستقامة عنده ملكة، وهو من النتائج الروحية التي تمهّد لاستقامته في خضمّ أزمان الحياة وعدم هلعه من شدائدّها.

شكر النعم: إنّ من الثمار التربوية لزيارة الأربعين أنّها أفضل موضع لشكر الله تعالى وحمده على النعم التي جعلها في متناول يد عبده، والتي من أهمّها - ولا سيّما في هذه الرحلة - معرفة نعمة الولاية والإمامة، ومن ثمّ نعمة السلامة، والأمن، و... إلى آخره. **السكينة:** السكينة والطمأنينة هما من وجهة نظر الإسلام أمران واقعيّان

(١) المصدر السابق: ص ٢١.

(٢) آل عمران: الآية ١٢٠.



يتسنى استحصالهما. ومن ناحية أخرى أنّ لكلّ سلوك وعمل يأتي به الإنسان انعكاسه الخاص، وأنّ الذهاب لزيارة أبي عبد الله الحسين عليه السلام مشياً على الأقدام جهدٌ معنوي روحاني يقع في إطار رضا الله تعالى وذكره، وإنّ حركةً من هذا النوع، وعلى هذه المرتكزات، تبعث على سكينه فاعلها وطمأنينته، والقرآن الكريم يقول:

﴿أَلَا يَذْكُرُ اللَّهُ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ﴾^(١).

ثم إذا بلغ المرء مقصده بعد قطع مسافات طويلة تنتابه حالة من الشعور بالراحة، وهذا الشعور الطاهر يمكن أن يتمثل بلون من الطمأنينة الروحية تلمس بوضوح في مثل هذه الرحلة^(٢).

عيش نمط الحياة الحسيني: وهو عيش أولئك الذين صغرت الدنيا في أعينهم، ولم تعد تشغل حيزاً كبيراً من قلوبهم مع كلّ ما فيها من محاسن، فراحوا يفكرون في حبّ أكبر برغم كلّ ما يملكون، ولا يهدأ لهم بال إلا بالعمل لمرضاة ربهم.

ونمط الحياة الحسيني الذي يدور مدار الدين هو نمط عقلائي، مقترن بالحياء والعفة وحسن الخلق والتأدّب^(٣). روي عن إمامنا الصادق عليه السلام قوله: «خمس خصال من فقد واحدةً منهنّ لم يزل ناقص العيش، زائل العقل، مشغول القلب. فأولها صحّة البدن، والثانية الأمن، والثالثة السعة في الرزق، والرابعة الأنيس الموافق. قلت: وما الأنيس الموافق؟ قال: الزوجة الصالحة، والولد الصالح، والجليس الصالح. والخامسة - وهي تجمع هذه الخصال - الدعة»^(٤).

(١) الرعد: الآية ٢٨.

(٢) أنظر: تقوى، رضا، اربعين در فرهنگ اسلامي (الأربعين في الثقافة الإسلامية): ص ٨٨.

(٣) أنظر: مطهرى، مرتضى، يادداشتهاى استاد مطهرى (مدونات الأستاذ المطهرى): ص ٤١.

(٤) الصدوق، محمد بن علي، الخصال: ص ٢٨٤. الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة:

ج ١٥، ص ٢٠٨.

٢. نمط تواصل الزائر مع أولياء الله في زيارة الأربعين

الزيارة الأربعينية فرصة منقطعة النظير، بل هي فرصة ذهبية لخلق حالة من الارتباط بين الزائر وأولياء الله؛ إذ يداوم زائر أربعينية الإمام الحسين (عليه السلام) - وهو يسير في هذا الطريق النير - على أعمال، من قبيل الدعاء، والتوسّل، والعزاء. وأن إقامة حالة تواصل روحانية مع أولياء الله تعالى هي من جملة الأمور التي تطيّب حال الزائر أثناء المسيرة الأربعينية الراحلة.

آداب تواصل الزائر مع أولياء الله

ونشير هنا إلى بعض الآداب التي من ميسورها أن تقوّي عملية التواصل بين الإنسان وأولياء الله عزّ وجلّ:

أ) الزيارة

تنتاب الزائر أيام المسيرة الأربعينية حالة من القلق والاضطراب، وتهجم عليه هواجس الشكّ والخوف وغيرهما؛ والسبب هو بعده عن البيئة التي أنس العيش فيها، ومشاهدته أحداث غريبة أثناء مسيره، وهذه الحالات تبدو طبيعية إلى حدّ ما، وما كلّ زائر بقادر على طردها من نفسه والتحلّي بالسكون والطمأنينة. وهنا تأتي زيارة أهل البيت (عليهم السلام) وأولياء الله لتنجيه من جميع الاضطرابات وتوصله إلى راحة البال، فكأنّ جاذبيّة واحتياجات ملزمة تتبلور في كيانه، فتطرّد عنه الأزمات النفسية والمحن الروحية^(١).

عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام): «مَنْ أتاها شوقاً إليه كان من عباد الله المكرمين، وكان تحت لواء الحسين بن علي حتّى يُدخلهما الله الجنة»^(٢)؛ أي إنّ ارتباط الزائر بأولياء الله تعالى هو مدعاة لسكينته وطمأنينته، وأنّ لنا أن نزعّم أنّ الزيارة هي من وسائط

(١) القاضي الطباطبائي، محمد علي، تحقيق دربارہ اربعین سید الشهداء (بحث حول أربعينية سيّد الشهداء (عليه السلام)): ص ٩١.

(٢) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ١٤٣.



التواصل مع أولياء الله عز وجل، وأن زيارة الإمام الحسين عليه السلام هي من أجل مصاديق هذا التواصل.

ونشاهد اليوم أعداداً ضخمة من الزوّار يجتمعون في العراق قادمين من بقاع مختلفة من العالم في أيام الأربعين الروحانية والملكوتية لزيارة أبي عبد الله الحسين عليه السلام، وأن هذه الزيارة ذريعة لتواصل الزائرين مع هذا الإمام عليه السلام، وأن أعظم نتيجة محمودة لهذه الرحلة هي خلق حالة تواصل معنوية مع ذات الإمام الحسين عليه السلام السامية.

(ب) التوسّل

صنّف التوسّل بأكمل البشر - وهم أولياء الله عز وجل والأئمة المعصومون عليهم السلام - في خانة الموضوعات التي أكّدها المصادر الإسلامية غاية التأكيد، وعدّها أعمالاً محبّذة. يقول تعالى في هذا الصدد: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ﴾^(١). كما عدّ أهل البيت عليهم السلام في بعض الروايات وسيلةً للتقرّب إلى الله، فقد روي عن مولانا فاطمة الزهراء عليها السلام: «واحمدوا الله الذي لعظمته ونوره يتغي من في السموات والأرض إليه الوسيلة، ونحن وسيلته في خلقه»^(٢). وعليه؛ فإنّ التوسّل بأنبياء الله تعالى والأئمة المعصومين عليهم السلام في الدنيا، وطلب شفاعتهم في الآخرة، هو أمر لا يتسنّى إنكاره.

إنّ التوسّل الذي يُقرّب الزائر إلى الحضرة الإلهية، فيسألها حوائجه الماديّة والمعنوية؛ ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾^(٣)؛ أي: فتشوا في السلوك إلى ربكم عن الوسيلة والواسطة. على أنّ التوسّل بالأئمة عليهم السلام لا يعني ألا يتواصل المرء مع الله على الإطلاق، بل إنّ الحوار معه (جلّ وعلا) مفتوح في كلّ زمان ومكان، مع فارق أنّ الاستفادة من الوسيلة أن يتقرّب الإنسان من مقصده بسرعة. فالزائر المدرك لتقصيره

(١) النساء: الآية ٦٤.

(٢) ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله، شرح نهج البلاغة: ج ١٦، ص ٢١١.

(٣) المائدة: الآية ٣٥.

وتقاعسه، والشاعر بالخجل بين يدي ربه، لا يسمح لنفسه أن يسأل الله بشكل مباشر، وحيث إنه يستحي من المطالبة فإنه يجعل من أولياء الله - الذين يحضرون عند الله بالمنزلة والوجاهة - وسائط فيضه عز وجل، فيسأل حوائجه من هذا الطريق.

يُفهم ممّا سبق ذكره أنّ ساعة يضع زائر الأربعين قدمه في كربلاء، ويتشرف بزيارة أبي عبد الله الحسين عليه السلام، وينهمك في خدمة زوّاره، لن يكون عمله هذا عملاً محموداً فحسب، بل يُجزى عليه أجراً حزيلاً.

ج) العزاء

إنّ الظلامة التي انطوت عليها شهادة الإمام الحسين عليه السلام وكونه فلذة كبذ نبي الإسلام ﷺ، جعلت له في قلوب محبّي أهل البيت عليه السلام قدسية خاصّة؛ ولهذا ترى المسلمين يكون ظلامته، ويقىمون العزاء إظهاراً للحبّ والعاطفة تجاهه، وإعزازاً وإكراماً لوجوده المبارك.

إنّ منشأ أهميّة آداب العزاء وقيمتها هو أنّ هذه الآداب تحيي في قلب ابن آدم عملاً طبيعياً؛ ذلك أنّ هذا العمل عاطفة تنبع من غريزة راسخة تشكّل جزءاً لا يتجزأ من تركيبة الإنسان الروحية والنفسيّة، فعند غياب الشيء الذي قد تعلّق الإنسان به بأصرة وثيقة ومميّزة، يتّخذ العزاء في الغالب منحى الحزن والأسى، والعنصر الرئيس في هذا الموضوع هو المعزّي، بحيث لولاه لما أمكن تحقّق العزاء، على أنّ هذا الغياب أو الفقدان يقترن في العادة بأحاسيس مشفوعة بالحزن، الذي يعتمد حجمه على منزلة الشيء المفقود وقيمته، وكذا على القابلية الروحية للشخص المصاب.

وليس البكاء وإقامة العزاء على كلّ فقدانٍ بالشيء الممدوح في التعاليم الإسلامية، إلّا أنّ العزاء والبكاء على شهادة أبي عبد الله الحسين عليه السلام المشحونة بالظلامة هما من الأمور المحمودّة^(١)؛ فعن إمامنا الصادق عليه السلام أنّه قال: «إنّ البكاء والجزع مكروه للعبد

(١) صاحبى، محمد جواد، مناسبات دين و فرهنگ در جامعه ايران (العلاقات بين الدين والثقافة في المجتمع الإيراني): ص ١٠٣.

في كلّ ما جزع، ما خلا البكاء والجزع على الحسين بن علي عليه السلام؛ فإنه فيه مأجور^(١). وتُظهر الرواية الفرق الذي استثنى به العزاء على الإمام الحسين عليه السلام عن العزاء على غيره؛ ولهذا جاء التأكيد في روايات أهل البيت عليهم السلام على إقامة العزاء على سيّد الشهداء عليه السلام في أوقات شتّى، وأنّ أيام الأربعينية الروحانية ومظاهر الحزن والعزاء على الإمام الحسين عليه السلام لا تقتصر على حالة التعاطي العاطفي مع واقعة كربلاء، وكونها نشاطاً سياسياً، وتحديداً لأنظمة الجور الحاكمة، بل هي حركة عقدية تكتسب قوّتها من مرتكز ديني تُعدّ آدابُ شعائر العزاء فيه عنصراً جوهرياً في إرساء دعائمه وترسيخ أسسه ونشر تعاليمه.

ويتعيّن القول هنا بأنّ المشي - الذي هو من الآداب الخاصّة بالزيارة الأربعينية - جهد بدني في ظاهره، لكنّه في واقع الأمر عمل روحاني يلائم الزائر فيه نفسه روحياً وبدنياً مع حقيقة عزاء سيّد الشهداء عليه السلام؛ إذ تمارس مواعيد العزاء أثناء السير عزاءها بأسلوب خاصّ سعياً لإحكام وشائجها من خلاله مع أولياء الله تعالى، وهذا هو مبتغاها.

كما يضمن المشي للزائرين فرصة توظيف أعمالهم وحركاتهم البدنية للوصول إلى مرحلة طهارة الروح؛ إذ تتاب جسم الزائر أثناء المشي وبعده حالة من الضعف، ما يجعله ينساق بسهولة باتجاه رُقي الجانب الروحي فيه؛ فإنّه في غضون هذه المدّة الزمنية يُقضي عنه الرغبات والشهوات الجامحة، التي تحتاج لظهورها في الغالب إلى جسم قوي، وهذا تحديداً ما يجعل الحالة الروحانية من العلامات الطاغية على روح الزائر طيلة رحلته، بل لربّما بقيت حالة الطهارة هذه في كيانه حيّة مع مرور الأيام تاركة بصماتها في نشاطاته اليومية.

كما يهب المشي الزائر خبرات معرفية جديدة حصيلتها أنّ الزائر يكتشف في أثناء رحلته عالماً جديداً، وينشغل بمشاهدة أماكن وأجواء روحانية، ويتّصل بشخصيات عظيمة الشأن.

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ١٠٠.

وبعبارة أخرى: تتحقق لهذا الشخص إطلاقات بديعة على البيئة المحيطة به، ويكتسب ضرباً من معرفة النفس^(١).

نتائج تواصل الزائر مع أولياء الله

حصيلة الآداب الأنفة الذكر هي النتائج التي ستطرق إليها فيما يلي:

(أ) نصرة الإمام المهدي عليه السلام

جاء في مصادرنا الروائية: «سمعتُ أبا جعفر [محمد بن علي الباقر] عليه السلام يقول: القائم منّا منصور بالرعب، مؤيد بالنصر»^(٢). مع شيء من الدقة والبصيرة سنعرف بكلّ وضوح أنّ الملحمة الأربعينية، خلال السنوات الأخيرة، قد أثارت في جنان الأعداء والمستكبرين في العالم حالة من الذعر والاضطراب لا تستطيع أن تثيرها أية ماكنة إعلامية.

ولو أدير هذا التجمّع المليونى على مستوى الأمة الإسلامية بذكاء، وقاد إلى نشر ثقافة أهل البيت عليهم السلام، التي هي امتثال التعاليم الإلهية، لتهيأت الأرضية لظهور صاحب العصر عليه السلام ونصرته؛ حيث إنّه: «ولو أنّ أشياعنا - وفقهم الله لطاعته - على اجتماع من القلوب في الوفاء بالعهد عليهم، لما تأخر عنهم اليُمن بلقائنا، ولتعجّلت لهم السعادة بمشاهدتنا على حقّ المعرفة وصدقها منهم بنا، فما يحبسنا عنهم إلّا ما يتّصل بنا ممّا نكرهه ولا نُؤثره منهم»^(٣).

(ب) مسرّة قلوب أهل البيت عليهم السلام

في رواية عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنّه قال: «...ولو يعلم الزائر للحسين عليه السلام ما يدخل على رسول الله صلى الله عليه وآله من الفرح، وإلى أمير المؤمنين وإلى فاطمة وإلى الأئمة عليهم السلام»

(١) الخامتي، علي، فرهنگ (الثقافة): ص ٧٩.

(٢) الطبرسي، الفضل بن الحسن، إعلام الورى بأعلام الهدى: ج ٢، ص ٢٩١.

(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٥٣، ص ١٧٧.



والشهداء منّا أهل البيت، وما ينقلب به من دعائهم له، وما له في ذلك من الثواب في العاجل والآجل والمذخور له عند الله، لأحبّ أن يكون ما تمّ داره ما بقي. وإنّ زائرَه ليخرج من رحله فما يقع قدمه على شيء إلاّ دعا له، فإذا وقعت الشمس عليه أكلت ذنوبه كما تأكل النار الحطب، وما تُبقي الشمس عليه من ذنوبه شيئاً، فينصرف وما عليه ذنب، وقد رُفِعَ له من الدرجات ما لا يناله المتشحّط في دمه في سبيل الله، ويوكّل به ملك يقوم مقامه ويستغفر له حتّى يرجع إلى الزيارة، أو يمضي ثلاث سنين، أو يموت... وذكر الحديث بطوله^(١).

ج) الاعتقاد بمقام الولي وامتثال أوامر المعصوم عليه السلام

من خلال اعتقاد الزائر بمقام الولي وامتثاله أوامر الإمام المعصوم عليه السلام يُبرَم بين الاثنين عهد^(٢)، وهو عهد يستتبع التزاماتٍ ومسؤوليّاتٍ، منها زيارة الأئمة عليهم السلام في زمان وفاتهم؛ فإنّه في كلام الإمام الصادق عليه السلام عالي المضامين، يُعدّ زيارة الإمام المعصوم عليه السلام حقّاً له، بل - بتعبير آخر - من حقوق الله عزّ وجلّ، ويقول في مقام سيّد الشهداء عليه السلام الرفيع: «لو أنّ أحدكم حجّ ألف حجة ثمّ لم يأت قبر الحسين بن علي عليه السلام، لكان قد ترك حقّاً من حقوق الله تعالى. وسُئِلَ عن ذلك، فقال: حقّ الحسين عليه السلام مفروض على كلّ مسلم»^(٣).

إنّ قبول الزيارة مرهون بمعرفة حقّ الإمام المعصوم عليه السلام وأداء هذا الحقّ، فقد جاء عن الإمام الرضا عليه السلام في فضيلة زيارة أبي عبد الله الحسين عليه السلام أنّه قال: «مَنْ زَارَ الحسين بن علي عليه السلام عارفاً بحقه كان من محدّثي الله فوق عرشه، ثمّ قرأ: ﴿إِنَّ الْتَّقِينَ فِي جَنَّتٍ وَنَهْرٍ ۝٥٤﴾ فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقَدِّرٍ ﴿٥٤﴾»^(٤).

(١) النوري، الحسين بن محمد، مستدرک الوسائل: ج ١٠، ص ٣٤٣.

(٢) أنظر: الكوفي، فرات بن إبراهيم، تفسير فرات الكوفي: ص ٥٨.

(٣) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٣٥٧.

(٤) القمر: الآيتان ٥٤-٥٥.

(٥) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٢٦٧-٢٦٨.

وعليه؛ فإنَّ زيارة الأربعين هي ضرب من الدعوة من جانب الإمام الحسين عليه السلام، دعوة تكمن أهميتها في كونها تهدف إلى تجديد العهد مع الولي والإمام، وإنَّ الزائر ليبرم عهده مع أهداف الإمام عليه السلام العالية إبراماً، ويحكم بيعته له إحكاماً، وإنَّ من شأن ندائه (يا حسين) أن يُعدَّ إجابةً للدعوة بغية الوصول إلى نبع الفيض الإلهي غير الناضب، الذي من أجله تجشَّم مصاعب السفر وخطا في هذا الطريق الإلهي.

د) اقتران المدرستين الحسينية والمهدوية

إنَّ من شأن الأربعينية الحسينية أن تُشكِّل عنصراً مهماً تَقترن فيه النهضة العاشورائية الدائمة مع ظهور آخر مُنقذٍ لعالم البشرية؛ فإنَّ نهضة الإمام الحسين عليه السلام الاستشهادية لم تنحصر في حدود اليوم العاشر من محرم سنة ٦١ من الهجرة الضيقة، بل لقد تجلَّتْ بزيارة جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه مدرسة إيمانية مقارعة للظلم، وعلى الرغم من تعرُّض هذه المدرسة - على مرِّ السنين المتطاولة - لهجمات حُكَّام الجور، فلقد انبعثت في عصرنا الحاضر بشكل قوي، حتى صارت تُبشِّرُ بظهور مُنقذ البشرية أيضاً.

وستتطرق في هذا الجزء من المقالة إلى القواسم المشتركة بين المدرستين الحسينية والمهدوية؛ لما نعتقده من أنَّ الزيارة الأربعينية تجسد المثل الإلهية العليا التي طرحها الإمام الحسين عليه السلام، وستمثِّل الجسر الذي يربط نهضته بظهور الإمام الحجة عليه السلام.

تناسب مدرسة عاشوراء مع ظهور منقذ البشرية

تُمثِّل عاشوراء من وجهة نظر المفكرين المسلمين مدرسة؛ ذلك أنَّ النهضة العاشورائية تنبثق من رؤية كونية خاصّة، وتشتمل على تعاليم متَّسقة^(١). هذا؛ وإنَّ التمعّن والتأمّل في ماهية المدرستين - الحسينية والمهدوية - ومقاصدهما ومظاهرها الاجتماعية يقود إلى معرفتهما على نحو أفضل، بحسب التوضيح التالي:

(١) أنظر: مطهري، مرتضى، مقدمهای بر جهانبینی اسلامی (مقدّمة للرؤية الكونية الإسلامية):

أولاً: أنه يُلفت للتقارب الماهوي بين مدرسة عاشوراء والظهور؛ ففي وصيته أعلن سيّد الشهداء (عليه السلام) أن الغاية من نهضته هي الإصلاح في أمة جدّه رسول الله (صلى الله عليه وآله) والسير بسيرته^(١)؛ من هنا فإنّ هذه النهضة نهضة دينية قامت بإمامة معصوم، غايتها إصلاح الأُمّة المسلمة ومناوأة كلّ جور وعدوان، وهي تتواءم مع نهضة الإمام المهدي (عليه السلام) فيها بعد؛ إذ قد ذكّرت الروايات المهدويّة أنّ الإصلاح في الأُمّة، وإحياء التعاليم الدينية، والعمل بسيرة رسول الله (صلى الله عليه وآله) ونهجه، هي من معالم نهضة إمام العصر (عليه السلام)^(٢)، وأنّ بسط القسط والعدل هو أهمّ هذه المعالم، ويشمل قضايا أخلاقية واجتماعية^(٣)، وهو يعني - بتعبير أدقّ - محاربة كلّ عدوان وتعدّ.

وعليه؛ فإنّ هناك أوجه شبه وتناسب كثيرة بين النهضتين، من حيث قضية الولاية وماهية التبلور؛ إذ إنّ كلاّ منهما مدرسة تدور مدار الدين، وتناهض الظلم، وتتبنّى نظرة إصلاحية.

ثانياً: تناسب أهداف نهضة عاشوراء مع الظهور الذي هو الإنقاذ من الضلالة؛ فإنّه من أهداف نهضة أبي عبد الله الحسين (عليه السلام)؛ ويتجلّى هذا الهدف في فقرة وردت في زيارة الأربعين، هي: «وبذل مهجته فيك؛ ليستنقذ عبادك من الجهالة وخيرة الضلالة»، والضلال عن سبيل الهدى من منظار الإمام الحسين (عليه السلام) خروج عن دائرة دين الله تعالى، وعلاجه هو العودة إلى العمل بسيرة النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله) وانتهاج نهجه^(٤).

هذا؛ ويُعدّ إنقاذ الأُمم البشرية من الضلالة من الأهداف الرئيسة لنهضة الإمام صاحب العصر (عليه السلام)، وهو ما يُروى عن إمامنا الباقر (عليه السلام) في هذا الصدد: «إذا قام

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٣٢٩.

(٢) أنظر: النعماني، محمد بن إبراهيم، الغيبة: ص ٢٣٨.

(٣) أنظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٥١، ص ٨٢.

(٤) أنظر: المصدر السابق: ج ٤٤، ص ٣٨١.

قائماً وضع يده على رؤوس العباد، فجمع به عقولهم، وأكمل به أخلاقهم»^(١). إن هذه الرواية تجعل نهضة صاحب الزمان عليه السلام والإجراءات التي يقوم بها في زمان الظهور في سياق تكامل نفوس البشر وعقولهم وتحرّره من الأغلال المادّية والدينيّة^(٢). وبعبارة أكثر دقّة: لا بدّ أن نُقرّ بأنّ ديمومة عملية تخلص البشرية والتجليّ التامّ لتحريرها يكون في عصر ظهور الإمام الحجّة عليه السلام؛ ذلك أنّ زوال الجهل والضلالة يقوم ببلوغ عقول البشر إلى الكمال، حيث تكتمل هذه العقول وترتقي الأخلاق بظهوره عليه السلام. من أجل ذلك؛ لا بدّ من القول بأنّ الزيارة الأربعينية هي استمرارية لتجليّ نفس الإمام المعصوم عليه السلام القدسية، التي تمدّ من عالم الملكوت إلى البشر يدّ العون والنصرة؛ سعيّاً لهدايتهم وإنقاذهم، حيث ستسلّم راية الهدى في القريب العاجل لصاحب العصر والزمان عليه السلام.

٣. نمط تواصل الزائر مع باقي الزوّار في الأربعين

إنّ تواصل الزائر مع بني جنسه يستقطب في أيّام أربعينية سيّد الشهداء عليه السلام في كلّ سنة الملايين من أحباب الحسين عليه السلام من كلّ بقاع العالم صوب كربلاء المقدّسة، ليجدّوا لإمامهم ووليّهم البيعة، ويعلنوا عن استعدادهم لمقارعة أعداء الإسلام. إنّ أهميّة قضية ما في ديننا الإسلامي الحنيف تتضاعف أضعافاً حين تُتخذ هذه القضية علماً وشعاراً للدين، ولقد أصبحت الأربعينية اليوم رمزاً لتبليغ مُثل سيّد الشهداء عليه السلام العليا، والتعاليم الإسلامية، والتضحيات على طريق امتثال الأوامر الإلهية، التي باتت اليوم - بفضل التدابير الإلهية - خالدة إلى أبد الأبد؛ إذ كان الشيعة في العالم يُعرفون أُمّة متفرّقة لا تقطن موطناً واحداً، لكن تجمعهم روحٌ واحدة تنبض بالحياة في أبدان شتّى؛ شأن حبّات المسبحة التي يجمع بعضها إلى بعض نظاماً

(١) المصدر السابق: ج ٥٢، ص ٣٣٦.

(٢) أنظر: المصدر السابق: ج ٦٨، ص ٣٨٢.

واحد، وهذا النظام في المقام يتمثل في طاعة مركز التشيع، ألا وهو الإمام عليه السلام. غير أنّ تجمّعاً عالمياً كان ينقص شيعة هذا الزمان، ولقد أعلن الأئمة الأطهار عليهم السلام زمان هذا التجمّع ومكانه، وشدّدوا على ضرورة أن يشارك في هذا التجمّع كلّ من استطاع المشاركة؛ فالزمان يوم الأربعاء، والمكان أرض كربلاء^(١).

إنّ خدمة زوّار أبي عبد الله عليه السلام في مسيرة المشي العظيمة في الأربعين هي من المظاهر الروحانية، وقد خاطب الإمام الخامنّي (دام ظله) أصحاب المواكب العراقية قائلاً: «لقد جسّدتم - يا أصحاب المواكب - في سلوككم وأعمالكم الكرامة الإسلامية والعربية، كلّ هذا حبّاً بسيد الشهداء عليه السلام؛ فإنّكم تقومون، حبّاً بالحسين عليه السلام، بغسل أرجل الزائرين، وتذكّلك أجسامهم عند الإعياء الشديد، وإطعامهم الطعام، وتهيئة المنام؛ لكونهم زوّار الحسين عليه السلام»^(٢).

إنّ أيام الأربعين المباركة لتحرض الشيعة على إثارة زوّار الأربعين على أنفسهم والبذل لهم، وإنّ هذه الآداب، وهذه الحركة الإلهية هي ممّا يقرّه الدين الإسلامي.

آداب تواصل الزائر مع الآخرين

نتناول في هذا الجزء من المقالة الآداب التي يُلزم زائر الأربعين الحسيني نفسه بها لدى تواصله مع سائر زوّار الحسين عليه السلام، وهي:

أ) إنفاق المال

يؤمّ كربلاء في موسم الأربعينية الضخم سنوياً من مختلف أصقاع العالم ملايين الزائرين لزيارة المرقد الطاهر لسيد الشهداء عليه السلام، فيُهيّأ لهم المأكّل والمشرب.

(١) صاحبي، محمد جواد، مناسبات دين و فرهنك در جامعه ايران (العلاقات بين الدين والثقافة في المجتمع الإيراني): ص ٦٢.

(٢) الموقع الرسمي لساحة الإمام الخامنّي (khamenei.ir): لقاءه جمهرة من أصحاب المواكب العراقية في ١٨ أيلول ٢٠١٩ م / ١٨ محرم ١٤٤١ هـ. [المترجم].

وإن من أهم ميادين خدمة العباد خدمة ضيوف الله عز وجل وزائري البقاع المقدسة التي رفع الله (جل شأنه) مقام أصحابها، فقال: ﴿فِي يُؤْتِي أَذْنَ اللَّهِ أَنْ تَرْفَعَ وَيَذْكُرَ فِيهَا أَسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾^(١). وسنلاحظ بقليل من التأمل أنه ما دامت خدمة عباد الله محط اهتمام الله عز وجل فمن الأولى أن تكون خدمة الزائرين الذين يسIRON تعظيماً لشعائر الله وشعائر الإسلام ذات قيمة عالية، ولا ريب أن خدام زوار الأربعين الحسيني اليوم سيُصنّفون في عداد هؤلاء المعظمين، وأن هذا المؤثر على تقوى القلوب؛ لقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾^(٢). كما يفهم من تعاليم الإسلام الدينية أن خدام زوار الأربعينية ينخرطون في عداد معظّمي شعائر الله من جهة، وأنهم - وعلى خلفية إعانتهم هؤلاء المسافرين - يشملون بوعده رسول الله ﷺ إذ قال: «مَنْ أَعَانَ مُؤْمِناً مُسَافِراً نَفْسَ اللَّهِ عَنْهُ ثَلَاثًا وَسَبْعِينَ كُرْبَةً، وَأَجَارَهُ مِنَ الْغَمِّ وَالْهَمِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَنَفَسَ عَنْهُ كَرْبَهُ الْعَظِيمَ يَوْمَ يَغْصُّ النَّاسُ بِأَنْفُسِهِمْ»^(٣) من جهة أخرى. هذا وترقى خدمة المسافر المسلم في الأهمية إلى درجة أنها تتجسّد في سيرة أهل البيت عليهم السلام أنفسهم.

(ب) الإيثار

من المصاديق المهمة لأداب التواصل بين زائري سيّد الشهداء عليه السلام هو التمرين على الإيثار، الذي ينعكس على هيئة سلوك إيثاري في الزائر نفسه، وتُشاهد مصاديق الإيثار أثناء المسيرة الأربعينية بوفرة. ولقد صور القرآن الكريم هذه الثقافة بكل روعة في قوله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾^(٤).

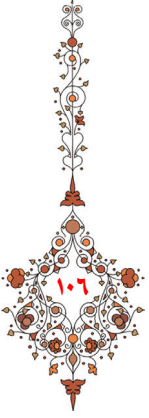
لدى انطلاقة هذه الحركة الثقافية لم يكن العراقيون في وضع مالي جيّد، وما

(١) النور: الآية ٣٦.

(٢) الحج: الآية ٣٢.

(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٧٣، ص ٢٧٤.

(٤) الحشر: الآية ٩.



زالوا كذلك، إلا أنّ هذه المشاكل والنقائص تُنسى تماماً في أيّام الأربعين، ولا يعود يشغلهم حينها سوى توفير أسباب الراحة للزائرين، فيرسمون صوراً إثارية ناصعة، ويبدلون جهدهم وكلّ ما في وسعهم لتقديم الخدمات لهم.

(ج) إطعام الطعام

لقد بذل سيّد الشهداء عليه السلام كلّ ما يملك، وضحّى بغاية ما يستطيع؛ مرضاةً لربّه، حتى اكتسب عند الله منزلةً رفيعة؛ ولهذا فإنّ كلّ عمل يُنجز في سياق حركة النهضة الحسينية يستحقّ جزيل الأجر والثواب؛ فإنّ إحياء ذكر الإمام الحسين عليه السلام بتدابير نابعة عن إخلاص، سوف يثيب الله المحيي لقاء هذا العمل القليل أعظم الجزاء. وتُشاهد في أيّام الأربعينية النيرة على طول طريق السائرين، وفي كربلاء المقدّسة، ظاهرة إطعام الزائرين؛ فإنّ ذلك يُعدّ من الأمور المهمّة التي يُحبّها البارئ عزّ وجلّ ويُقرّها؛ حيث روي عن إمامنا الباقر عليه السلام أنّه قال: «إنّ الله عزّ وجلّ يحبّ إطعام الطعام وإراقة الدماء»^(١).

ويجعل المفكّرون المسلمون إطعام الطعام ضرباً من الكفّارة، يتسنّى من خلاله غسل النفس لتطهيرها من أدران الذنوب. وهو - إطعام الطعام - من مستحبات الدين، ثماره دنيوية وأخروية معاً؛ فعن رسول الله صلّى الله عليه وآله أنّه قال: «البيت الذي يُمتار منه الخبز البركة أسرعُ إليه من الشفرة في سنام البعير»^(٢).

إنّ إطعام زائر سيّد الشهداء عليه السلام - ولا سيّما ذاك الذي تجشّم عناء السفر ومتاعبه مشياً على الأقدام - حبّاً بولي الله، هو عند الله (جلّ وعلا) في منتهى القيمة والأهميّة؛ لأنّ هذا الزائر نفسه محبوب عند الله تبارك وتعالى، فلقد أتى أبا عبد الله الصادق عليه السلام رجلٌ فسأله عن ذلك قائلاً: «فما للمُنْفِق في خروجه إليه والمنْفِق عنده؟ قال: الدرهم بألف درهم»^(٣).

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٤، ص ٥١.

(٢) البرقي، أحمد بن محمد، المحاسن: ج ٢، ص ٣٩٠.

(٣) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ١٩٤.

وبخصوص أجر إطعام زوّار الأربعين نقول: حتى لو لم ترد رواية بهذا الخصوص، يكفي تحقّق الإطعام باسم سيّد الشهداء عليه السلام؛ لما له من منزلة رفيعة عند الله (جلّ شأنه).

نتائج تواصل الزائر مع الآخرين

إنّ عمل زائر الأربعين الحسيني بالآداب الآنف الذكر يدرّ عليه بتائج وثمار تُمهدّ له الأرضية للتحرّك في طريق تعظيم شعائر الله وإحياء التعاليم الإسلامية، ومن تلك النتائج:

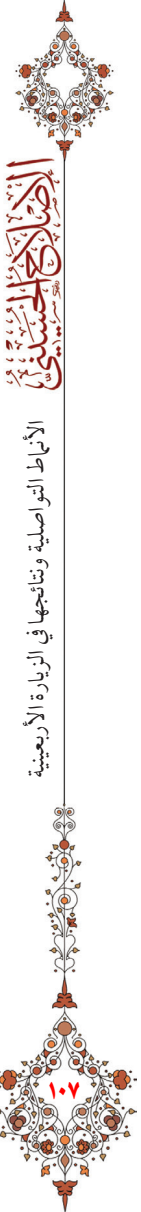
أ) استنهاض روح مقارعة الكفر والاستكبار

اجتماع الأربعينيين - التجمّع المليون للمؤمنين - في أيّام الزيارة الأربعينية، الذي يكون على حبّ الإمام الحسين عليه السلام، وتبنّي أهدافه، واستمداد الوعي من روح نهضته وجهاده، اجتماع من شأنه أن يكون ذا جدوى في معالجة مشكلات العصر التي تعاني منها المجتمعات المسلمة؛ فزائر الأربعين يعلم أنّه يخطو في درب سار فيه الحسين عليه السلام على مرّ التاريخ لإبلاغ رسالة الإسلام المحرّرة للإنسان من أغلال الكفر والاستكبار، وأنّ الذي يشغل فكره في طريق المشي الطويل هو معرفة يزيد العصر، وشمّر العصر، وابن سعد العصر، فالزائر يحدث نفسه بأنّه يسير في هذا الطريق على مواضع خطى الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه، يقتفي آثارهم في مختلف مراحل حياته، فلا ينحني أمام الكفر والاستكبار، ويُقصي عنه - على حدّ قول إمامه عليه السلام - الذلّة، حتى ولو كان الثمن دمه^(١).

ب) تمرين الجهاد إلى الله

يتمرّن مُشاة طريق الأربعين الحسيني عبر قطعهم إيّاه - كلّ بحسب قوّته وقابليته - على الجهاد إلى الله تعالى؛ فإنّ تعبت رجلا الزائر في طريق كربلاء، وشعر بالإعياء

(١) أنظر: الجواد، مرتضى، فلسفه زیارت و آیین آن (فلسفة الزيارة وطقوسها): ص ٦٨.



في جسده، فسيزده ذلك اتّصالاً روحياً بالإمام الحسين عليه السلام، ويصير يُتمتم مع نفسه أنّه على استعداد من أجل أن تطأ قدماه الصحن الحسيني الشريف لأن يتقبّل كلّ ما يقاسيه في الطريق من إعياء وصعاب بكلّ أريحية.

إنّ السائرين في طريق الأربعين يعطّلون حياتهم، ويتركون أشغالهم؛ مرضاةً لله عز وجل، وتقديماً لفروض الاحترام لأهل البيت عليهم السلام، فيعيشون الحياة الطيبة التي لا مجال فيها للمظاهر الدنيوية، وكلّ ما فيها مثابرة وجهاد وطيّ طريق لبلوغ المحبوب، حيث لا بدّ للمرء ألا يغيب محبوبه عن باله، وألا يغفل - ولو للحظة واحدة - عن التفكير في هدفه، سواء أكان الطريق ترابياً أم صخرياً، والطقس ممطراً أم مشمساً، والجو حارّاً أم بارداً^(١).

(ج) خلق مشاعر الأخوة مع شيعة العالم

حين يسير زائر أبي عبد الله الحسين عليه السلام بضعة أيام بمعية سائر محبّي الإمام عليه السلام ويرافقهم في الطريق، ويؤاكلهم على مائدة واحدة، وينام معهم في موضع واحد، فإنّه سيُدرك - بالمعنى الحرفي للكلمة - مصداق قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾^(٢)، ويلمسه لمساً. فما أروع وما ألدّ أن يحسّ المرء أنّه حاضر في تجمّع مكوّن من عشرات الملايين، يشعر بأنّهم جميعاً إخوته وأخواته في الدين، فيرافقهم في الطريق، ويتواصل معهم، ويطلّع على أوضاعهم وأحوالهم وحياتهم.

زد على ذلك أنّ الزائر في هذا الدرب يخوض تجربة فريدة من نوعها، قوامها روح التعاون مع باقي أحباب الإمام عليه السلام، بغضّ النظر عن جنسهم وقوميتهم، بل ودينهم. هذا؛ بالإضافة إلى أنّ حالتي الإيثار ونكران الذات تتجسّدان خلال المسيرة الأربعينية في أروع صورهما، وتمارسان في الطريق بمختلف أشكالهما^(٣).

(١) أنظر: وكالة تسنيم للأنباء، تاريخ: ٢٠ كانون الأوّل ٢٠١٣ م.

(٢) الحجرات: الآية ١٠.

(٣) أنظر: صاحبي، محمد جواد، مناسبات دين و فرهنگ در جامعه ايران (العلاقات بين الدين والثقافة في المجتمع الإيراني): ص ٥٣.

د) الشعور الجماعي بالحماسة الحسينية

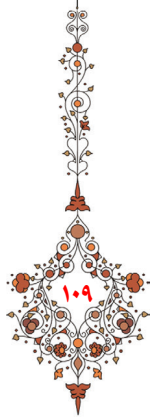
يشعر المرء وهو في المسيرة الأربعينية وكأنه قطرة في بحر لجي، فيلمس تجربة الفناء في الله بروحه، ومن الواضح أنّ كلّ امرئ ينتفع من هذه التجربة بمقدار قابليته الوجودية؛ فزوّار أبي عبد الله الحسين (عليه السلام) في هذه المسيرة شأنهم شأن حجاج بيت الله الحرام في المشعر ومنى، يسرون جنباً إلى جنب مع إخوانهم مشياً نحو كربلاء. وإنّما تكتسب هذه الحركة أهميتها من ناحية أنّ السائرين يعلمون أنّهم جزء من تجمّع قد ترك كلّ فرد فيه عمله وروتينه اليومي، وجاء يمشي في هذا الدرب مقدّماً فروض المحبة والولاء لأبي عبد الله (عليه السلام)، ومعلنّاً استعداداته لنصرة بقية الله الأعظم (عليه السلام) من خلال ترنّمه بـ (يا ليتنا كنّا معك). وأنّ من شأن هذه المشاركة، وهذا الحماس الواعي أن يسدّد المرء طيلة العام القادم - إن شاء الله - بأن يرى نفسه في كلّ لحظة من لحظات حياته سائراً على نهج أهل البيت (عليهم السلام)، ويقيها الانحراف والزلل بالتمسك بأصحاب الكساء^(١).

الخاتمة

في الزيارة الأربعينية، حيث يفد الزائرون على العراق من مختلف أصقاع العالم، ومن شتى الألوان والأجيال والقوميّات، يتبنّى الزائر إثر دخوله هذه الأجواء النيرة والملكوّية أنماطاً تواصلية خاصّة، يكتسب من خلالها، وعبر الإتيان ببعض الأعمال والآداب الإسلامية، معرفة أكبر بالكثير من التعاليم الدينية، فتتبلور في نهاية المطاف - نتيجة هذه الأعمال والآداب - نتائج بناءة في نفسه تُعبد له طريق التقرب إلى الله تعالى، وتمهّد له عيش الحياة الطيِّبة.

وتتوزّع هذه الأنماط التواصلية بين التواصل مع الله عزّ وجلّ، والتواصل مع أوليائه، والتواصل مع الآخرين، وإنّ لكل واحد منه نتائجها التي منها: الشمول بدعاء الإمام الصادق (عليه السلام)، وحياسة الأجر اللامتناهي، والتوبة وتهذيب النفس، وترسيخ المعتقدات

(١) أنظر: المصدر السابق: ص ٥٥.



الدينية، والتوَلَّى والتبرَّى، والثقة بالنفس (فيما يتَّصل بالتواصل مع الله)، ونصرة الإمام المهدي عليه السلام، ومسرَّة قلوب أهل البيت عليه السلام، والاعتقاد بولاية المعصوم عليه السلام وامتثال أوامره، واقتران المدرسة الحسينية الدامية بالميعاد المهدوي الوضاء (بالنسبة إلى التواصل مع أولياء الله)، واستنهاض روح مقارعة الكفر والاستكبار، والتمرن على الجهاد إلى الله، وخلق الشعور بالأخوة بين شعية العالم، والشعور الجماعي بالحماسة الحسينية (فيما يخصّ التواصل مع الآخرين).

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

(أ) الكتب والمقالات

- ١ . الاحتجاج، أحمد بن علي الطبرسي، دارالنعمان، النجف الأشرف، ١٣٨٦ هـ.
- ٢ . ادب فنای مقربان (أدب فناء المقرَّبين)، عبد الله الجوادى الآملى، دار الإسراء، قم، ١٣٨١ هـ. ش.
- ٣ . اربعين در فرهنگ اسلامى (الأربعين في الثقافة الإسلامية)، رضا تقوي، منظمة الإعلام الإسلامي، قم، ١٣٦٨ هـ. ش.
- ٤ . أسد الغابة، عزّ الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني المعروف بابن الأثير، دار الكتاب العربي، بيروت.
- ٥ . إعلام الورى بأعلام الهدى، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، تحقيق ونشر: مؤسّسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، قم المقدّسة، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ.
- ٦ . الأمالي، محمد بن علي بن بابويه المعروف بالشيخ الصدوق، دار كتابجي، طهران، الطبعة السادسة، ١٣٧٦ هـ. ش.
- ٧ . بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمّة الأطهار عليه السلام، الشيخ محمد باقر المجلسي، المكتبة الإسلامية، طهران، ١٣٩٧ هـ.



٨ . تحقيق دربارہ اربعین سید الشهداء (بحث حول أربعينية سيّد الشهداء عليه السلام)، السيّد محمد علي القاضي الطباطبائي، مؤسّسة الطباعة والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، طهران، ١٣٩٠ هـ.ش.

٩ . تفسير فرات الكوفي، فرات بن إبراهيم الكوفي، تحقيق: محمد كاظم، مؤسّسة الطباعة والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، ١٤١٠ هـ.

١٠ . تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، محمد بن الحسن الحرّ العاملي، تحقيق ونشر: مؤسّسة أهل البيت عليه السلام لإحياء التراث، قم المقدّسة، ١٤١٦ هـ.

١١ . تولى وتبرى (التولي والتبري)، وفا جعفري، مديرية التوجيه العقائدي والسياسي لممثلية الولي الفقيه في الحرس الثوري، طهران، ١٣٨٢ هـ.ش.

١٢ . الخصال، محمد بن علي بن بابويه المعروف بالشيخ الصدوق، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين، قم المقدّسة، ١٤٠٣ هـ.

١٣ . شرح نهج البلاغة، عزّ الدين عبد الحميد بن هبة الله ابن أبي الحديد المعتزلي، مكتبة آية الله المرعشي النجفي، قم، ١٤٠٤ هـ.

١٤ . عيون أخبار الرضا عليه السلام، محمد بن علي بن بابويه المعروف بالشيخ الصدوق، تصحيح وتعليق: الشيخ حسين الأعلمي، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤ م.

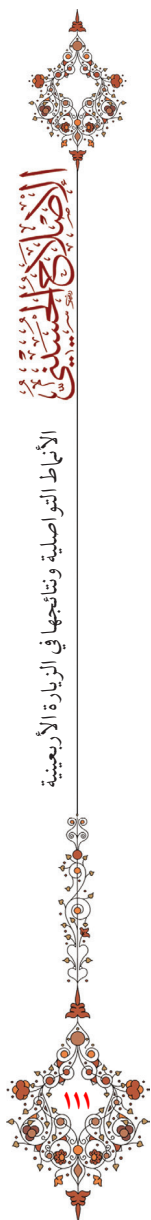
١٥ . الغيبة، محمد بن إبراهيم النعماني، مكتبة الصدوق، طهران، ١٤٠٨ هـ.

١٦ . فرهنگ (الثقافة)، علي الخامنئي، مؤسّسة شهر للنشر، طهران، ١٣٩١ هـ.ش.

١٧ . فلسفه زیارت و آیین آن (فلسفة الزيارة وطقوسها)، مرتضى الجوادى، دار الإسرائاء، قم، ١٣٨٥ هـ.ش.

١٨ . الكافي، محمد بن يعقوب الكليني، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٤٠٧ هـ.

١٩ . كامل الزيارات، جعفر بن محمد بن قولويه القمي، تحقيق: جواد القيومي / لجنة تحقيق، مؤسّسة نشر الفقاهة، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ.



- ٢٠ . المحاسن، أبو جعفر أحمد بن محمد بن خالد البرقي، تصحيح وتعليق: السيّد جلال الدين الحسيني، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٧٠ هـ.
- ٢١ . مدينة المعاجز، السيّد هاشم البحراني (ت ١١٠٧ هـ)، تحقيق: مؤسّسة المعارف الإسلامية، قم - إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ.
- ٢٢ . مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، الميرزا الحسين بن محمد النوري، تحقيق ونشر: مؤسّسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، قم المقدّسة، ١٤٠٨ هـ.
- ٢٣ . مقدمهاى بر جهانينى اسلامى (مقدّمة للرؤية الكونية الإسلامية)، مرتضى المطهّري، دار صدرا، طهران، ١٣٩١ هـ.ش.
- ٢٤ . مناسبات دين و فرهنگ در جامعه ايران (العلاقات بين الدين والثقافة في المجتمع الإيراني)، محمد جواد صاحبي، مؤسّسة الطباعة والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، طهران، ١٣٨٤ هـ.ش.
- ٢٥ . النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد الشيباني الجزري المعروف بابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، مؤسّسة إسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع، قم، الطبعة الرابعة، ١٣٦٤ هـ.ش.
- ٢٦ . يادداشتهاى استاد مطهرى (مدوّنات الأستاذ المطهّري)، مرتضى المطهّري، دار صدرا، طهران، ١٣٨٥ هـ.ش.

(ب) المواقع الالكترونية

- ٢٧ . الموقع الرسمي لسماحة الإمام الخامنّي (khamenei.ir)، لدى لقاء سماحته بجمهرة من أصحاب المواكب العراقية في ١٨ أيلول ٢٠١٩ م / ١٨ محرم ١٤٤١ هـ.
- ٢٨ . موقع وكالة تسنيم للأنباء، روعة تجديد البيعة مع الإمام الحسين عليه السلام، الأربعين، التاريخ: ٢٠ كانون الأوّل، ٢٠١٣ م.

عناصر الأخلاق العرفانية في شعيرة الأربعين الحسينية

دراسة في ضوء الآيات القرآنية

أ. م. د. السيد رضا الموسوي

أستاذ مساعد في قسم الإلهيات والمعارف الإسلامية، الجامعة الإسلامية الحرّة، جرجان/ إيران

معين بور صادق

طالب دكتوراه، قسم الإلهيات والمعارف الإسلامية، الجامعة الإسلامية الحرّة، جرجان/ إيران

ترجمة: حيدر الحيدري

شعبة الترجمة - مؤسّسة وارث الأنبياء للدراسات التخصصية في النهضة الحسينية/ العراق

Elements of Mystical Ethics in the Husayni Ritual of Arbaeen

– A Study in Light of the Quranic Verses

Associate Professor Dr. Sayyid Redha al-Mousawi

Department of Theology and Islamic Studies,

The Open Islamic University, Gorgan / Iran

Moeinpour Sadeq

PhD Candidate, Department of Theology and Islamic Studies,

The Open Islamic University, Gorgan / Iran

Translated by: Haidar al-Haidari

The Department of Translation – The Wartih al-Anbiya Institute
for Specialized Studies on the Uprising of Imam al-Husayn (PBUH) / Iraq

ملخص البحث

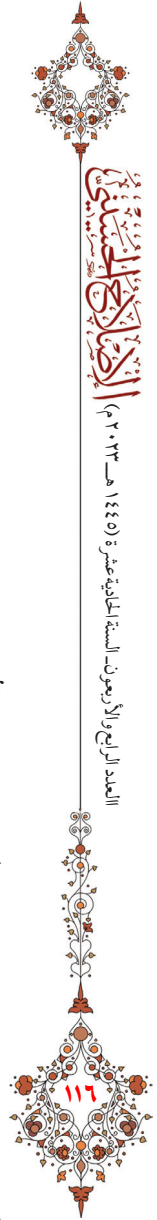
إنَّ النبع الذي يُغذّي شعيرة الأربعين هو حبّ الله والولاية، وتمثّل هذه الشعيرة مدرسة أخلاق وعرفان يُمكن أن تُستخرج منها عناصر الأخلاق العرفانية والدلالات التربوية التي تُعين السالك على الوصول إلى حضرة الحقّ تعالى. ومع أنّ دراسة الأخلاق العرفانية والقيم الأخلاقية من حيث الكيفية والمكانة هي من أهمّ المباحث التي استقطبت اهتمام الباحثين في علم الأخلاق، فإنّه قلّمَا جرى تناول حدث الأربعين الحسيني من هذه الزاوية؛ من أجل ذلك تتناول هذه الدراسة عناصر الأخلاق العرفانية في شعيرة الأربعين الحسينية بالرجوع إلى الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة بمنهج وصفي تحليلي. والسؤال الجوهرى الذي تطرحه الدراسة هو: ما هي عناصر الأخلاق العرفانية في شعيرة الأربعين الحسينية بالتأكيد على الآيات القرآنية؟ والنتيجة التي تخرج بها هي أنّ (شعيرة الأربعين) تُعدّ - بعد الكتاب والسنة - أحد أهمّ منابع (الأخلاق العرفانية) التي من جملتها: الإخلاص، والعبودية، وحبّ الله، ووصال المحبوب، ووحدّة اجتماع المسلمين، والتوبة، والورع، والزهد، والصبر، والتوكّل، والرضا، ودوام الذكر، والحبّ والبغض في الله تعالى. الكلمات المفتاحية: شعيرة الأربعين، الأربعينية الحسينية، الأخلاق العرفانية، عناصر الأخلاق العرفانية.

Abstract

The Arbæen ritual draws its essence from the love of Allah and the *Wilaya* (divine guardianship). It serves as a profound school of ethics and mysticism, offering valuable insights into spiritual and educational principles that guide seekers toward closeness to the Divine. While the study of mystical ethics and moral values has long been a central focus in ethical research, the Arbæen event has seldom been explored from this angle. This study aims to fill that gap by examining the elements of mystical ethics within the Husayni ritual of Arbæen, by relying on Quranic verses and noble narrations and adopting a descriptive analytical approach.

The core question of this research is: What are the key elements of mystical ethics embedded in the Arbæen ritual, particularly as illuminated by Quranic teachings? The study concludes that the Arbæen ritual is one of the most significant sources of mystical ethics, second only to the Quran and the Sunnah. Among the elements it highlights are sincerity, servitude, love for Allah, spiritual union, unity among Muslims, repentance, piety, asceticism, patience, reliance on Allah, contentment, constant remembrance of Allah, and loving and hating solely for the sake of Allah, the Exalted.

Keywords: Arbæen ritual, Arbæen of Imam al-Husayn (PBUH), mystical ethics, elements of mystical ethics.



المقدمة

تُعَدُّ الأخلاق العرفانية فرعاً من علم الأخلاق، تتناول العلاقة بين الإنسان والله تعالى، ويحظى التأمل في الصلة بين الأخلاق والعرفان بأهمية عند الباحثين في حقلَي العرفان والأخلاق^(١).

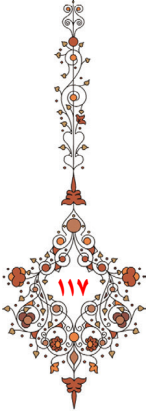
إنَّ الأخلاق العرفانية هي منهجية للتحلِّي بالأخلاق الإلهية، إنها الأخلاق التي رَوَّجَ لها العرفاء من سالف العصور عبر مقارنة سلوكية عرفانية، وهي تقوم على السير والسلوك والكشف والشهود. وقد ارتكزت الأخلاق العرفانية بشكل واسع على الكتاب والسنة، وهي تتمتع بهيكليّة معرفية باطنية، ولها عناصر مثل: التوحيد، والحب، والشهود، والالتزام الديني^(٢). وهذا الصنف من الأخلاق هو من أهمّ الحقول التي استقطبت اهتمام العلماء المسلمين منذ قديم الزمان، وهو يركّز على الأصرة القائمة بين الإنسان وربّه بشكل خاصّ.

الهدف الذي ترمي إليه هذه الدراسة هو بيان عناصر الأخلاق العرفانية في شعيرة الأربعين الحسينية بالتأكيد على الآيات القرآنية^(٣)، فالعدد (أربعون) يُطرح بصفته مرحلة تكاملية، ولعلّ الأصل الذي نشأت منه إقامة شعيرة الأربعين في شهر صفر هو روايات (علامات المؤمن) المروية عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام، حيث ذُيِّلَتْ

(١) فنائي الأشكوري، محمد، نظريه عرفاني اخلاق (النظرية العرفانية في الأخلاق)، مجلّة علمية في الأخلاق: العدد ٢١، ١٣٩٢ ش، ص ٦٩.

(٢) رودكر، محمد جواد، ماهيت و مؤلفه هاى اخلاق عرفانى (ماهية الأخلاق العرفانية وعناصرها)، الحكمة الإسلامية، العدد ٤٤، ١٣٩٦ ش، ص ١٧٧-٢٠٢.

(٣) البقرة: الآية ٥١. المائدة: الآية ٢٦. الأحقاف: الآية ١٥. الأعراف: الآية ١٤٢.



بأن زيارة الأربعين من علامات المؤمن: «عن أبي محمد الحسن بن علي العسكري عليه السلام أنه قال: علامات المؤمن خمس: صلاة الإحدى والخمسين^(١)، وزيارة الأربعين، والتختم في اليمين، وتعفير الجبين، والجهر ببسم الله الرحمن الرحيم^(٢)»^(٣).

وكما أن لبّ الرسالة النبوية هو القرآن الكريم والعترة الطاهرة عليهم السلام «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي»^(٤)، فإن الصلاة هي عمود الدين، وإن زيارة الأربعين ووقعة الطفّ هما دعامة الهداية.

وخلاصة القول: أن رسالة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله كانت تعليم الكتاب (الحكمة) من جهة، وتركيز نفوس الناس من جهة أخرى؛ لتعلم الجهلة من ناحية، وتهدي الضالين من ناحية أخرى^(٥)، فتعمل - من ثم - على محو الجهل العلمي والجهالة العملية من الأمة. وقد ضمّن هذان الهدفان في نصّ الزيارة الأربعينية لسيد الشهداء عليه السلام؛ بحيث إن منشأ وحشية أعداء النبوة هو حبهم للدنيا، ولعهم بزخرفها وزبرجها، وإن السبب المهم وراء سبعية منكري الولاية والإمامة أيضاً هو الشغف بالدنيا^(٦). إن الأربعينية الحسينية مدرسة للأخلاق القرآنية والعرفانية، يُمكن أن تُستخرج منها عناصر الأخلاق العرفانية والدلالات التربوية لبلوغ الكمال الإنساني المنشود.

(١) مجموع ركعات الفرائض والمستحبات ٥١ ركعة.

(٢) في أثناء الصلاة.

(٣) المفيد، محمد بن محمد، المزار: ص ٥٣. الطوسي، محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام: ج ٦، ص ٥٢. وفي رواية التهذيب (الخمسین) بدل (الإحدى والخمسين).

(٤) الهلالي، سليم بن قيس، كتاب سليم بن قيس الهلالي: ج ٢، ص ٦٣٦، ٧٤٨.

(٥) قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾، الجمعة: الآية ٢.

(٦) أنظر: جوادي الآملی، عبد الله، شكوايی عقل در پرتو نهضت حسینی (تفتح العقل في ضوء النهضة الحسينية): ص ٢٢١، ٢٢٧.

الدراسات السابقة

نشير في هذا المبحث إلى أهم الدراسات السابقة في هذا المضمار، ومنها: (مسيرة الأربعين.. المكانة والتناجات)^(١) التي تطرح موضوع بحثها الرئيس بعد أن تقدّم جابر بن عبد الله الأنصاري بصفته أوّل زائر لقبر الحسين عليه السلام، وتبيّن روايات استحباب زيارة أبي عبد الله عليه السلام مشياً. و: (بحث حول التزام الأربعينيات في هيكلية العرفان الإسلامي الإيراني)^(٢)، و: (فلسفة أربعين الحسين عليه السلام.. الزيارة والمشي)^(٣)، و: (ظاهرة المشي في أربعين الحسين عليه السلام من منظار معنوي)^(٤)، و: (المسيرة الأربعينية بما هي حركة اجتماعية)^(٥)، و: (دراسة أثر المسيرة الأربعينية في إشاعة الثقافة الحسينية والحضارة الشيعية)^(٦)، و: (أربعون)^(٧).

وأغلب هذه المقالات تنطلق في بحثها من روايات (علامات المؤمن خمس)، وبعضها يعرف بأوّل زائر لقبر الحسين عليه السلام، وهو جابر بن عبد الله. ومن خلال دراسة نصوص المقالات وإحالاتها اكتشفت أنّ أغلبها مستوحى من مقالة (رسالة الأربعين في زيارة الأربعين)^(٨).

(١) عربي، حسينعلي، مجلّة المعرفة: العدد السابع، سنة ١٣٩٨ هـ.ش، ص ٥٤-٤٥.

(٢) كوچكيان، طاهرة، مجلّة الأدب العرفانية وأسطورة المعرفة: العدد ٤٧، سنة ١٣٩٦ هـ.ش، ص ٢٨٢-٢٤٥.

(٣) خان محمّد، فاطمة، مجلّة خطاب الفكر: العدد ٩، سنة ١٤٠١ هـ.ش، ص ٣٢-١٨.

(٤) دروديان، محمد جواد، مجلّة لوحات الشتاء: العدد ٤٥، سنة ١٣٩٧ هـ.ش، ص ٦٥-٥٦.

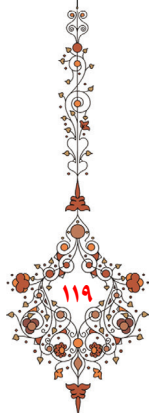
(٥) غفاري هشجين، زاهد، مجلّة العلم السياسي: العدد ٢٧، سنة ١٣٩٧ هـ.ش، ص ٢١-١.

(٦) اكواني، عباس، مجلّة نخب العلوم والهندسة: العدد ٥، سنة ١٣٩٩ هـ.ش، ص ١٣٨-١٣١.

(٧) كرباسيان، مليحه، موسوعة ثقافة الشعب الإيراني: سنة ١٣٩٨ هـ.ش، ص ٣٥.

(٨) باكنيا التبريزي، عبد الكريم، پیام اربعين در زيارت اربعين (رسالة الأربعين في زيارة الأربعين)،

مجلّة المبلّغين الشهرية: العدد ١٢٤، ١٣٨٨ هـ.ش.



وأما بالنسبة إلى مقالات: (النظرية العرفانية في الأخلاق)^(١)، و: (الأخلاق العرفانية في القرآن بالتأكيد على رأي العلامة الطباطبائي)^(٢)، و: (نظرية عطار النيسابوري في الأخلاق العرفانية)^(٣)، و: (بحث في أخلاق الإمام الخميني رحمته الله العرفانية)^(٤)، و: (ماهية الأخلاق العرفانية وعناصرها)^(٥)، فقد استخرجت باستقراءها عناصر الأخلاق العرفانية في الأربعين. فعلى سبيل المثال يقول رودكر في مقالة (ماهية الأخلاق العرفانية وعناصرها)^(٦): «إنَّ للأخلاق العرفانية هوية وماهية تنطوي على عناصر؛ مثل كونها توحيدية، وعبودية، وحُبِّيَّة، وتعلُّقية، وتخلُّقية، وتحقُّقية، وسلوكية، وشهودية ووصالية، ووحودية، واجتماعية، وسياسية...». في حين أنَّ ملايوسفي، في مقالته: (بحث في أخلاق الإمام الخميني رحمته الله العرفانية)^(٧) يجعل النفس والفضيلة والسعادة عناصرَ للأخلاق العرفانية. ومن هنا؛ وعبر بيان ماهية الأخلاق العرفانية وعناصرها، جرى تناول أهمِّية شعيرة الأربعين ومنزلتها. وبتتبع الدراسات السابقة تبين أنَّ موضوعاً مثل: (عناصر الأخلاق العرفانية في شعيرة الأربعين الحسينية بالتأكيد على الآيات القرآنية) قلَّما طُرِحَ على طاولة البحث والنقاش، ولهذا فإنَّه بديع ومبتكر.

- (١) فنائي الأشكوري، محمد، نظريه عرفانى اخلاق، مجلّة علمية في الأخلاق: العدد ٢١، ١٣٩٢ هـ. ش، ص ٦٩.
- (٢) الهى منش، رضا، رسالة العرفان: العدد ١٧، سنة ١٣٩٦ هـ. ش، ص ٦٦-٤٥.
- (٣) مهدي پور، حسن، رسالة العرفان: العدد ١٥، سنة ١٣٩٥ هـ. ش، ص ١٦٥-١٩٢.
- (٤) ملايوسفي، مجيد، وتشكيني، صفورا، كنكاشى در اخلاق عرفانى امام خيى، مجلّة متين العلمية: السنة الثامنة عشرة، العدد ٧٠، ص ١١٣-١٣٦.
- (٥) رودكر، محمد جواد، ماهيت و مؤلفه هاى اخلاق عرفانى، الحكمة الإسلامية: العدد ٤، ١٣٩٦ هـ. ش، ص ١٧٧.
- (٦) المصدر السابق: ص ١٨٥.
- (٧) ملايوسفي، مجيد، وتشكيني، صفورا، كنكاشى در اخلاق عرفانى امام خيى، مجلّة متين العلمية: السنة الثامنة عشرة، العدد ٧٠، ص ١٢١.

الأربعون في القرآن الكريم

استُعملت مفردة الأربعين في القرآن الكريم بكثرة، وقد ذكرت المصادر التفسيرية لها بضعة معانٍ تُشير فيما يلي إلى بعضها:

١. يجعل القرآن الكريم النضج الكامل للإنسان في سنِّ الأربعين: ﴿... حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾^(٨).

٢. ناجى نبي الله موسى ﷺ ربَّه أربعين يوماً حتى نزلت عليه التوراة: ﴿وَوَعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فِتْنَةٍ مِيقَتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾^(٩).

٣. اقتضت مشيئة الله تعالى لابتناء بني إسرائيل أن يغيب عنهم نبيهم أربعين يوماً: ﴿وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾^(١٠). كما كان عذاب قوم موسى ﷺ التيه في الفلوات أربعين سنة: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ﴾^(١١).

هنا يذكر العلامة الطباطبائي أنَّ الله قضى ألا يوفَّقوا لدخولها أربعين سنة بسبب فسقهم وتمردهم^(١٢)، على أنَّ بعض المفسرين رأى أنَّ سبب التيه أربعين سنة هو ذهاب الجيل السابق ومجيء جيل جديد^(١٣)، في حين ذهب بعض آخر إلى أنَّ عذاب الأربعين سنة جاء عقاباً على أيام عبادتهم العجل^(١٤)، حيث لا بدَّ هنا من الاعتقاد بنظرية أنَّ بني إسرائيل كانوا يحسبون النهار يوماً والليل يوماً آخر^(١٥).

(٨) الأحقاف: الآية ١٥.

(٩) الأعراف: الآية ١٤٢.

(١٠) البقرة: الآية ٥١.

(١١) المائدة: الآية ٢٦.

(١٢) أنظر: الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج ٥، ص ٢٩٤-٢٩٥.

(١٣) أنظر: أبو الفتوح الرازي، الحسين بن علي، روض الجنان وروح الجنان في تفسير القرآن: ج ٦، ص ٣٢٠-٣١٩.

(١٤) أنظر: الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن: ج ٣، ص ٣١٣.

(١٥) أنظر: الأنصاري، عبد الله بن محمد، وآخرون، كشف الأسرار وعدة الأبرار (تفسير الخواجة عبد الله الأنصاري): ج ١، ص ١٨٦.

إذا؛ كان هتكهم حرمة غياب موسى ﷺ لأربعين يوماً هو السبب وراء ابتلائهم بالعذاب أربعين سنة. أمّا سبب تحويل اليوم إلى سنة؛ فلاجل كفران نعمة الخلاص من ظلم فرعون، وما أُغدق عليهم من النعم الأخرى، وقولهم إنّنا نريد ما اعتدنا عليه من بصل وعدس، وجراتهم على الله تعالى ونبيّه ﷺ ووقاحتهم معها؛ إذ: ﴿قَالُوا يَمُوسَىٰ إِنَّا لَنَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتَلْنَا إِنَّا هَاهُنَا قَعِدُونَ﴾^(١).

فلأنّ بني إسرائيل تفوّهوا بكلام سيّئ فقد حرّم عليهم دخول الأرض المقدّسة أربعين سنة، ففرّعوا إلى موسى ﷺ وسألوه أن يقيم معهم ويسأل الله أن يتوب عليهم، فقال لهم موسى ﷺ بأنّهم سيّتبهون في هذه البידاء أربعين سنة، كما قد أخبرهم سلفاً، عقاباً على عصيانهم وقولهم: اذهب أنت وربّك فقاتلا^(٢).

ويعتقد العلامة المجلسي أنّ العذاب الأليم إنّما حاق باليهود؛ لعدم تأدّبهم مع الله تعالى ونبيّه موسى ﷺ^(٣)؛ إذ كان بإمكانهم أن يسألوا الله ونبيّه ويتوسّلوا إليهما أن يمهّدا لهم الطريق إن أمكن، ويبدّدوا عنهم خوفهم، لا أن يقولوا بغطرسة: إنّنا لن ندخلها أبداً حتى تذهب أنت وربّك وتقاتلا الجبارة وسنظل نحن هنا قاعدين. فكأنّهم ظلّوا الله سبحانه ونبيّه خادمين لهم حتى أبوا أن يساعدوهما، بل أرادوا - معاذ الله - أن يسخرّوهما من دون بذل أيّ سعي منهم. فما أسرع ما نسوا تجبّر فرعون وجرائمه وألوان ظلمه، وعوضاً عن الشكر أخذوا يطالبون مطالبة صاحب الحقّ؛ فكأنّهم مُترفون وأبناء ذوات وفرسان غيارى استرقّهم موسى ﷺ وربّه وراحا يجنّدانهم لبلوغ فتح الفتوح وتوسيع رقعة دولتهما.

٤. في الخبر «إنّ الشيطان يجرّ يده على وجه من زاد على الأربعين ولم يتب، ويقول:

(١) المائدة: الآية ٢٤.

(٢) أنظر: البروجردي، محمد إبراهيم، تفسير جامع: ج ٢، ص ١٩٠.

(٣) أنظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ١٣، ص ١٧٥.

بأبي وجه لا يُفْلَح!»، وما يكون في وجه هذا الإنسان من نور الفلاح. هذا؛ ويسأل الصالح المؤمن ربّه ثلاثة أمور إذا بلغ الأربعين؛ ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَلَدِي وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾^(١). وتشير تعابير الآية الكريمة إلى أن الإنسان المؤمن في مثل هذا العمر يصبح واعياً لعمق أنعم الله عليه، وسعتها من جهة، ولما قدّمه له أبواه من خدمات حتى بلغ هذه المرحلة من جهة أخرى؛ ذلك أنّه في هذا العمر عادةً يصبح أباً أو أمّاً، فيلمس بنفسه ما قاساه أبواه من جهود مضنية تُنمّ عن إثارة وتضحية، فيذكرهما بشكل تلقائي، ويشكر الله عزّ وجلّ بالنيابة عنهما^(٢).

٥. يثيب الله تعالى الذين بلغوا الأربعين من العمر على أعمالهم الصالحة بثلاث مثوبات أساسية، هي أنّه:

(أ) يقبل منهم صالح الأعمال الواجبة والمستحبة، أو يثيبهم على باقي أعمالهم بما يستحقّونه على أفضلها.

(ب) يعفو عن سابق ذنوبهم ومعاصيهم.

(ج) يجعلهم من أهل الجنة.

إنّ سنّ الأربعين يشكّل انعطافة في حياة الإنسان، حتى أنّه جاء في الخبر أنّه: «مَنْ جَاوَزَ الْأَرْبَعِينَ وَلَمْ يَغْلِبْ خَيْرُهُ شَرَّهُ فَلْيَتَجَهَّزْ إِلَى النَّارِ»^(٣). والمحسون الأربعينيون يدعون لأنفسهم ولوالديهم وذريّتهم على حدّ سواء، فهم ليسوا ذوي أثر في دعائهم، وأنّ الله (جلّ وعلا) يولي الأربعينيين المحسنين والتائبين عناية خاصّة، وأنّ

(١) الأحقاف: الآية ١٥.

(٢) أنظر: مكارم الشيرازي، ناصر، نمونه (الأمثل): ج ٢١، ص ٣٢٨-٣٢٩.

(٣) الطبرسي، علي بن الحسن، مشكاة الأنوار في غرر الأخبار: ص ١٦٩. [المترجم]

غفران الذنوب، وقبول الأعمال، والجعل من أهل الجنة هي من جزاءات الأربعينيين المحسنين^(١). كما أن سنَّ الأربعين يمثل قمة المقدرة والنضج الإنسانيين^(٢).

٦. «بلوغ الأربعين ملازم عادةً لكمال العقل»^(٣). وقال بعضهم: بلوغ الأشدَّ عقلاً يبدأ من عمر الثلاثة والثلاثين. وقال آخر: يبدأ من الثلاثين وغايته الأربعين، وذلك وقت إنزال الوحي على الأنبياء^(٤).

٧. ذكر لموسى عليه السلام ثلاث أربعينات:

(أ) أربعين الميقات.

(ب) أربعين الشفاعة.

(ج) أربعين الضراعة. وحصل رفع الطور في هذه الأربعين^(٥).

وجاء في سفر الخروج (٢٤: ١٨): «ودخل موسى في وسط السحاب وصعد إلى الجبل، وكان موسى في الجبل أربعين يوماً وأربعين ليلة»^(٦).

فلسفة الأربعين

عدَّ بعض الأربعين سرّاً من أسرار الله تعالى، يستعمله في القهر واللفظ على حدّ سواء، كوعده الله موسى أربعين ليلةً لنزول التوراة، وعذابه قوم يهود مدة أربعين سنة^(٧). وإنَّ للعبادة أربعين ليلةً وبمنأى عن الناس آثاراً خاصّة لها دور في تلقّي

(١) أنظر: رضائي الإصفهاني، محمد علي، تفسير قرآن مهر (الرحمة في تفسير القرآن): ج ١٩، ص ١٠٣.

(٢) أنظر: قراءتي، محسن، تفسير النور: ج ٩، ص ٣٤.

(٣) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج ١٨، ص ٢٠١. وأنظر: الكاشاني، فتح الله،

تفسير خلاصة منهج الصادقين: ج ٥، ص ٢٧٦.

(٤) أنظر: الطبرسي، الفضل بن الحسن، تفسير جوامع الجامع: ج ٣، ص ٣٥٠.

(٥) أنظر: ناسخ التواريخ: ج ١، ص ١٨٨-١٩٢.

(٦) البلاغي، عبد الحجة، حجة التفاسير وبلاغ الإكسير: ج ٢، ص ٢٦٩.

(٧) أنظر: قراءتي، محسن، تفسير النور: ج ٢، ص ٢٧٣.

الوحي والإلهامات الروحانية^(١)، وإنَّ الله عزَّ وجلَّ مواعيد وأزمنة خاصة لعباده المقرَّين الخُلص يربِّيهم ويزكِّيهم فيها، وإنَّ للمُدَّة ذات الأربعين يوماً أهمّية خاصّة^(٢). وللعِدَّة أربعين في عملية السير والسلوك إلى الله (جَلَّ وعلا) أسرار^(٣)؛ فإنَّ خلوص القلب وإخلاص العمل والجوارح مدَّة أربعين يوماً وليلة، مع التورَّع عن الزلل والمعصية، يورث صفاء الباطن ونصيّاً وافراً من الفيوضات الروحانية^(٤). وقد تكون للعِدَّة أربعين نفسه موضوعية، وتكون خواصّه حينها يكون متوالياً؛ ولهذا لا تكون الختمات والأدعية التي يوصى بتلاوتها أربعين مرّة مؤثّرة إلا إذا تُليت بهذا العدد في مجلس واحد^(٥).

الأربعون في الحديث

ولنا أيضاً أن نقع على مداليل متعدّدة للأربعين في روايات أهل البيت عليه السلام:

١. بعد أن أكل نبي الله آدم عليه السلام من الشجرة المحرّمة بكى أربعين يوماً^(٦).
٢. وبكى آدم عليه السلام بعد أن هبط إلى الأرض أربعين يوماً على فراق الجنّة، وكمدّاً لموت ابنه هابيل^(٧).
٣. بعد نزول العذاب على قوم نوح عليه السلام أمطرت السماء مطراً غزيراً مدّة أربعين يوماً بلياليها^(٨).

(١) المصدر السابق: ج ١، ص ١١٥.

(٢) أنظر: رضائي الإصفهاني، محمد علي، تفسير قرآن مهر (الرحمة في تفسير القرآن): ج ١، ص ٢٦٦، و: ج ٣، ص ١٦٢.

(٣) أنظر: المصدر السابق: ج ٧، ص ٢٢٨.

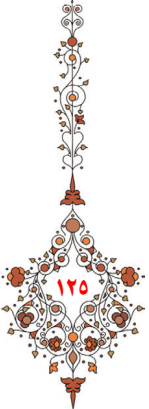
(٤) أنظر: الهمداني الحسيني، محمد، انوار درخشان در تفسير قرآن (الأنوار الساطعة في تفسير القرآن): ج ٧، ص ١٤.

(٥) أنظر: جعفر الميرزا، يعقوب، تفسير كوثر (تفسير الكوثر): ج ٤، ص ٢٠٣.

(٦) أنظر: الصدوق، محمد بن علي، علل الشرائع: ج ٢، ص ٤٢٦.

(٧) أنظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ١١، ص ٤٤، و ١٦٢.

(٨) سفر التكوين: فصل ٧، آية ١٢.



٤. المهلة التي مُنحت لفرعون من أجل التوبة كانت أربعين يوماً^(١).
 ٥. نبيا الله داود وسليمان عليهما السلام بكيا أربعين يوماً^(٢).
 ٦. كمال نُضج الإنسان يكون في الأربعين من العمر^(٣).
 ٧. مَنْ يحفظ أربعين حديثاً يُبعث يوم القيامة عالماً^(٤).
 ٨. من علامات المؤمن التشرف بزيارة الأربعين^(٥)، فقد فسرها بعضهم بأنها زيارة أربعين مؤمناً في اليوم.
 ٩. تجعل بعض الروايات كلاً من مراحل التطور الجنيني (النطفة، والعلقة، والمضغة...) أربعين يوماً^(٦).
 ١٠. تبين بعض الروايات أنّ مدة تشكّل طين آدم عليه السلام كانت أربعين يوماً^(٧).
 ١١. تذكر طائفة من الروايات أنّ أثر الطعام والشراب يبقى في البدن أربعين يوماً^(٨).
 ١٢. يتحدّث قسم من الروايات عن جريان الحكمة على لسان المرء إذا أخلص
-
- (١) أنظر: الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٢، ص ٤٨٩. الصدوق، محمد بن علي، الخصال: ص ٥٣٩-٥٤٠.
 - (٢) أنظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ١٤، ص ٩٥. الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٥، ص ٧٤.
 - (٣) أنظر: الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن: ج ٩، ص ١٤٣.
 - (٤) أنظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٢، ص ١٥٣.
 - (٥) أنظر: الطوسي، محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام: ص ١١٣. المفيد، محمد بن محمد، المزار: ج ١، ص ٥٣.
 - (٦) أنظر: الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٦، ص ١٦، و ١٤١-١٤٢. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٦٠، ص ٣٤٤. صفي علي شاه، محمد حسن بن محمد باقر، تفسير قرآن صفي علي شاه (تفسير القرآن لصفى علي شاه): ص ٢١.
 - (٧) أنظر: الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٢، ص ٧.
 - (٨) أنظر: المصدر السابق: ج ٦، ص ٤٠٢. البرقي، أحمد بن محمد، المحاسن: ج ٢، ص ٣٢٩.

لله تعالى أو أكل الطعام الحلال أربعين يوماً؛ فعن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما أخلص عبد^(١) الله أربعين صباحاً إلا جرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه»^(٢).

١٣. مَنْ تلا دعاء العهد أربعين يوماً عُدَّ من أصحاب الحجة القائم^(ع)؛ إذ روي عن الصادق^(ع) أنه قال: «مَنْ دعا إلى الله تعالى أربعين صباحاً بهذا العهد كان من أنصار قائمنا، فإن مات قبله أخرجه الله تعالى من قبره...»^(٣). على أن هذه الآثار مقيّدة بأن تكون أعمال المرء وسلوكياته الأخرى صحيحة ومطابقة للموازين الشرعية؛ إذ ينبغي للإنسان أن يأنس بحقيقة هذا الدعاء ليكون قادراً على معاهدة الله تعالى^(٤).

١٤. استحباب رشّ الماء على قبر الميت منحصر بزمان دفنه، لكن الإمام الرضا^(ع) أوصى بالمواظبة على رشّ الماء عليه حتى أربعين شهراً أو أربعين يوماً^(٥).

١٥. بعد نزول آية التطهير ظلّ رسول الله ﷺ أربعين صباحاً يجيء إلى باب فاطمة^(ع) ويسلم على أهل البيت^(٦).

١٦. إن الله تعالى يبتلي المؤمن كي لا يدع آثار معاصيه تبقى في وجوده أربعين يوماً^(٧).

(١) يقصد في نيته وطعامه وزهده. [المؤلف]

(٢) الصدوق، محمد بن علي، عيون أخبار الرضا^(ع): ج ٢، ص ٦٩. وأنظر: الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٢، ص ١٦. الغزالي، محمد بن محمد، إحياء علوم الدين: ج ١، ص ١٢٠. العراقي، أبو الفضل زين الدين، المغني عن حمل الأسفار في الأسفار: ج ١، ص ٥٣٦، ١٥٧٦، ١٧٤٧. الحلّي، أحمد بن فهد، عدّة الداعي ونجاح الساعي: ص ٢٣٢. قراءتي، محسن، تفسير النور: ج ٣، ص ١٦٤.

(٣) القمي، عباس، مفاتيح الجنان: دعاء العهد.

(٤) أنظر: رضواني، علي أصغر، موعود شناسي و پاسخ به شبهات (معرفة الموعود والردّ على الشبهات): ص ٥٠٣.

(٥) أنظر: الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ٣، ص ١٩٧.

(٦) أنظر: الطوسي، محمد بن الحسن، الأمالي: ص ٢٥١.

(٧) أنظر: الكراجكي، أبو الفتح محمد بن علي، كنز الفوائد: ص ٦٣. الإسكافي، محمد بن همام، التمهيد: ص ٣١.

١٧. إنّ صلاة شارب الخمر وأكل الحرام والمغتتاب لا تُقبل منه مدّة أربعين يوماً^(١).

١٨. في الأخبار أنّ احتكار قُوت الناس، أو تخزين آلات الموسيقى مدّة أربعين يوماً يوجب كُره الله تعالى للمحتكر ونأي خازن تلك الآلات عن رحمة ربّه والدخول في دائرة سخطه^(٢).

١٩. المواظبة على أكل اللحم أربعين يوماً يورث قسوة القلب، والمداومة على عدم أكله للمدّة ذاتها يتسبّب في إضرار البدن^(٣).

٢٠. الأرض تبكي المؤمن إذا مات أربعين يوماً^(٤).

٢١. تؤكّد بعض الروايات أنّ السماء بكت الحسين بن علي عليه السلام ويحيى بن زكريا عليه السلام أربعين يوماً^(٥).

وتُصنّف زيارة سيّد الشهداء عليه السلام يوم الأربعين في عداد علامات الإيثار، وتُعَدّ من خصوصيّات الشيعة، حتى أنّ الإمام الحسن العسكري عليه السلام جعلها شعاراً

(١) أنظر: الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٦، ص ٤٠١. الصدوق، محمد بن علي، الخصال: ص ٦٣٢. الحاكم النيسابوري، محمد بن عبد الله، المستدرک على الصحيحين: ج ٤، ص ١٦٣. الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي: ج ٤، ص ٢٩٠-٢٩١. الطبراني، أبو القاسم، المعجم الأوسط: ج ١، ص ١١٧، وج ٦، ص ٣١١. الطبرسي، الحسن بن الفضل، مكارم الأخلاق: ج ٢، ص ١٨. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٩٣، ص ٣٥٨. الشعيري، محمد بن محمد، جامع الأخبار: ص ١٤٩.

(٢) أنظر: الطباطبائي البروجردي، حسين، جامع أحاديث الشيعة: ج ١٨، ص ٦٦. الحكيم، محمد تقي، حواريات فقهية وفق فتاوى سماحة آية الله العظمى الفقيه السيّد محمد سعيد الطباطبائي الحكيم: ج ١، ص ٣٠٣.

(٣) أنظر: الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٦، ص ٣٠٩. البرقي، أحمد بن محمد، المحاسن: ج ٢، ص ٤٦٥. ابن بسطام، عبد الله، طب الأئمة عليهم السلام: ص ١٣٩.

(٤) أنظر: الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ١، ص ٣٨. الصابوني، محمد علي، مختصر تفسير ابن كثير: ج ٢، ص ٣٠٣.

(٥) أنظر: ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٩٠. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ٢١٠.

وعلاوة للشيعي، مثلما جعل تغفير الجبين، والجهر بسم الله الرحمن الرحيم، وإتيان النوافل بحسب تعاليم الأئمة الأطهار عليهم السلام، والتختّم باليمين.

الأربعون في الأدب والتاريخ

١. الأربعون في الشاهنامة

مّا جاء في الشاهنامة أنّ (سيندُخت) أهدت (رُودابه) أربعين قطعة قمّاش من الديباج الموشّى بالذهب والمرصّع بالجواهر جهازاً لعرسها، وأنّ رستمًا لدى قتاله لأكوان الوحش، قتل أربعين صنديداً، وأنّ داراب قتل أربعين من الجثالثقة، وجبى من الروم خراجاً مقداره مئة ألف من السبائك الذهبية ذات الأربعين مثقالاً، وأنّ أنوشروان رأى في المنام سُلماً من أربعين درجة يصعد من الحجاز وينور العالم.

٢. الأربعون في الزمان (القتال أربعين يوماً، أو العبادة أربعين سنة)

امتنع حاتم عن أكل فاكهة مكّة أربعين سنة. ظلّ بشر الحافي يتمنّى أكل اللحم المشوي أربعين عاماً، ومكث في السجن أربعين يوماً. دامت حرب أردوان وأردشير أربعين يوماً. يستغرق حمل المرأة سبع مراحل ذات أربعين يوماً يكتمل فيها الجنين. في روما القديمة كان حَجَرُ السُّفن الحديثة الصنع يستغرق أربعين يوماً، بل إنّ مفردة الحَجَر (كرنتينا) نفسها مأخوذة أساساً من اللفظة اللاتينية (*quarentine*) التي تعني (مدّة أربعين يوماً). كما جاء في النصوص القديمة السابقة على الإسلام أنّ نطفة كيومرث بقيت في الأرض أربعين سنة؛ فمن أجل أن يصنع الله مخلوقاً كاملاً جبَل طينة الإنسان أربعين سنة.

وإنّ للعدد أربعين حضوراً بارزاً في النصوص المقدّسة، ولا سيّما التوراة التي تكشف أكثر عن الصبغة البابلية لقدسيتها هذا العدد. فالعدد أربعون في العهد القديم يدلّ على الجيل. إنّ امتحان نينوا في أيّام يونس عليه السلام استغرق أربعين يوماً أيضاً. وظلّ المقدّس الأردبيلي أربعين عاماً لا يقرب المباح فضلاً عن المكروه والحرام.

٣- الأربعون في المكان

استعمل العدد أربعون في أسماء الأماكن كذلك؛ مثل: تشهل^(١) تن (الأربعون شخصاً)، وتشهل دختران (الأربعون بنتاً)، وكوه تشهل مقام (جبل تشهل مقام)، وتشهل ستون (الأربعون عموداً)، وتشهل اختران (الأربعون كوكباً)، وتشهل درويش (الأربعون درويشاً)، (وبيرتشهل مقبرة)، وتشهل منار (الأربعون منارة)، وهو الاسم السابق لآثار (تحت جمشيد) ... إلى آخره، وهو في الكل دلالة على التكميل أو الكثرة^(٢).

مصاديق الأخلاق العرفانية في شعيرة أربعين الإمام الحسين عليه السلام

نشير هنا إلى بعض مصاديق الأخلاق العرفانية في شعيرة أربعين الإمام الحسين عليه السلام؛ لتكون أنموذجاً للمجتمعات البشرية عموماً، وأتباع أبي عبد الله الحسين عليه السلام خصوصاً.

الماهية السلوكية للشعيرة الأربعينية

إنّ للشعيرة الأربعينية من أولها إلى آخرها ماهية سلوكية؛ بمعنى أنّ الشخص الذي يستهلّ مسيره منذ البداية بترك المنزل والديار والعمل ليشارك في هذه الشعيرة حباً بأبي عبد الله الحسين عليه السلام، فإنّه يمرّ بمقامات عرفانية، تبدأ من التخلية حتى يبلغ الوصال أو البقاء في المعشوق. ونشير فيما يلي إلى مراحل ذلك:

المرحلة الأولى: التجلية

كما تُبيّن الرواية أنّ بدء الزيارة هو في مقام التجلية: «إليك وجّهت وجهي»؛ فإنّ المرحلة الأولى هي التوجّه؛ وهو التفات النفس إلى المعشوق وإيقاظها به (مع

(١) في الفارسية تشهل (جهل) تعني أربعين.

(٢) أنظر: كرباسيان، مليحة، مركز دائرة المعارف بزرگ اسلامی (مركز الموسوعة الإسلامية الكبرى): أربعون.

أخذ معنى التجلية والوجدان بنظر الاعتبار^(١). ويشتهر هذا التوجّه في العرفان بـ(الوقت)^(٢).

المرحلة الثانية: التخليّة

«وعليك خلّفْتُ أهلي ومالي وما خَوَّلَنِي»^(٣)؛ فترك الإنسان أهله وممتلكاته هو عينه إفراغ الباطن من التعلّقات.

المرحلة الثالثة: التحلية

وتشمل تزيين النفس بحُلّي الأخلاق؛ فإنّ الزائر ومن خلال إقامة الشعيرة الأربعينية، وعبر التفكير والتدبّر، والالتفات إلى معاني الأدعية الماثورة، والأذكار، وأحداث يوم عاشوراء وما تلاه، وبالخصوص من خلال تقوية حالة التعاطف مع أهل بيت الحسين عليه السلام أثناء مشيه بين النجف وكربلاء، من خلال هذا كلّه سيحاول خلق حالة من الأنس والألفة بينه وبين آل الوحي عليه السلام، فتظهر على حركاته وسكناته وكلماته آثار التخلّق بأخلاقهم عليهم السلام؛ لأنّ طريق المشي نفسه ينطوي على هذه الخصوصية ويوجيها إلى السائر فيه.

المرحلة الرابعة: الفناء والبقاء

إنّ فناء الموجود هو فناء آثاره الوجودية، ولوصول الإنسان إلى هذا المقام فإنّه يتخلّى عن مظاهر نفسه الوجودية؛ ومن جملتها قول اللغو، وحركات اللغو... إلى آخره، ويتخلّق بالمظاهر الوجودية الخاصّة بمحبوبه، التي يقول بعض: إنّ حدّها الأعلى هو اتّحاد العاشق بالمعشوق^(٤).

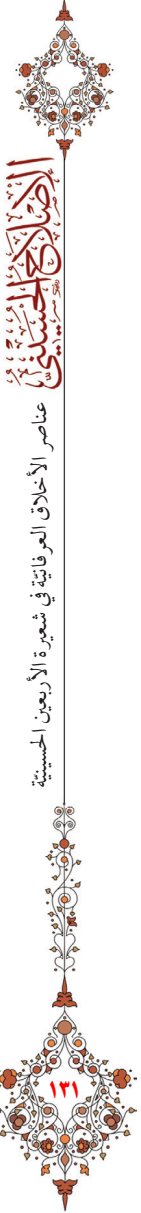
(١) أنظر: صفي بوري، عبد الرحيم، منتهى الإرب في لغة العرب: ذيل مفردة (تجلية).

(٢) أنظر: إسماعيلي، مسعود، اصطلاحات عرفان اسلامي (مصطلحات العرفان الإسلامي):

ص ١٧٨.

(٣) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٣٠٩.

(٤) أنظر: صنايعي، علي، نفير مولوى گوهر مثنوى (النفير المولوي وجوهر المثنوي): ص ١٨٨.



وحين يصل الزائر إلى كربلاء بعد اجتيازه هذه المراحل، والمشي وسط تلك البوادي والفيافي، وطى منازل السير والسلوك، فإنه غالباً - وبمقدار سعيه وقابليته - يذهل عن نفسه لحظة يبلغ المرقد الطاهر، فلا يرى شيئاً سوى أبي عبد الله عليه السلام، وأن كل شيء هو الحسين عليه السلام. وقد لا تنتاب هذه الحال الجميع، أو قد تستقرّ في بعضهم مدّة بضع ثوانٍ أو دقائق فقط، لكنها تستمرّ عند بعض آخر بشكل حالة دائمة قائمة، أو بصورة المقام المذكور، فيبلغ المرء مقام الفناء في الله والبقاء في الله تعالى^(١).

تجلي آية الإخلاص

الأربعينية الحسينية شعيرة يجتمع الناس - وهم المسلمون غالباً - من جميع أقطار العالم لإحيائها في النجف وكربلاء، وهم فيها إما زائرون وإما خدّام. والزائرون هم - على الأغلب - مسافرون أتوا قبر الحسين عليه السلام رغبةً في إعلاء شأنه ومنزلته، والقائمون على الخدمة هم - في الغالب - من مجاوري المرقد الشريف، أو أصحاب المواكب الذين يضيفون هذه الحشود المليونية. فبعضهم يدّخر بعض دخله السنوي جانباً لينفقه خدمةً لزوّار الحسين عليه السلام في الأربعين، وبعضهم يجعل بيته مأوى لاستراحة الزائرين ومبيتهم.

وها هنا بالذات، يتسنّى لمس مظاهر الحبّ والإخلاص الحقيقيّين؛ إذ إنهم لا يتقاضون لقاء ما يقدّمونه أيّ مال أو خدمات. والزائرون كذلك، ينفقون مبالغ من المال لتغطية نفقات سفرهم للزيارة من دون أن ينتظروا إزاء ذلك مالاً أو خدمات، بل عليهم أن ينفقوا المال والوقت لذلك. وهذا بحدّ ذاته يمثل أنصع حالة لتجليّ الحبّ والإخلاص، ممّا قد لا يتسنّى العثور على مثال له إلا في عاطفة الأمّ تجاه ولدها. ولكثر ما تحدّث القرآن الكريم عن الإخلاص؛ حتى أنّ النبي الأعظم صلّى الله عليه وآله أمر

(١) أنظر: إسماعيلي، مسعود، اصطلاحات عرفان اسلامي (مصطلحات العرفان الإسلامي):

بإخلاص دينه لله عز وجل: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾^(١). من هنا؛ تُعدّ الزيارة الأربعينية تجلّ لآية الإخلاص، وهي قوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾^(٢). المشاركون في هذه الشعيرة كلّهم، أو جلّهم مسلمون، إلّا أنّ توحيدية شعيرة ما تكون في توحيدية هدفها والدافع من وراء إقامتها، وأنّ هدف المشاركين - زائرين وخادمين - ودافعهم في إحياء هذه الشعيرة إلهيان ينبعان من حبّ سيّد الشهداء عليه السلام.

تبليغ الولاية

الولاية هي قبول الحكم الولائي لله وأوليائه على المجتمع البشري، وهي إحدى الفضائل الأخلاقية العرفانية البارزة في نهضة سيّد الشهداء عليه السلام ومسيرة الأربعين، فلقد أصرّ الإمام الحسين عليه السلام على العدل الإلهي من خلال خضوعه لولاية الله تعالى ورسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلم، فنهض - عبر إنفاذه حكم الله (جلّ اسمه) - للدود عن الحق والعدل. ثم من خلال قبوله ولاية الأئمة عليهم السلام كذلك، فقد ضحّى عليه السلام بنفسه وماله ووُلده؛ لإنقاذ الإسلام والبشرية وحفظهما.

ومن خلال قبول ولاية الله وأوليائه يتوجّه مُشاة الأربعين إلى زيارة قبر الإمام الحسين عليه السلام متحمّلين في سبيل رؤية قبره رأي العين مشقّات السفر حبّاً بالحسين عليه السلام وطاعة له. ثم عبر إذعانهم لولاية الأئمة الأطهار عليهم السلام فإنّهم يكشفون عن شجاعتهم وصبرهم؛ دعوة للإسلام وإظهاراً للمقاومة والثبات في وجه الظلم. هذا؛ وإنّ نهج اكتساب الولاية يكمن في الإيمان بالله وقبول التوحيد، والإيمان بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم وقبول النبوة، والإيمان بالأئمة عليهم السلام وقبول الإمامة، والإيمان بالمؤمنين وقبول الأخوة، والإيمان بالصالحين وقبول التقوى.

(١) الزمر: الآية ١١.

(٢) البينة: الآية ٥.

تَجَلِّي آيَةِ الْمَحَبَّةِ

الحُبُّ هو تعلُّق القلب والروح بالله تعالى وبأوليائه، وهو من الفضائل الأخلاقية العرفانية التي تُعدُّ محوراً مهماً في النهضة الحسينية والمسيرة الأربعينية؛ فإنَّما بذل الإمام الحسين عليه السلام نفسه وماله وولده في سبيل الله تعالى حباً بالله وبرسوله صلى الله عليه وآله، فعانق الشهادة عن حبٍّ وعشق. وكذا زائرو الأربعين؛ فإنَّهم يبذلون أرواحهم وأموالهم وأوقاتهم في سبيل زيارة الحسين عليه السلام حباً به، ثمَّ ينشدون زيارة المقامات الأخرى بتحمُّس واشتياق.

إنَّ السبيل إلى هذا الحبِّ هو ذكرُ الله عزَّ وجلَّ وأوليائه وقراءة سيرهم؛ فإنَّ من عناصر الأخلاق العرفانية حبُّ الولي. وليس كالحبِّ شيءٌ باستطاعته أن يجتذب الزائر إلى المشاركة في هذه الشعائر بإخلاص ومن أعماق قلبه، فهو لاء هم مصداق (القوم) الذين يقول فيهم الله تبارك وتعالى في محكم كتابه العزيز: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾^(٣)، قال عليه السلام: «عليَّ السلام وشيعته»^(٤). وإنَّ شعيرة الأربعين هي أكبر تجلٍّ لآية المحبة.

تَجَلِّي آيَاتِ السَّيْرِ وَالسِّيَاحَةِ

لقد أمر الله عزَّ وجلَّ في أربع عشرة آية من كتابه العزيز بالسير والسياسة بهدف الاعتبار من عاقبة المجرمين والمكذِّبين والماضين^(٥)، ويقظة القلوب^(٦)، وفهم المعاد^(٧). وإنَّ الأربعينية بحدِّ ذاتها سيرٌ وسياسة، وهي المصداق التام لآية السير. كما أنَّ الزائر ومن خلال توسُّله بالأئمة الأطهار عليهم السلام يتخلَّص قلبه من نوم الغفلة، ويكون دائم الذكر للمعاد والآخرة؛ إذ إنَّه يرجو شفاعته أبي عبد الله الحسين عليه السلام يوم القيامة.

(٣) المائدة: الآية ٥٤.

(٤) الكوفي، فرات بن إبراهيم، تفسير فرات الكوفي: ص ١٢٣.

(٥) أنظر: النمل: الآية ٦٩. آل عمران: الآية ١٣٧. الروم: الآية ٤٢.

(٦) أنظر: الحج: الآية ٤٦.

(٧) أنظر: العنكبوت: الآية ٢٠.

الإقرار بالقلب والروح

إنَّ التخلُّق بالأخلاق الحميدة، والإقرار بالقلب والروح، هما من عناصر الأخلاق العرفانية، فالزائرون الذين تعذّر عليهم الحضور في واقعة الطفّ وتلبية نداء أبي عبد الله الحسين (عليه السلام): «هل من ناصر ينصرني»، يستطيعون اليوم من خلال المشاركة في إحياء هذا اليوم - الأربعين - المثول بين يدي المعشوق، ليُفصحوا له عبر نداء «يا ليتنا كنّا معك فنفوز فوزاً عظيماً»^(١)، عن أنّه: يا ليتنا كنّا في ذلك الزمان لننصركم يا أسرة الوحي. ثمّ يدخلون الحائر المقدّس مُلّيين هاتفين من أعماق قلوبهم بنداء «لييك يا حسين».

ومحاول محبّو أبي عبد الله الحسين (عليه السلام) أن يتخلّقوا بأخلاق أهل البيت (عليهم السلام)، فتراهم يستلهمون من مولا هم (عليه السلام) دروس الشجاعة والأمانة والوفاء والإيثار من قرارة أنفسهم، ليتقرّبوا بذلك من محبوبهم أكثر، ويعجنوا فحوى عبارات الأدعية الماثورة، مثل «بأبي أُنتم وأُمّي وأهلي ومالي وأُسرتي»^(٢) ليس في قلوبهم فحسب، بل في أرواحهم أيضاً.

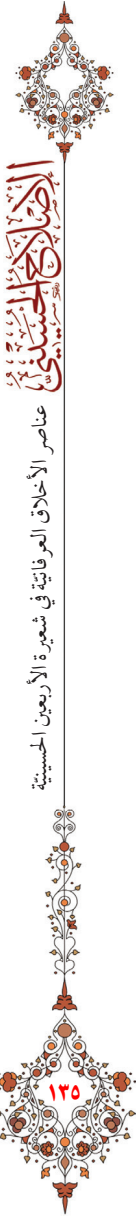
الحركة والديناميكية

«إنّ لقتل الحسين حرارةً في قلوب المؤمنين لا تبرد أبداً»^(٣)، وإنّ تكرّر حالة الأربعينية سنوياً لأكبر دليل على ديناميكيّتها؛ ففي كلّ عام يزداد عدد المشاركين فيها بضعة ملايين عن العام السابق، ما يجعلها فريدةً من نوعها في العالم؛ فليس أنّها لا تقف عند حدّ ثابت فحسب، بل تزداد باطراد.

(١) أنظر: مطهري، مرتضى، مجموعه آثار شهيد مطهري (أعمال الشهيد المطهري الكاملة): ج ٢٣، ص ٥٩٨.

(٢) الصدوق محمد بن علي، عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ج ٢، ص ٦٠٩.

(٣) النوري، الميرزا حسين، مستدرک الوسائل: ج ١٠، ص ٣١٨.



اجتماع المؤمنين حول قطب الولاية

إن حبّ أبي عبد الله الحسين عليه السلام يجمع الناس على اختلافهم حول قطبه، بما يجعلهم وكأئهم إخوةً بالنسب تربطهم صلة الدم؛ فإنّ اجتماع الزائرين، والخادمين، وجميع الأطياف التي تخدم في هذه المناسبة بإخلاص، يدلّ على الاتحاد حول قاسم مشترك واحد.

إنّ هؤلاء كأجزاء الورد، اجتمعوا بكلّ محبةٍ وعاطفةٍ وصدقٍ لتعظيم وتبجيل إمامهم، وحضروا لإحياء وتعظيم هذا اليوم، وقد عدّ الله (جلّ وعلا) المؤمنين إخواناً، فقال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾^(١). ولعلّ أكبر تجلٍّ لهذه الأخوة بعد قصّة المهاجرين والأنصار - على ما يبدو - هو في هذه الأربعينية؛ سواء من يضيف الزائرين في منازلهم، أم من يؤمّن لأخيه في الدين ضرورات سفره للزيارة.

وأبو عبد الله الحسين عليه السلام هو تجلٍّ لسورة الفجر^(٢)، وصاحب النفس المطمئنة، وإنّ من يكون تجلياً لأيّ الذكر الحكيم يكون كالقرآن هادياً، ولهذا يشكّل الحسين عليه السلام عاملاً لهداية أجناس البشر بشكل عامّ.

التوبة والرجوع إلى حضرة الحقّ

التوبة هي الندم على المعاصي وسوء الأفعال، وقصد الإصلاح جدّياً. وهي كذلك من الفضائل الأخلاقية العرفانية التي تحظى باهتمام في نهضة الإمام الحسين عليه السلام ومسيرة الأربعين، فمن خلال الحطّ على التوبة دعا الإمام الحسين عليه السلام الناس كافّة إلى التوجّه إلى الله وإلى الصدق، بل لقد تاب يوم عاشوراء بعضُ جُند يزيد أيضاً - مثل الحرّ - وانضمّ إلى معسكر الحسين عليه السلام. وكذا زوّار الأربعين؛ فإنّهم يحضّون على

(١) الحجرات: الآية ١٠.

(٢) أنظر: البحراني، هاشم، البرهان في تفسير القرآن: ج ٥، ص ٦٥٨.

التوبة، ويدعون الناس جميعاً إلى الله والتطهر من الآثام، حتى لتجد بعض العاصين يتوب في طريق الزيارة ويلتحق بصفوف المحسنين. هذا؛ وأن السبيل إلى التوبة هو الإقرار بالذنب، والاستغفار منه، والعزم على عدم العودة إليه.

الزهد والورع

للزهد والتقوى أنواع كثيرة، أعلاها الورع، وهو «الوقوف عند الشبهة»^(١)؛ أي عدم الخوض حتى فيما لا نعلم صحته، كأن نجعل صحة كلام ما، فتتوقف عنده؛ أو لا نخبر جودة شيء ما، فلا نتفوه بالكلام فيه ولا نحكم بجودته. والورع أيضاً: هو الكف عن الفعل في حده الأقصى، وقد صنّف هذا في عداد عناصر الأخلاق العرفانية. فزائر أبي عبد الله الحسين عليه السلام لا ينأى بنفسه عن كل ما يمكن أن يُعبد المحب عن المحبوب، ويحول دون تأدبه بآدابه فحسب، بل تراه يجتنب كل فعل أو حكم أو كلام لا يدري ما نتائجه على حبه لمحبيه، ولا يُلقي بنفسه في الخطأ.

الصبر والاستقامة والتسليم

الصبر هو تحمّل المحن والمصائب باستقامة وتجلّد، وهو من جملة عناصر الأخلاق العرفانية التي تجلّت في نهضة سيّد الشهداء عليه السلام والمسيرة الأربعينية، فلقد اجتاز الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه بصبرهم واستقامتهم جميع امتحانات كربلاء ومصاعبها، وبذلوا أرواحهم في سبيل الله ببسالة وشجاعة. وكذا زائرو الأربعين؛ فإنهم يتجشّمون بصبرهم واستقامتهم كل ما في طريق الزيارة من محن ومشاق، فيسلكون طريق الحبّ هذا بما يحملون تجاه سيّد الشهداء عليه السلام من محبة.

ومن طرق التحلي بالصبر استذكار أنعم الله عز وجل وفهم حكمه، فعن رسول الله صلّى الله عليه وآله أنّه قال: «الصبر ثلاثة: صبر عند المصيبة، وصبر على الطاعة، وصبر عن المعصية... ومن صبر عن المعصية كتب الله له تسعمئة درجة، ما بين الدرجة إلى الدرجة كما بين تخوم

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٢، ص ٢٦٠.



الأرض إلى منتهى العرش»^(١). وأن أنواع الصبر الثلاثة جميعاً تصدق على زائري أبي عبد الله الحسين عليه السلام؛ فإنهم يصبرون على مصائب واقعة كربلاء وأحداث الشام حتى يظهر المنتقم، كما يصبرون على إتيان طاعات الله تعالى - من حلالها وحرامها - بكل ما يكتنفها من مصاعب، وكذلك يجتنبون الآثام ليحفظوا بمحبة محبوبهم، وأن العقيلة زينب عليها السلام في أعلى مقامات الصبر؛ لقولها: «ما رأيت إلا جميلاً»^(٢).

التوكل

التوكل هو الاعتماد على الله وتفويض الأمور إليه، وهو أحد الفضائل الأخلاقية العرفانية التي استعرضت في نهضة أبي الأحرار عليه السلام والمسيرة الأربعينية، فلقد نهض الإمام الحسين عليه السلام ذوداً عن الحق والعدل، متوكلاً على الله تعالى ومن دون أن يداخله خوف من العدو، حتى ارتوى بكأس الشهادة على أرض كربلاء. وكذا هم زوّار الأربعين؛ فإنهم يقيمون شعيرة الأربعينية الحسينية زائرين أبا عبد الله الحسين عليه السلام، متوكّلين على الله عز وجل من دون اكتراث للمشكلات والمخاطر.

إن الطريق إلى نيل التوكل هو معرفة الزائر بالإمام عليه السلام، وتقوى الله تعالى، وامثال أوامره، فإن كملت معرفته قبلت زيارته. وإن زائر أبي عبد الله الحسين عليه السلام متوكل على الله تبارك وتعالى منذ أول خطواته على الطريق؛ إذ قد ترك بيته وماله ومعاشه واضعاً روحه على كفه، مسرعاً إلى زيارة الحسين عليه السلام، وهذا - بحد ذاته - أحد أكبر مصاديق التوكل الذي بإمكان الفرد أن يتبنّاه في حياته، وهذا ما نقرؤه في زيارات أئمة أهل البيت عليه السلام: «اللهم إليك وجهي وجهي، وعليك خلفت أهلي ومالي وما خولتني»^(٣).

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٢، ص ٩١.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ٢١٦.

(٣) القمي، عباس، مفاتيح الجنان: ص ٤٦٦.

الرضا

الرضا بمشيئة الله ﷻ هو من أهم عناصر الأخلاق العرفانية، وأن الزائرين الذين كانوا يحيون هذه الشعيرة أيام الطاغية صدام وداعش من دون أدنى خوف كانوا راضين برضا بارئهم، يسرون في هذا الطريق عن رغبة وشغف، وأن الطريق إلى الرضا هو التوكل.

دوام الذكر

عند قطع الطريق مشياً ينتهي زائر الأربعين - تقيداً بأداب الزيارة - عن اللغو، ويحتنب فضول الكلام، ويمضي وقته دائماً بالتفكير والذكر^(١)، فيجلب له الذكر حضور القلب، ويقوده إلى التقرب إلى الله تعالى، واليقين بولاية أئمة أهل البيت ﷺ.

الحب والبغض في الله

تشاهد عند زائري أربعينية الحسين ﷺ حالة الحب والبغض في الله تعالى؛ فهم يحبون الإمام الحسين ﷺ في الله، ويبغضون أعداءه في الله؛ ولذا فإنهم يقرّون بهذا المعنى في زيارته ﷺ بقولهم: «يا أبا عبد الله، إني سلم لمن سالمكم، وحرب لمن حاربكم»^(٢)، ما يعني أن المحور في الحب والبغض عندهم هو أبو عبد الله الحسين ﷺ.

ومن الحديث النبوي: «مَنْ أَحَبَّهَا [الحسين] فَقَدْ أَحَبَّنِي، وَمَنْ أَحَبَّنِي فَقَدْ أَحَبَّ اللَّهَ»^(٣)، فإن هذه المحبة تنتهي بمحبة النبي الأعظم ﷺ. على أنه لا معنى لحب الرسول ﷺ من دون حب أولاده الحقيقيين؛ وهذا هو معنى ما يروى عن الإمام الرضا ﷺ: «لا إله إلا الله حصني، فَمَنْ دخل حصني أَمِنَ من عذابي... بشروطها، وأنا

(١) أنظر: القمي، عباس، مفاتيح دانشجوئي (مفاتيح الطلبة): ص ٩٦.

(٢) الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتعبد: ص ٧٧.

(٣) ابن حيون، النعمان بن محمد، شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار ﷺ: ج ٣، ص ١٠٧.

من شروطها»^(١). من هنا؛ فإن معرفة الإمام، وشرط قبوله وقبول ولايته مهم، وإلا فإن حب الله بمعزل عن حب الولي خالٍ من عنصر الهداية.

روح الشكر

الشكر هو عرفان نعم الله تعالى وحسن الانتفاع منها، وهو - أيضاً - واحد من الفضائل الأخلاقية العرفانية التي تُشاهد في النهضة الحسينية والمسيرة الأربعينية معاً؛ فلقد استعمل الإمام الحسين (عليه السلام) - بما أنه شاكر لله - نعم الله تعالى جميعاً في الخير والبركة، بل رأى من واجبه أن يحمد الله جلّ شأنه حتى في أحلك الظروف وأحرج اللحظات. وإن زائري الأربعين يبذلون أنعم الله كافة في سبيل الزيارة؛ شكراً لربهم، بل يعدّونه تعالى المتان في ساعات الشدة أيضاً.

هذا؛ وإن الطريق إلى الشكر هو إدراك نعم الله، وذكرها، والعمل بالفرائض.

الخاتمة

١. النتيجة التي خرجت بها هذه الدراسة: هي أن شعيرة أربعينية الحسين تُعدّ - بعد القرآن الكريم والسنة الشريفة - إحدى أهمّ منابع الأخلاق العرفانية، وأنّ تبليغ الولاية، ورمزية العبودية، وتجلي آية المحبة، وآيات السير والسياسة، والتخلّق بالأخلاق الإلهية، والحركة والديناميكية، واجتماع المؤمنين حول محور الولاية، والأخوة في اجتماع الأربعين الضخم، والتوبة والرجوع إلى حضرة الحق، والزهد، والورع، والصبر والاستقامة، والتوكّل، والرضا، ودوام الذكر، والحبّ والبغض في الله، والشكر... إلى آخره، كلّها من عناصر الأخلاق العرفانية المنبثقة من أربعينية الإمام الحسين (عليه السلام).

٢. لعلّ الأصل الذي نشأت منه إقامة شعيرة الأربعين في شهر صفر هو رواية (علامات المؤمن) المروية عن الإمام الحسن العسكري (عليه السلام)؛ حيث ذُيِّلت بأنّ زيارة الأربعين من علامات المؤمن.

(١) الصدوق، محمد بن علي، التوحيد: ص ٢٥.

٣. ينطوي العدد (أربعون) في عملية السير والسلوك إلى الله عز وجل على أسرار؛ إذ إنَّ خلوص القلب، وإخلاص العمل والجوارح، واجتناب العثرات والذنوب مدّة أربعين صباحاً لما يُكسب صفاء الباطن، والإفادة من الفيوضات الروحانية غاية الإفادة.

٤. تُعدّ زيارة سيّد الشهداء (عليه السلام) يوم الأربعين من علامات الإيمان، ومن ميزات الشيعي، حتى جعلها الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) شعاراً وعلامة للشيعي.

٥. المشاركون في هذه الشعيرة كلّهم - أو لِنَقُلْ: جُلّهم - مسلمون، إلّا أنّ توحيدية شعيرة ما تكون في توحيدية هدفها، والدافع من وراء إقامتها، وأنّ هدف المشاركين - زائرين وخادمين - في إحياء هذه الشعيرة ودافعهم من المشاركة إلهيَّان ينبعان من حبّ سيّد الشهداء (عليه السلام)، وأنّ من شأن تجلّي هذا الحبّ الواحد في الأربعين أن يُحدث انقلاباً في نفوس بعض غير المسلمين، ويلفت انتباههم للإسلام.

٦. الوجه في تباين أصناف الناس في الحبّ الإلهي هو عنصر الولاية الباعث على الهدى، فبعض المسلمين لا يقبل أهل البيت (عليهم السلام)، أو يقبل بعضهم دون الآخر؛ فإنّ هكذا مسلم يكون عنده حبّ الله تعالى، لكنّه لم يجن من الهداية نفعاً؛ لقول الله (جلّ وعلا): ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾^(١)، وأنّ طاعة الرسول (صلى الله عليه وآله) تعني قبول أمره في قضية الولاية.

٧. من شأن ولاية أهل البيت (عليهم السلام) أن تبعث على هداية أصناف الناس عامّة، وتمثّل الأربعينيّة أضخم تجلّ للتمسك بالولاية.

٨. أبو عبد الله الحسين (عليه السلام) هو صاحب النفس المطمئنّة ومصدق تجلّي الآيات الأخيرة من سورة الفجر، وأنّ من يكون تجلياً لأيّ الذكر الحكيم يكون كالقرآن هادياً؛ ولهذا يشكّل الحسين (عليه السلام) عاملاً لهداية أصناف البشر بشكل عامّ.

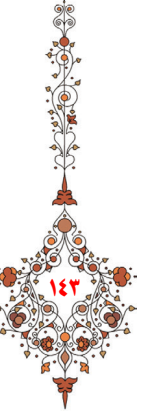
(١) الأحزاب: الآية ٧١.



المصادر المراجع

* القرآن الكريم.

- ١ . إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، تحقيق: عبد الرحيم بن حسين حافظ العراقي، دار الكتاب العربي، بيروت.
- ٢ . اصطلاحات عرفان اسلامي (مصطلحات العرفان الإسلامي)، مسعود إسماعيلي، مؤسّسة الإمام الخميني عليه السلام للدراسات والأبحاث، ١٣٩٠ هـ. ش.
- ٣ . الأمالي، محمد بن الحسن الطوسي، تحقيق: مؤسّسة البعثة، دار الثقافة، قم، ١٤١٤ هـ.
- ٤ . انوار درخشان در تفسير قرآن (الأنوار الساطعة في تفسير القرآن)، محمد الهمداني الحسيني، مكتبة لطفي، طهران، ١٣٨٠.
- ٥ . بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، محمد باقر المجلسي، مؤسّسة الوفاء، طهران، ١٤٠٣ هـ.
- ٦ . البرهان في تفسير القرآن، هاشم البحراني، تحقيق: مؤسّسة البعثة، قسم الدراسات الإسلامية، قم.
- ٧ . پیام اربعین در زیارت اربعین (رسالة الأربعين في زيارة الأربعين)، عبد الكريم باكنيا التبريزي، مجلّة المبلّغين الشهرية، العدد ١٢، ١٣٨٨ هـ. ش.
- ٨ . تفسير النور، محسن قراءتي، مؤسّسة في طريق الحق، قم، ١٣٧٤ هـ. ش.
- ٩ . تفسير جامع، محمد إبراهيم بروجردي، مكتبة الصدر، طهران، ١٣٦٦ هـ. ش.
- ١٠ . تفسير جوامع الجامع، الفضل بن الحسن الطبرسي، تحقيق ونشر: مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرفة، ١٤٢١ هـ.
- ١١ . تفسير خلاصة منهج الصادقين، فتح الله بن شكر الله الكاشاني، وحسن حسن زادة الأملي، بوستان كتاب (حديقة الكتب)، دار مكتب الإعلام الإسلامي للنشر التابع للحوزة العلمية بقم المشرفة، ١٣٨٨ هـ. ش.



- ١٢ . تفسير فرات الكوفي، فرات بن إبراهيم الكوفي، تحقيق: محمد كاظم، مؤسّسة الطباعة والنشر في وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، طهران، ١٤١٠ هـ.
- ١٣ . تفسير قرآن صفى على شاه (تفسير القرآن لصفى علي شاه)، محمد حسن بن محمد باقر صفى علي شاه، دار منوتشهري، طهران، ١٣٧٨ هـ. ش.
- ١٤ . تفسير قرآن مهر (الرحمة في تفسير القرآن)، محمد علي رضائي الإصفهاني، الدراسات التفسيرية وعلوم القرآن، قم، ١٣٨٨ هـ. ش.
- ١٥ . تفسير كوثر (تفسير الكوثر)، يعقوب جعفري المراغي، مؤسّسة (هجرت) للنشر، قم، ١٣٧٦ هـ. ش.
- ١٦ . التمهيد، أبو علي محمد بن همام الإسكافي، مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، قم، ١٤٠٤ هـ.
- ١٧ . تهذيب الأحكام، أبو جعفر محمد بن الحسن الشيخ الطوسي، تحقيق: حسن الخراسان، ومحمد آخوندي، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٦٥ هـ. ش.
- ١٨ . التوحيد، محمد بن علي بن بابويه المعروف بالشيخ الصدوق، تحقيق: هاشم الحسيني، جماعة المدرّسين، قم، المشرفة، ١٣٩٨ هـ.
- ١٩ . جامع أحاديث الشيعة في أحكام الشريعة، السيّد حسين الطباطبائي البروجردي، تحقيق: إسماعيل المعزي الملايري، مطبعة مهر، قم، ١٤١٥ هـ.
- ٢٠ . جامع الأخبار، محمد بن محمد الشعيري، محمد علي الزنوزي، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٢٦٧ هـ.
- ٢١ . حجّة التفاسير وبلاغ الإكسير، عبد الحجّة البلاغي، مطبعة الحكمة، قم، ١٣٨٦ هـ.
- ٢٢ . حواريات فقهية وفق فتاوى سماحة آية الله العظمى الفقيه السيّد محمد سعيد الطباطبائي الحكيم، محمد تقى الحكيم، مؤسّسة المنار، بيروت، ١٤١٦ هـ.
- ٢٣ . الخصال، محمد بن علي بن بابويه المعروف بالشيخ الصدوق، تحقيق: علي أكبر غفاري، جماعة المدرّسين، قم، المشرفة، ١٣٦٢ هـ. ش.

- ٢٤ . روض الجنان وروح الجنان في تفسير القرآن، أبو الفتوح الحسين بن علي الرازي، محمد جعفر ياحقي، مؤسسة الدراسات الإسلامية التابعة للعتبة الرضوية المقدسة، مشهد، ١٣٧٦ هـ. ش.
- ٢٥ . سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة عوض، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٣٩٥ هـ.
- ٢٦ . شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار عليهم السلام، القاضي أبو حنيفة النعمان بن محمد بن حيّون المغربي، تحقيق: محمد الحسيني الجلال، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، ١٤٠٩ هـ.
- ٢٧ . شكوفاي عقل در پرتو نهضت حسینی (تفتح العقل في ضوء النهضة الحسينية)، عبد الله جوادي الآملي، دار إسرائ، قم، ١٤٠٠ هـ.
- ٢٨ . طبّ الأئمة عليهم السلام، عبد الله بن بسطام، تحقيق: محمد مهدي الخرسان، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٣٧٥ هـ.
- ٢٩ . عدّة الداعي ونجاح الساعي، جمال الدين أحمد بن فهد الحلّي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧ هـ.
- ٣٠ . علل الشرائع، محمد بن علي بن بابويه المعروف بالشيخ الصدوق، المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٣٨٥ هـ.
- ٣١ . عيون أخبار الرضا عليه السلام، محمد بن علي بن بابويه المعروف بالشيخ الصدوق، تحقيق: حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤٠٤ هـ.
- ٣٢ . الكافي، محمد بن يعقوب الكليني، تحقيق: علي أكبر غفاري، ومحمد آخوندي، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٤٠٧ هـ.
- ٣٣ . كامل الزيارات، جعفر بن محمد بن قولويه القمّي، تحقيق: عبد الحسين الأميني، دار المرتضوية، النجف الأشرف، ١٣٥٦ هـ. ش.

٣٤ . كتاب سليم بن قيس الهلالي، سليم بن قيس الهلالي، مؤسّسة البعثة (قسم الدراسات الإسلامية)، طهران، ١٤٠٧هـ.

٣٥ . كشف الأسرار وعدّة الأبرار (المعروف بتفسير الخواجة عبد الله الأنصاري)، عبد الله بن محمد الأنصاري، وعلي أصغر حكمت، وأحمد بن محمد الميدي، أمير كبير، طهران، ١٣٧١هـ. ش.

٣٦ . كنز الفوائد، أبو الفتح محمد بن علي الكراجكي، تحقيق: عبد الله نعمة، دار الذخائر، قم المشرقة، ١٤١٠هـ.

٣٧ . كنكاشی در اخلاق عرفانی امام خمینی (بحث في أخلاق الإمام الخميني رحمته الله العرفانية)، مجيد ملا يوسف، وصفورا تشكيني، مجلة متين العلمية، السنة الثامنة عشرة، العدد ٧٠.

٣٨ . ماهيت ومؤلفه های اخلاق عرفانی (ماهية الأخلاق العرفانية وعناصرها)، محمد جواد رودكر، الحكمة الإسلامية، العدد ٤٤، ١٣٩٦هـ. ش.

٣٩ . مجمع البيان في تفسير القرآن، الفضل بن الحسن الطبرسي، تحقيق وتعليق: لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

٤٠ . مجموعه آثار شهيد مطهری (أعمال الشهيد المطهري الكاملة)، الشيخ مرتضى المطهري، دار صدرا، طهران، ١٣٨٩هـ. ش.

٤١ . المحاسن، أحمد بن محمد بن خالد البرقي، تحقيق: جلال الدين محدث، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٧١هـ.

٤٢ . مختصر تفسير ابن كثير، محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت، ١٤٠٢هـ.

٤٣ . مركز دائرة المعارف بزرگ اسلامي (مركز الموسوعة الإسلامية الكبرى)، (جهل) (أربعون)، مليحة كرباسيان، ١٣٩٨ [https://www.cgie.org.ir/].

- ٤٤ . المزار الكبير، أبو عبد الله محمد بن جعفر بن المشهدي، تحقيق: جواد القيومي، دار القيوم، ومؤسسة النشر الإسلامي، طهران، ١٤١٩ هـ.
- ٤٥ . المزار، محمد بن محمد بن النعمان الكعبري البغدادي المعروف بالشيخ المفيد، تحقيق: محمد باقر الأبطحي، المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد، قم، ١٤١٣ هـ.
- ٤٦ . مستدرك الوسائل، الميرزا حسين النوري الطبرسي، الناشر: مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٨ هـ.
- ٤٧ . المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١ هـ.
- ٤٨ . مصباح الزائر، السيّد علي بن موسى ابن طاووس، مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، قم المشرّفة، ١٤١٧ هـ.
- ٤٩ . مصباح المتهجّد، أبو جعفر محمد بن الحسن الشيخ الطوسي، تحقيق: علي أصغر مرواريد وأبو ذر بيدار، مؤسسة فقه الشيعة، بيروت، ١٤١١ هـ.
- ٥٠ . المعجم الأوسط، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥ هـ.
- ٥١ . المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار، أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي، المطبوع بهامش إحياء علوم الدين، دار ابن حزم، بيروت، ١٤٢٦ هـ.
- ٥٢ . مفاتيح الجنان، الشيخ عباس القمّي.
- ٥٣ . مفاتيح دانشجوئي (مفاتيح الطلبة)، الشيخ عباس القمّي، حسن قدوسي زادة، مؤسسة تمثيل الولي الفقيه في الجامعات، مكتب معارف للنشر، قم، ١٣٩٤ هـ. ش.
- ٥٤ . مكارم الأخلاق، الحسن بن الفضل الطبرسي، إبراهيم ميرباقر، دار فراهاني، طهران، ١٣٦٥ هـ. ش.

٥٥ . منتهى الإرب في لغة العرب، عبد الرحيم بن عبد الكريم صفى بوري، تحقيق

ونشر: أميد مجد، طهران، ١٣٩٦ هـ. ش.

٥٦ . موعودشناسى و پاسخ به شبهات (معرفة الموعود والرد على الشبهات)، علي

أصغر رضواني، مسجد جمكران المقدس، قم، ١٣٩٠.

٥٧ . الميزان في تفسير القرآن، السيّد محمد حسين الطباطبائي، مؤسّسة النشر

الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين، قم المشرفة.

٥٨ . نظريه عرفانى اخلاق (النظرية العرفانية في الأخلاق)، محمد فنائي الأشكوري،

مجلة علمية في الأخلاق، العدد ٢١، ١٣٩٢ هـ. ش.

٥٩ . نفير مولوى، گوهر مشوى (النفير المولوي وجوهر المثوي) (دراسة مقارنة

لأتحاد العاشق بالمعشوق في المثوي والحكمة المتعالية)، علي صنايعي، الملتقى

الدولي للآراء العالمية لمولانا جلال الدين محمد البلخي، ١٣٨٨ هـ. ش.

٦٠ . نمونه (الأمثل)، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، دار الكتب الإسلامية،

طهران، ١٣٧٤ هـ. ش.

٦١ . وسائل الشيعة، محمد بن الحسن الحرّ العاملي، مؤسّسة آل البيت للإحياء

التراث، قم، ١٣٦٧ هـ. ش.



زيارة الأربعين الحسينية مسيرة حضارية بحلة عالمية

الشيخ الحسين أحمد كريمو

باحث إسلامي / سوريا

The Arbaeen Ziyara of Imam al-Husayn (PBUH)

– A Civilizational March in Global Attire

Shaykh al-Husayn Ahmad Karimo

Islamic Researcher / Syria

ملخص البحث

الإمام الحسين عليه السلام سبط نبي الرحمة صلى الله عليه وآله، من ابنته سيّدة نساء العالمين فاطمة الزهراء، ووصيه وابن عمّه أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام؛ ولذا فهو عليه السلام نسيج جديد وصناعة ربّانية رحمانية خاصّة به وبأخيه السبط الأكبر الإمام الحسن المجتبي عليه السلام، وهو عليه السلام بحق قد ملأ الدنيا وشغل الناس منذ أن قام قومته المشهورة والمشهودة على اسم الله تعالى، وقال قولته الشهيرة: «هيهات منّا الذلّة».

فنهضة الإمام الحسين عليه السلام كانت البداية والانطلاقة وليست النهاية والختام قطعاً؛ ولذلك منذ أن سقط ذاك الجسد المعنّى من التعب، والجوع، والعطش على تراب كربلاء، وارتفع ذاك الرأس الشريف الأزهر، المحمّدي القسمات، والعلوي الصفات، ونهضته تتنامى، ورأسه يتسامى، وشأنه يرتفع في العالمين إلى أن وصلنا في هذا العصر الذي يتّصف بأنّه عصر الشيعة، أي إنّ عصر الإمام الحسين عليه السلام ونهضته؛ لأنّها عنوان، وقضية، وميزان الشيعة في كلّ زمان ومكان، وكأنّ الزمان توقّف، والمكان اتّسع حتى صار الزمان عاشوراء، والمكان كربلاء بالنسبة للشيعة الكرام.

وفي هذا العصر - عصر الذروة الحضارية - نجد أنّ أحد مخرجات القضية الحسينية (زيارة الأربعين، أو الأربعينية)، صارت تضمّ في زحفها الملايين من البشر، الذين يتفوّقون بأعدادهم عن دول كثيرة في المنطقة، ويتنوّعون من كلّ البلدان، والأديان، والأعراق، والأشكال، وهذا ما نقل قضية الإمام الحسين من أحضان الشيعة الكرام إلى رؤوس العالم المتحضّر في عصر الحضارة الرقمية ليقول لهم جميعاً: (هنا ولدت الإنسانية، فهلمّوا يا من تبحثون عن إنسانيّتكم في الحرّية، والعدالة الاجتماعية، فالحسين عليه السلام قائدكم، وكربلاء قبلتكم، وقضيّته دستور عملكم، أينما كنتم، وكيفما توجّهتم، فهو عليه السلام يهدي إلى الحق، والعدل، والإنسانية).

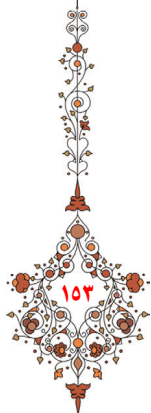
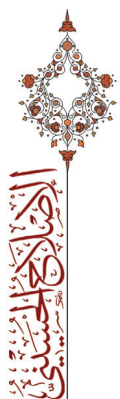
ومسيرة الأربعين صارت مسيرة الإنسانية المعذبة والباحثة عن وجودها وقيمتها
وفضيلتها في عصر ضاعت فيه القيمة، والفضيلة، والأخلاق؛ ولذا جاءت كل هذه
الجموع الغفيرة باحثة عن جوهرها الإنساني عند مشاركتها في مسيرة الأربعين
الحسينية، وهذا ما يجب أن ندرسه جيداً ونعكسه للعالم أجمع.
الكلمات المفتاحية: مسيرة الأربعين، الحسينية، العالمية، حضارية، إنسانية.

Abstract

Imam al-Husayn (PBUH), the grandson of the Prophet Muhammad (PBUH&HF), was born to his daughter, Lady of the Women of the Worlds, Fatima al-Zahra (PBUH), and his cousin and successor, Commander of the Faithful, Imam Ali (PBUH). Thus, this lineage makes him a unique figure, a divine creation, which is a distinction he shares only with his elder brother, Imam al-Hasan al-Mujtaba (PBUH). Imam al-Husayn (PBUH) has left an indelible mark on the world, capturing the hearts and minds of people since his historic stand in the name of Allah, the Exalted, when he famously declared: “*Far be it from us to accept humiliation.*”

His uprising was not an end but a beginning – a spark that ignited a timeless movement. From the moment his noble body, weakened by exhaustion, hunger, and thirst, fell on the plains of Karbala, and his sacred head – bearing the likeness of the Prophet (PBUH&HF) and the virtues of Imam Ali (PBUH) – was raised high, his legacy has only grown. His cause has transcended time and space, becoming a universal symbol. Today, we live in what can be called the era of Shiism, or more accurately, the era of Imam al-Husayn (PBUH) and his revolution. His uprising defines the essence, mission, and moral compass of Shiism across all times and places. For the Shiites, every moment echoes Ashura, and every place resonates with the spirit of Karbala.

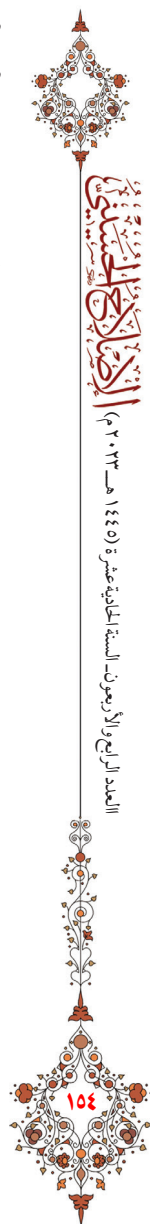
In this age – the height of human civilization – we see one of the most profound outcomes of the Husayni cause: the Arbaceen Ziyara. This annual event draws millions, surpassing the populations of many nations in the region. People from every corner of the globe, representing diverse religions, ethnicities, and cultures, come together in this monumental gathering. The Arbaceen Ziyara has transformed Imam



al-Husayn's cause from a Shiite-centric narrative into a global phenomenon, speaking to the civilized world in the digital age. It sends a powerful message: "Here, humanity was reborn. Come, all who seek freedom, justice, and the essence of humanity! Al-Husayn (PBUH) is your guide, Karbala your spiritual compass, and his cause your universal charter. Wherever you are, whatever your path, he (PBUH) points the way to truth, justice, and the essence of being human."

The Arbaeen March has become more than a religious event; it is a cry for humanity's lost identity, value, and virtue in an age where these principles are increasingly forgotten. The millions who walk this path are searching for their humanity, and this profound truth deserves deep reflection and sharing with the world.

Keywords: Arbaeen Ziyara, Husayni, global, civilization, humanity.



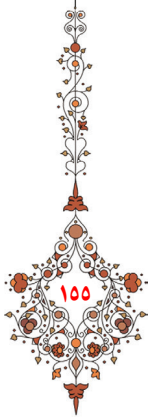
مقدمة حضارية

على الأمة الإسلامية اليوم البحث عن الوعي التاريخي، أو البصيرة الحضارية؛ وذلك لأن البشرية منذ بداية نشأتها وحتى الآن قد تعاقبت عليها حضارات عملاقة، كان لها الأثر الواضح على مسيرتها التاريخية، تصل إلى اثنتين وعشرين حضارة عالمية، تحتل الحضارة الإسلامية المرتبة الأعلى والأرقى فيما بينها.

هذا؛ ونعيش اليوم في أتون الحضارة الرقمية^(١) بكلّ ويلاتها، هذه الحضارة التي قامت على الأشلاء والدّماء بعد ثلاث حروب مدمّرة، اثنتان منها عالمي~تان، وثالثة استغرقت أكثر من قرن ونصف أبيد فيها شعب كامل، وهم الهنود الحمر، ولم تنهض إلاّ باستخدام القنبلة الذرية، والسلاح النووي لأول مرة في التاريخ، وذلك الذي حسم الحرب العالمية الثانية لصالح الولايات المتحدة الأمريكية؛ حيث دُمّرت الـ(ناجازاكي) و(هيروشيما) بشكل وحشي لم يسبق له نظير^(٢).

(١) ويُطلق عليها أيضاً الحضارة الصفريّة؛ وذلك لأنّ الثورة الرقمية قامت على ثنائية (٠ - ١) وإلى الآن لم يستطع العلماء إضافة خانة ثالثة، ولو أضافوها لقفزت الحضارة قفزة نوعية تجعلها تعيش في مستوى آخر من العيش والتفكير، لا يمكن تصوّره أو تخيله أو حتى توهّمه بالنسبة للعقل البشري.

(٢) القصف الذريّ على (هيروشيما) و(ناجازاكي) هو هجوم نووي شنته الولايات المتّحدة ضدّ الإمبراطورية اليابانية في نهاية الحرب العالمية الثانية في أغسطس ١٩٤٥م، قامت من خلاله بقصف مدينتي (هيروشيما) و(ناجازاكي) باستخدام قنابل ذريّة؛ بسبب رفض تنفيذ إعلان مؤتمر (بوتسدام)، وكان نصّه أن تستسلم اليابان استسلاماً كاملاً بدون أيّ شروط، إلّا أنّ رئيس الوزراء الياباني (سوزوكي) رفض هذا التقرير، وتجاهل المهلة التي حدّدها إعلان (بوتسدام). وبموجب الأمر التنفيذي الذي أصدره الرئيس (هاري ترومان)، قامت الولايات المتّحدة بإطلاق السلاح الذريّ - الولد الصغير - على مدينة (هيروشيما) يوم الاثنين ٢٧ شعبان عام ١٣٦٤ هـ / الموافق ٦ أغسطس عام ١٩٤٥م. ثم تلاها إطلاق قنبلة الرجل البدين على مدينة (ناجازاكي) في التاسع



ومن هناك؛ بدأت الحضارة المعاصرة، ولكن كانت بقطبين غربي وشرقي، كافر وملحد، ولكن تغلب الغرب الكافر على الشرق الملحد، وانتهت القوّة الشيوعية (الاتحاد السوفيتي) بين ليلة وضحاها في (البروستريكا)، حيث أذيت الكتلة الشرقية خلال أيام، واستفردت القوّة الخارجة عن كلّ القوانين، ونشأت إمبراطورية الشرّ العالمي وما سُمّي بـ(الشیطان الأكبر)، وراحت تُقسّم العالم إلى محورين: الموالي والموافق معها هو محور الخير والحضارة والديمقراطية، وكل من يعارضها أو لا يرضخ لها ولقوانينها وإملاءاتها وأوامرها فهو في محور الشرّ والتخلّف، وكلّ الصفات الخبيثة ألصقوها به.

واصطنعوا أحداث ١١ أيلول؛ ليبرّروا شنّ الحرب الاستباقية على المحور المعادي لهم، وكان من المقرّر أن يحتلّوا سبعة دول مارقة - كما أطلقوا عليها - وأهمّها العراق بلد الحضارات، ومنبع الخيرات، ومركز البركات؛ لأنّه كان هدفهم؛ لعلمهم ومعرفتهم بأنّ العراق ليس مهد الحضارات القديمة وحسب، بل هو عاصمة الحضارة النهائية، والخاتمة في آخر الزمان، وهذا ما أظهره في بداية القرن الواحد والعشرين في سلسلة أفلام (الرايفل - القادمون)، الذي سحبوه بعد أسبوع فقط من تنزيله على شبكة الإنترنت؛ لأنّه يحكي عن التسلسل الحضاري بشكل عجيب إلى أن يصلوا في الحلقة ٥٢ التي - على ما أذكر - تتحدّث عن الإمام المهدي (عجل الله فرجه الشريف)، ودولته المنتظرة، وعاصمته في الكوفة التي ستكون كبيرة جدّاً، وبيته الشريف في مسجد السهلة.

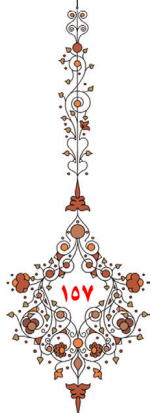
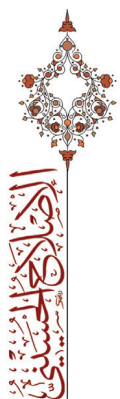
من شهر أغسطس. وكانت هاتان الهجمتان هما الوحيدتان اللتان تمّتتا باستخدام الأسلحة الذريّة في تاريخ الحرب، حيث قُتل ما يصل إلى ١٤٠,٠٠٠ شخص في (هيروشيما)، و ٨٠,٠٠٠ في (ناجازاكي) بحلول نهاية سنة ١٩٤٥، فقد مات ما يقرب من نصف هذا الرقم في اليوم نفسه الذي تمّت فيه التفجير، ومن بين هؤلاء مات ١٥-٢٠٪ متأثرين بالجروح أو بسبب آثار الحروق، والصدمات، والحروق الإشعاعية، يضاعفها الأمراض، وسوء التغذية والتسمّم الإشعاعي. انظر: الموسوعة الحرّة.

فأصحاب الحضارة الرقمية يعلمون علم فرعون أنّ نهايتهم على يدي المخلص العالمي، والمنقذ الحضاري في آخر الزمان، وكما أنّهم يعلمون علم اليقين بأنّه يقوم على أساس ثأره لجده الإمام الحسين عليه السلام ونهضته المباركة، وملحمته التي جرت على أرض العزّة والكرامة، وأرض القيامة والشهادة؛ ولذا كان الحظّ الأوفر من حربهم الاستباقية على الدول الإسلامية، وخاصّة الشيعة منها؛ لأنّ القسم الآخر قسّم بين الوهابية الصهيونية، وبين جماعات إسلامية أخرى من الخونة، وأبناء الأقبية البريطانية، وأتباع الفكر الماسوني.

وما يؤرّقهم في الشيعة مسألتان، وكلّ واحدة يتبعها سلسلة من الأسباب الفرعية التي يجب الانتباه إليها جيداً، وهما:

المسألة الأولى: الحوزة العلمية الشريفة، وعلى رأسها المرجعية الدينية - لا سيّما العليا - في النجف الأشرف، فقد أربكت القيادة الحكيمة لسماحة المرجع الأعلى آية الله العظمى السيّد علي السيستاني كلّ مخطّطاتهم للمنطقة عامّة وللعراق خاصّة، وهذا الأمر يحتاج إلى دراسة مستفيضة لسنا بصددّها الآن.

المسألة الثانية: قضية الإمام الحسين عليه السلام التي تبدأ ولا تنتهي، حيث المجالس الحسينية على مدار الأيام في البلاد، وأينما وجد شخص واحد شيعي ملتزم يقيم مجلساً ويذكر الإمام الحسين عليه السلام وقضيّته، ويبكي في الشارع ويقول للناس: إنّ إمامي الحسين بن فاطمة الزهراء عليها السلام، قُتل مذبحاً كالكبش في صحراء كربلاء، عطشاناً على كتف الفرات الذي هو من أكبر أنهار العالم. وتقوم الدنيا ولا تقعد إذا هلّ هلال محرّم الحرام، فتتغيّر الدنيا كما في الرواية المعروفة في كتاب (ثمرات الأعواد) للسيّد علي بن الحسين الهاشمي الخطيب، فقد ذكر في كتابه أنّه: «قيل للصادق عليه السلام: سيدي، جُعِلت فداك، إنّ الميّت يجلسون له بالنيابة بعد موته أو قتله، وأراكم تجلسون أنتم وشيعتكم من أوّل الشهر بالمأتم والعزاء على الحسين عليه السلام! فقال عليه السلام: يا هذا، إذا هلّ هلال محرّم نشرت الملائكة ثوب الحسين عليه السلام وهو مخرّق من ضرب السيوف، وملطّخ





بالدماء، فنراه نحن وشيعتنا بالبصرة لا بالبصر، فتنفجر دموعنا»^(١).

فالقضية التي أرقت العالم المستكبر هي القضية الحسينية بالذات دون غيرها؛ وذلك لأنّ المنابر الشريفة والمجالس أصبحت مدارس، وبعضها ترقى إلى مستوى الجامعات التي تثقف الناس - كلّ الناس - والأمة بقضّها وقضيضها، فهم يتعبون طيلة العام ليزرعوا فكرة ويصرفون عليها الملايين من الدولارات، ولكنّها ما أن يأتي محرّم الحرام حتى تتبخّر وتصبح في خبر إن أو كان وأخواتها، وتعود الأمة إلى بيوت الإمام الحسين عليه السلام.

ومشكلتهم مع الحسين عليه السلام المظلوم أنّه دائم ومستمرّ ومتواصل على مدار العام، ولكن يبلغ الذروة في محرّم الحرام؛ حيث المأساة المتجدّدة، والملحمة الخالدة، وصفر الأحران، حيث الزحف المليونى إلى قبلة الأرواح وكعبتها في كربلاء المقدّسة، حيث يخرج الملايين وليس العشرات أو الآلاف. والأعجب الأغرب أنّهم يعلمون علم اليقين أنّ هذا العدد الذي وصل إلى الكربلاء، يوجد بإزائه أكثر من مليار عاشق إمّا ينتظرون، وإمّا يتمنّون ويسعون للمشاركة والوصول إلى هذه الأرض المقدّسة، ويشاركون هذه الملايين بزحفها المقدّس إلى ذلك المظلوم الذي ذبح بشطّ الفرات عطشاناً، وهو ينادي: «ألا من ناصر ينصرنا»، فكّلهم يُلبي وينادي من صميم قلبه: (ليبك يا أبا عبد الله)، و(يا ليتنا كنّا معكم فنفوز فوزاً عظيماً).

السّرّ الحسيني الربّاني

وهنا يكمن السّرّ الحسيني الذي أربك الجميع رغم أنّهم درسوا السيرة والمسيرة الحسينية ربّما أكثر ممّا نحن الشيعة والعشّاق للإمام الحسين عليه السلام، ولكنّهم ما عرفوا سرّ الجاذبية في الشخصية والقضية الحسينية؛ ولذا احتاروا بأمرهم، وداخت

(١) الهاشمي، علي بن الحسين، ثمرات الأعواد: ج ١، ص ٢٣. لم نجد في التراث الروائي الشيعي هذا النصّ إلّا في هذا الكتاب، ولكنّه يعبر عن الواقع ولسان الحال على ما يبدو.

رؤوسهم، وهم يسألون: أين السرّ في الحسين؟ حتى صوّر هذا التساؤل الشاعر
الجمري البحراني:

سأل المخالف حين أنهكه العجب هل للحسين مع الروافض من نسب؟
لا ينقضي ذكر الحسين بثغرهم وعلى امتداد الدهر يُوقد كاللهب^(١)

فهؤلاء لم يدركوا سرّ الحسين عليه السلام وجاذبيته وقضيته التي أباح بها جدّه رسول
الله صلى الله عليه وآله حين ولادته، فعن ابن سنان، عن جعفر بن محمد عليه السلام، قال: «نظر النبي صلى الله عليه وآله
إلى الحسين بن علي عليه السلام وهو مقبل فأجلسه في حجره، وقال: إنّ لقتل الحسين حرارة في
قلوب المؤمنين لا تبرد أبداً. ثم قال عليه السلام: بأبي قتيل كلّ عبدة. قيل: وما قتيل كلّ عبدة يا
ابن رسول الله؟ قال: لا يذكره مؤمن إلا بكى»^(٢).

فالسرّ في الإمام الحسين عليه السلام الذي ما أدركوه ولن يدركوه الآن؛ لأنّهم ما آمنوا
برسالة الربّ الخاتمة (الإسلام)، ولا بجده سيّد الأنام، ولم يؤمنوا به بأنّه إمام مفترض
الطاعة، وآخر ابن بنت نبي في هذه الدنيا اجتمعت عليه تلك الجيوش الجرّارة - أكثر
من ثلاثين ألف - التي كانت تملأ الصحراء، فمنعوه من الماء، وقتلوا كلّ أصحابه
وأهل بيته، وعندما بقي وحيداً فريداً زحفوا عليه بقضّهم وقضيضهم فقتلوه بتلك
الطريقة التي لم يقتل مثلها ابن نبي قطّ، وهم يدّعون أنّهم من أمّته، فقتلوا إمامهم،
وابن نبيّهم، وحجّة الله عليهم، وهم يدّعون أنّهم من أمة جدّه رسول الإنسانية
محمد صلى الله عليه وآله!

فالسرّ في الحسين عليه السلام أنّه إمام الأمّة، وحجّة الخالق على المخلوق، قام لله ولحفظ
دينه من الاندثار والزوال والدفن، كما كان يحلم رأس النفاق الأموي معاوية بن هند

(١) علي عبد الرسول الغسرة الجمري البحراني، والعجيب أنّهم ينسبونها للشاعر نزار قباني.

(٢) النوري، حسين، مستدرک الوسائل: ج ١٠، ص ٣١٨.



آكلة الأكباد، «لا والله إلا دفناً دفناً»^(١) كما قال للمغيرة بن شعبة صديقه ونديمه على معصية الله، وهو الذي أغراه وشجّعه على استخلاف دعيّه يزيد على الأُمّة، فارتكب تلك الجريمة النكراء في يوم كربلاء، وتبعها بجريمة الحرّة واستباحة المدينة وقتل أهلها من أبناء الصحابة، ثم زحفت جيوشه إلى البيت الحرام ودكّته بالمنجنيق على رأس الطاغية عبد الله بن الزبير، فكانت جرائمه المخزية ضدّ الله وبيته الحرام، وضدّ رسول الله ﷺ وحرّمه المدينة وأهل بيته الأطهار، وضدّ الصحابة وأبنائهم والتابعين لهم ومدينتهم المنورة طيبة.

الحسين عليه السلام مشروع الله في الأرض

إنّ القضية الحسينية ليست برسم شخص الحسين العظيم، كلا، بل هي بمرسوم إلهي بامتياز، حيث إنّ الحسين قام بالتنفيذ فقط، بينما التخطيط، ورسم خارطة الطريق للنهضة وما يتبعها، كلّ ذلك كان من عند الله تعالى، وهذا ما صرّح به - روعي فداه -

(١) «قال مطرّف بن المغيرة بن شعبة: وفدت مع أبي المغيرة على معاوية، وكان أبي يأتيه فيتحدّث معه، ثمّ ينصرف إليّ فيذكر معاوية ويذكر عقله ويعجب بها يرى منه. إذ جاء ذات ليلة فأمسك عن العشاء، ورأيتُه مغتماً فانتظرتُه ساعة، وظننتُ أنّه لشيء حدث فينا وفي عملنا، فقلت: ما لي أراك مغتماً منذ الليلة؟ فقال: يا بني، جئت من عند أخبت الناس. قلت: وما ذاك؟ قال: قلت له وخلوت به: إنّك قد بلغت سنّاً فلو أظهرت عدلاً وبسطت خيراً؛ فإنّك قد كبرت، ولو نظرت إلى إخوانك من بني هاشم فوصلت أرحامهم، فوالله ما عندهم اليوم شيء تخافه. فقال: هيهات هيهات، ملك أخوتيم فعدل، وفعل ما فعل، فوالله ما عدا أن هلك فهلك ذكره إلا أن يقول قائل: أبو بكر. ثمّ ملك أخو بني عدي فاجتهد وشمّر عشر سنين، فوالله ما عدا أن هلك فهلك ذكره إلا أن يقول قائل: عمر. ثمّ ملك عثمان فهلك رجل لم يكن أحد في مثل نسبه، وفعل ما فعل، وعمل به ما عمل، فوالله ما عدا أن هلك فهلك ذكره وذكر ما فعل به. وإنّ أخا بني هاشم يُصاح به في كلّ يوم خمس مرّات أشهد أنّ محمداً رسول الله، فأبى عمل يبقّى بعد هذا لا أمّ لك؟! لا والله إلا دفناً دفناً». المسعودي، علي بن الحسين، مروج الذهب: ج ٣، ص ٤٥٤. العلامة الحليّ، الحسن بن يوسف، كشف اليقين: ص ٤٧٤-٤٧٥. الإرزبلي، علي بن أبي الفتح، كشف الغمّة: ج ٢، ص ٤٦. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٣٣، ص ١٦٩.

حيث قال لأخيه محمد: «أتاني رسول الله ﷺ بعد ما فارقتك، فقال: يا حسين، أخرج؛ فإن الله قد شاء أن يراك قتيلاً. فقال محمد بن الحنفية: إنا لله وإنا إليه راجعون، فما معنى حملك هؤلاء النساء معك وأنت تخرج على مثل هذا الحال؟ قال: فقال لي ﷺ: إن الله قد شاء أن يراهنّ سبايا»^(١).

فهي مشيئة الله النافذة، وأمر رسول الله الأعظم ﷺ، وتنفيذ ولي الله المعظم الإمام الحسين عليه السلام في أرض الواقع.

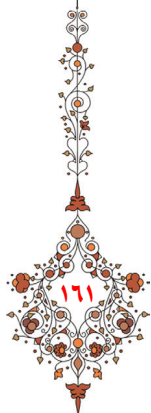
إنّها مسألة ربّانية بامتياز، وإلهية في كلّ تفاصيلها ودقائقها، ولا يمكن لإنسان أن يفهم هذه النهضة المباركة بمعزل عن هذا الجانب المعنوي؛ ولذا ترى الكثير من العلماء الأعداء، والخطباء الأجلاء، تعثروا في بعض تحليلاتهم لهذه النهضة الإمام الحسين عليه السلام عندما تعاملوا معها كمعركة بين طرفين متنازعين، أو بين عشيرتين متخاصمتين، أو بين حاكم سياسي ومعارض له، وأغفلوا مسألة الإمامة، وتغافلوا عن قضية الإرادة الإلهية في القضية، ثم المشيئة الربّانية التي رافقت هذه المعركة الخاطفة^(٢)، ثم سارت معها في التاريخ خطوة خطوة، ومرحلة مرحلة.

ولذا؛ عليهم جميعاً أن يعيدوا قراءة - بل دراسة - حديث أم أيمن التي سألت عنه السيّد زينب عليها السلام أباهما أمير المؤمنين في آخر لحظات حياته المباركة^(٣)، ثم روته لابن أخيها الإمام علي زين العابدين عليه السلام في لحظات خروج السبايا من كربلاء؛ لأنّ فيه علماً عظيماً جدّاً، يستدعي أن تُضبط أفكارهم وفق ذاك الحديث الصحيح الذي يقول:

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٣٦٤.

(٢) راجع: كتابنا (معركة السماء في أرض كربلاء.. دراسة عسكرية معاصرة؛ الحسين أحمد السيّد)، وهو وحيد في بابهِ؛ حيث تناولت فيه القضية العسكرية والمعركة بمنظار عسكري تخصّصي معاصر.

(٣) أنظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ١٨٣.



«قال علي بن الحسين عليه السلام: فلأخبرنك [أي زائدة] بخبر كان عندي في النخب المخزون: إنه لما أصابنا بالطف ما أصابنا، وقتل أبي عليه السلام، وقتل من كان معه من ولده وإخوته وسائر أهله، وحملت حرمه ونساؤه على الأقتاب يراد بنا الكوفة، فجعلت أنظر إليهم صرعى ولم يواروا، فيعظم ذلك في صدري، ويشتد لما أرى منهم قلقي، فكادت نفسي تخرج، وتبينت ذلك مني عمّتي زينب بنت علي الكبرى، فقالت: ما لي أراك تجود بنفسك يا بقية جدّي وأبي وإخوتي؟ فقلت: وكيف لا أجزع وأهلع وقد أرى سيدي وإخوتي وعمومتي وولد عمّي وأهلي مضرجين بدمائهم، مرمّلين بالعراء مسلّين، لا يكفّنون ولا يوارون، ولا يعرّج عليهم أحد ولا يقربهم بشرّ، كأنهم أهل بيت من الديلم والخزر؟! فقالت: لا يجوز عنك ما ترى، فوالله إن ذلك لعهد من رسول الله إلى جدك وأبيك وعمك، ولقد أخذ الله ميثاق أناس من هذه الأمة، لا تعرفهم فراعنة هذه الأرض، وهم معروفون في أهل السماوات، إنهم يجمعون هذه الأعضاء المتفرقة فيوارونها، وهذه الجسوم المضرجة، وينصبون لهذا الطف علماً لقبر أبيك سيّد الشهداء، لا يُدرس أثره، ولا يعفو رسمه على كرور الليالي والأيام، وليجتهدنّ أئمة الكفر وأشياع الضلالة في محوه وتطميسه فلا يزداد أثره إلّا ظهوراً، وأمره إلّا علوّاً...

ثمّ يبعث الله قوماً من أمتك لا يعرفهم الكفار، لم يشرّكوا في تلك الدماء بقول ولا فعل ولا نيّة، فيوارون أجسامهم، ويقىمون رسماً لقبر سيّد الشهداء بتلك البطحاء، يكون علماً لأهل الحقّ، وسبباً للمؤمنين إلى الفوز، وتحفّه ملائكة من كلّ سماء مئة ألف ملك في كلّ يوم وليلة، ويصلّون عليه ويسبّحون الله عنده، ويستغفرون الله لزوّاره، ويكتبون أسماء من يأتيه زائراً من أمتك متقرباً إلى الله وإليك بذلك، وأسماء آبائهم وعشائرتهم وبلدانهم، ويوسمون في وجوههم بميسم نور عرش الله: هذا زائر قبر خير الشهداء، وابن خير الأنبياء، فإذا كان يوم القيامة سطع في وجوههم من أثر ذلك الميسم نورٌ تغشى منه الأبصار، يدلّ عليهم ويُعرفون به...».

وفي نهاية الحديث قال زائدة: «ثم قال علي بن الحسين بعد أن حدّثني بهذا الحديث: خذه إليك، أما لو ضربت في طلبه آباط الإبل حولاً لكان قليلاً»^(١).

هذا الحديث الشريف دستور النهضة الحسينية المباركة، ليس في حينها فحسب، بل فيما بعدها وحتى يوم الوقت المعلوم؛ وذلك لأنّه يتحدّث عن المستقبل الآتي وما سيجري من أحداث، ويعطي الخطوط العريضة لها، ويرسم لها خارطة الطريق، بحيث إنّ سيأتي أناس معروفون في السماء، «وينصبون لهذا الطفّ علماً لقبر أبيك سيّد الشهداء، لا يُدرس أثره، ولا يعفو رسمه على كرور الليالي والأيام»، وهذا ما نراه بألم العين الآن، فبعد مرور كلّ هذه القرون المتطاولة، لا يمضي عام ولا شهر، وربّما أقول: ولا حتى يوم واحد إلّا ويزداد تألّقاً وعلوّاً وسموّاً ذكر الإمام الحسين عليه السلام، وضريحه وجنته المقدّسة، وأنتم من المعروفين في السماء أنكم من خدامه وسكّان جنته وروضته المباركة بإذن الله تعالى.

وذلك رغم أنف الأعداء من الأمويّين الأدعياء، إلى العبّاسيّين الأشقياء، حتّى العثمانيّين الأغبياء، ثم ما ابتلينا به من هؤلاء التكفيريّين اللعناء، فالجميع اتّخذ من علي والحسين عليهما السلام عدوّاً له.. والعجيب الغريب أنّهم يحاربون عليّاً في ولايته ويقتلون شيعته، والحسين يحاربونه في شهادته ويفجّرون عشاقه وزوّاره! وهذا جارٍ منذ اليوم الأوّل للمأساة وإلى هذا اليوم؛ ولذا جاء في الحديث المتقدّم: «وليجهنّ أئمة الكفر وأشياع الضلالة في محوه وتطميّسه فلا يزداد أثره إلّا ظهوراً، وأمره إلّا علوّاً...».

وها هي الشواهد ماثلة أمامنا جميعاً، وإذا شئتم ربّما جمعت مجلّدات عن أعمال أئمة الكفر وأشياع الضلالة وأعمالهم الإجرامية بحقّ قبر الإمام الحسين عليه السلام، ألا يكفي ما فعله العبّاسيون لا سيّما المتوكّل الناصبي الذي ما زالت أعماله ضدّ القبر الشريف وزوّاره تزكم أنوف التاريخ؟!

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ج ١، ص ٢٦٠.

الإمام الحسين عليه السلام حضارة

إنّ الحديث عن الإمام الحسين عليه السلام هو حديث عن الحضارة الإنسانية الراقية بكلّ ما فيها من معاني ومبادئ؛ لأنّ الحضارة هي حضور الإنسان لدى أخيه الإنسان على أساس من القيم المشتركة، أو أنّها مجموعة ومنظومة القيم المنظّمة لحركة المجتمع الإنساني، وبناء العمران الخادم للإنسان، وليس العكس كما في الحضارة الرقمية اليوم، التي تخدم الإنسان وتقيّمه في ضوء ما يملكه من المال، أو ما يقدّمه من خدمات، وإلّا فإنّه لا قيمة له، والخلاص منه أنفع لهم، وقد ظهر هذا الأمر بصورة جلية في أزمة (كورونا/ كوفيد ١٩)، حيث إنّها كانت فرصة للتخلّص من كبار السنّ عندهم؛ وذلك لأنّهم فقدوا إنسانيّتهم، وداست الحضارة المنظومة القيمية لديهم بأحذيتها.

والإمام الحسين عليه السلام ليس شخصاً بل شاخص، وليس إنساناً عادياً، بل مقياس للإنسانية، وقضيّته ليست قضية سياسية، أو حادثة تاريخية، بل هي علّم عالٍ، وراية شامخة للعدالة الاجتماعية، والحقوق الإنسانية، وهي مسألة دين الله في الأرض، ورسالة السماء الشاملة الكاملة التي نزلت على جدّه رسول الله ﷺ، فقد قال له عزّ وجلّ بعد بلاغ يوم الغدير الأغر: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(١)، فكمال الدين بمعرفة القائد الأعلى له، وتمام النعمة بمعرفة الإمامة والولاية لأهلها.

والإمام الحسين عليه السلام هو القائد الأعلى، والولي الأكمل لدين الله في عصره، فهو القرآن الناطق؛ ولذا عندما أقدم أولئك الأشقياء على جريمتهم النكراء تلك، وبذلك الطريقة الشنيعة، فهم قتلوا الإسلام، وذبحوا القرآن، وداسوا صدر الدين وظهره بخيولهم الأعوجية؛ ولذا جعل الله سبحانه وتعالى قضيّته علماً عالياً، ورأسه الشريف راية خفّاقة عبر العصور والدهور، ويأبى الله له الضعف والخفوت، بل سيزداد مع

الأيام علوّاً وسموّاً حتى يكون مسموعاً ومرئياً لجميع أهل العالم، وسيأتي اليوم الذي يقف فيه العالم أجمع ليصرخ وينادي: (يا حسين).

فالإمام الحسين عليه السلام رسالة ربّانية بحجم الكون، وليس بحجم العالم البشري، أو حتى الثقلين الإنس والجنّ، وإلّا فلماذا بكت عليه السماء، والأرض، وحيثان البحار، وحرور الجنان، واقشعرّت لمصيبته أظلة العرش، وأنّ من زاره كان كمن زار الله فوق عرشه (١)؟!

فيجب أن نقدّم الإمام الحسين عليه السلام إلى العالم بهذا الحجم وبهذه الحلّة العالمية القشبية (في حلّة البرفير) (٢) كما أطلق عليه الأديب اللبناني (سليمان كتاني) (٣)، بل في حلّة الرحمن وبرفير الجنان، فالعالم اليوم يبحث عن الخلاص؛ لأنّه ضاق بأعمال هؤلاء الطغاة والجبارين المجرمين في كلّ بلد، لا سيّما سياسات العوالة في عوالة الفساد، كالمثلية ومحاولة تقنينها وإجبار الناس عليها، ولا خلاص لهم إلّا بالحسين عليه السلام، القضية العالمية الكونية التي ترفض الظلم والجور وكلّ أنواع التعسّف وأشكاله، وتبحث عن العدالة في الحكم، والقسط في المجتمع، والإنصاف في الحياة التي تقوم على أساس الرحمة، والرأفة، والإنسانية، وهذه القيم قتلتها الحضارة الرقمية وداستها بسنابك خيلها الحديدية.

وأصحاب الحضارة الرقمية وأربابها المزيّفون ما هم إلّا لصوص ومجرمون يعيشون ليمتصّوا دماء الفقراء، ويقتلوا البسطاء الأبرياء، ليتسلّطوا على الشعوب

(١) عن زيد الشحام، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما لمن زار قبر الحسين؟ قال: «كان كمن زار الله في

عرشه». ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ج ١، ص ١٤٧.

(٢) البرفير: ثوب مصبوغ بالبرفير. وبرفير: لون مركّب من الأحمر والأزرق.

(٣) (الإمام الحسين في حلّة البرفير) كتاب أدبي في سيرة الإمام الحسين بلغة وجدانية علمية، للكاتب المسيحي سليمان كتاني، وقد نال هذا الكتاب الجائزة الأولى في مسابقة التأليف عن الإمام

الحسين عليه السلام التي نظّمها مركز الدراسات والبحوث العلمية في بيروت.

والأُمم بالحديد والنار، أو بالمكر والحيلة، أو بالحرب الخشنة الساخنة، أو الحرب الناعمة الباردة، وإذا ما استعصوا عليهم فسوف يسلطون عليهم الجيل الرابع من الحرب، الذي يعني الفناء الذاتي للشعوب والأُمم، يقتلونهم بأيديهم، ويدمرونها من الداخل، كما نرى عندنا في الشام، وليبيا، والسودان، والصومال، وغيرها من البلاد الإسلامية.

الإمام الحسين عليه السلام ليس للبكاء

نعم، بكينا الإمام الحسين عليه السلام لقرون وسنبكيه ما بقينا بدل الدموع دماً، إلا أن يقوم ويحكمنا في رجعته، ولكن علينا أن نعرف أننا في عصر الحضارة الحسينية أن الحسين فكر وبناء، وليس ألماً وبكاء فقط، فالدمعة عندنا يجب أن تتحول إلى رصاصة في أيدي وبنادق المجاهدين لتستقر في قلوب الأعداء، وكذلك قلم وريشة في يد الأدباء والفنانين ليقدموا فكرهم الحسيني إلى العالم كل في مكانه ومجاله. والدمعة الحسينية يجب أن تتحول إلى كاميرا ترى وترصد ساحات الجهاد، فتقدم البطولات التي نقرأها عن علي الأكبر، والقاسم، والعبّاس، وزهير، وحبيب بن مظاهر الأسدي، وجون الأسود الإفريقي، ووضّاح التركي، وكل أولئك الأصحاب الكرام الذين رسموا لوحة كربلاء كاملة، فصارت ملحمة إلهية لم يكن لها نظير في التاريخ.

وهكذا يجب أن يكون البكاء وسيلة إعلامية لإيصال مواقف هؤلاء إلى العالم بتلك الصورة الراقية، ولا تنسوا أن رسالة الطفل الرضيع - أصغر الشهداء - هي بنفسها راية وحكاية لو أحسن الأدباء صياغتها، والشعراء نظمها، والإعلاميون تصويرها، لكان لها وقع عالمي لا يمكن تصوّر تأثيره على الناس في كل مكان يصل إليهم.

نعم، الدمعة على الحسين عليه السلام تُطفئ بحاراً من النار في الآخرة، وهي في الوقت نفسه تُضيء آفاقاً من النور في عالم الدنيا، فتثير العالم باسم الحسين، وقضية الحسين،

ومظلومية الحسين عليه السلام، التي قرأها (المهاتما غاندي) وعرف طريقه لينتصر على الإمبراطورية البريطانية التي كانت إمبراطورية الشيطان حينها، قبل أن ينتقل إلى واشنطن ويسكن البيت الأسود.

ولكن نحن لم نتعلم من الإمام الحسين جانب المظلومية وحسب، بل تعلمنا منه عليه السلام - قولاً وعملاً - كيف نرفض الذل والعار، فهو القائل: «تَبَّأَ لَكُمْ أَيُّهَا الْجَمَاعَةُ وَتَرَحَّأَ؛ حِينَ اسْتَصْرَخْتُمُونَا وَالْهَيْنَ، فَأَصْرَخْنَاكُمْ مَوْجِفِينَ، سَلَلْتُمْ عَلَيْنَا سَيْفًا لَنَا فِي أَيْمَانِكُمْ، وَحَشَشْتُمْ عَلَيْنَا نَارًا اقْتَدَحْنَاهَا عَلَى عِدْوَانَا وَعِدْوِكُمْ، فَأَصْبَحْتُمْ إِبَاءً لِأَعْدَائِكُمْ عَلَى أَوْلِيَائِكُمْ بَغِيرِ عَدْلٍ أَفْشَوْهُ فِيكُمْ، وَلَا أَمَلٍ أَصْبَحَ لَكُمْ فِيهِمْ، فَهَلَّا - لَكُمْ الْوِيلاتُ - تَرَكْتُمُونَا وَالسَّيْفَ مَشِيمًا، وَالْجَأْشَ طَامِنًا، وَالرَّأْيَ لِمَا يَسْتَحْصِفُ، وَلَكِنْ أَسْرَعْتُمْ إِلَيْهَا كَطِيرَةِ الدَّبَا، وَتَدَاعَيْتُمْ إِلَيْهَا كَتَهَافَتِ الْفَرَاشِ، فَسَحَقًا يَا عِبِيدَ الْأُمَّةِ، وَشَذَّاذَ الْأَحْزَابِ، وَنَبْذَةَ الْكِتَابِ، وَمَحَرَّفِي الْكَلِمِ، وَعَصْبَةَ الْأَثَامِ، وَنَفْثَةَ الشَّيْطَانِ، وَمُطْفِئِي السَّنَنِ، أَهْؤُلَاءِ تَعْصِدُونَ وَعَنَّا تَتَخَاذِلُونَ؟! أَجَلُ وَاللَّهِ، الْغَدْرُ فِيكُمْ قَدِيمٌ وَشَجْتُ إِلَيْهِ أَصُولَكُمْ، وَتَأَزَّرْتُ عَلَيْهِ فِرْعَوْنَكُمْ، فَكُنْتُمْ أَخْبَثَ ثَمَرِ شَجٍّ لِلنَّازِلِ وَأَكْلَةٍ لِلْغَاصِبِ. أَلَا وَإِنَّ الدَّعِي ابْنَ الدَّعِي قَدْ رَكَّزَ بَيْنَ اثْنَتَيْنِ، بَيْنَ السَّلَّةِ وَالذَّلَّةِ، وَهِيَهَاتَ مَنَا الذَّلَّةِ، يَا بَنِي اللَّهِ ذَلِكَ لَنَا وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ، وَحُجُورٌ طَابَتْ وَطَهَرَتْ، وَأُنُوفٌ حَمِيَّةٌ وَنَفُوسٌ أَبِيَّةٌ، مِنْ أَنْ تَوْثَرَ طَاعَةُ اللَّثَامِ عَلَى مِصَارِعِ الْكِرَامِ، أَلَا وَإِنِّي زَاخِفٌ بِهَذِهِ الْأُسْرَةِ مَعَ قَلَّةِ الْعَدَدِ وَخَذَلَةِ النَّاصِرِ»^(١).

هل هذا درس أو مدرسة؟ لا والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، إنها جامعة كبرى افتتحها الإمام الحسين عليه السلام لَمَنْ أَرَادَ الْفَتْحَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَالْأَجْيَالِ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ، وَعَلَى مَنْ يَبْحَثُ عَنِ الْعِزَّةِ وَالْكَرَامَةِ عَلَيْهِ أَنْ يَدْرُسَ فِي تِلْكَ الْجَامِعَةِ، ثُمَّ يَتِمَثَّلَهَا فِي حَيَاتِهِ وَعِلْمِهِ وَسُلُوكِهِ، وَلِيَعْلَمَ أَنَّهُ سَيَنْتَصِرُ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ؛ لِأَنَّ الْإِمَامَ

(١) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ٥٨-٥٩.

الحسين عليه السلام انتصر على يزيد ورماه في مزابل التاريخ، وها هو ما زال يرتفع ويتسامى ويتألق، وسيبقى كذلك - بإذن الله تعالى - إلى أن تقوم وتكتمل حضارته الإنسانية الراقية على يدي حفيده، الآخذ بثأره في قادم الأيام بإذن الله تعالى.

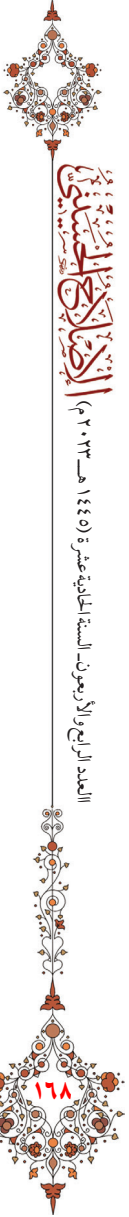
زيارة الأربعين مسيرة عالمية

في الحقيقة والواقع أن زيارة الأربعين هي مسيرة محبة وهداية، مسيرة عشق وولاية، مسيرة نصر المظلوم وتلبية لندائه المكظوم في حلقة، المقطوع من أهل الضلالة والغواية، وهي كنداء الحجّ الإبراهيمي الذي أمره الله به، حيث قيل: «ولمّا فرغ إبراهيم عليه السلام من بناء البيت، أمره الله أن يؤذّن في الناس بالحجّ، فقال: يا ربّ، وما يبلغ صوتي؟ فقال الله: عليك الأذان وعليّ البلاغ. وارتفع إلى المقام وهو يومئذ يلصق بالبيت، فارتفع به المقام حتّى كان أطول من الجبال، فنادى وأدخل إصبعة في أُذنيه، وأقبل بوجهه شرقاً وغرباً، يقول: أيّها الناس، كتب عليكم الحجّ إلى البيت العتيق، فأجيبوا ربّكم. فأجابوه من تحت البحور السبع، ومن بين المشرق والمغرب إلى منقطع التراب من أطرافها، أي الأرض كلّها، ومن أصلاب الرجال وأرحام النساء بالتلبية: لبيك اللهمّ لبيك. أو لا ترونهم يأتون يلّبّون؟ فمَن حجّ من يومئذٍ إلى يوم القيامة فهم ممّن استجاب لله، وذلك قوله: ﴿فِيهِ ءَايَاتٌ مُّبَيِّنَاتٌ مِّمَّا يُرَاهِمُ﴾^(١)، يعني نداء إبراهيم عليه السلام على المقام بالحجّ»^(٢).

فهذه الرواية تُعطينا الرؤية الكونية لأذان إبراهيم الخليل منذ خمسة آلاف عام، والخلق يُلبّون النداء بالطاعة، وكذلك نداء الإمام الحسين عليه السلام الذي نادى به من حلقة المكظوم بعد أن استشهد جميع أهله وأصحابه وبقي فريداً وحيداً وأتاه الأمر الربّاني بالنداء، فنادى بملء صوته: «ألا من ناصر ينصرنا؟». هذا النداء تسامى وارتفع فوق

(١) آل عمران: الآية ٩٧.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ١٢، ص ١١٦.



الزمان والمكان، حينما ارتفع الرأس الشريف على ذلك الرمح الطويل، وراح يرتل القرآن ويقرأ سورة الكهف المباركة، وكأنه يقول للعالم والأجيال: هلموا إلى كهف ربكم وحصنه الحصين، واركبوا في سفينة الحسين عليه السلام.

ومن ذلك اليوم لبينا النداء، كما لباه أهل الدنيا من كل فج عميق نساءً ورجالاً، فكان عليه النداء، وعلى الله البلاغ، وعلينا الأداء، فجاء الجواب: «لبيك داعي الله، لبيك يا أبا عبد الله»، وهذا سار فينا وفي كل مؤمن ومؤمنة أينما كانوا في الأرض، حيث بلغ النداء إلى أصلاب الرجال وأرحام النساء، بل في بطون الأيام والليالي عبر العصور وكرّ الدهور، وكان الطواف والمسعى والتلبية تتمثل بهذه الزيارة المباركة، وهذه المسيرة المظفرة في يوم الأربعين.

فحجّ العوامّ في تلبية نداء إبراهيم الخليل، وحجّ الخواصّ في تلبية نداء السبط المظلوم سيّد الشهداء، حيث انطلق الأوّل من المقام - مقام إبراهيم - الذي ارتفع وتشامخ وتناول على الجبال، وأمّا الثاني فانطلق من فوق رمح طويل تناول على الأجيال؛ ولذا نجد التقارن بين إبراهيم وحفيده الإمام الحسين عليه السلام، حيث إنّ كان هو الذبح العظيم الذي كان فداءً لذبيح الله الأوّل إسماعيل، وهذا ما يرويه الفضل بن شاذان، قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: «لما أمر الله تبارك وتعالى إبراهيم عليه السلام أن يذبح مكان ابنه إسماعيل الكبش الذي أنزله عليه، تمتّى إبراهيم عليه السلام أن يكون يذبح ابنه إسماعيل بيده، وأنّه لم يؤمر بذبح الكبش مكانه؛ ليرجع إلى قلبه ما يرجع قلب الوالد الذي يذبح أعزّ ولده بيده، فيستحقّ بذلك أرفع درجات أهل الثواب على المصائب، فأوحى الله عزّ وجلّ إليه: يا إبراهيم، من أحبّ خلقي إليك؟ فقال: يا ربّ ما خلقت خلقاً هو أحبّ إلي من حبيبك محمد صلّى الله عليه وآله، فأوحى الله عزّ وجلّ إليه: يا إبراهيم، أفهو أحبّ إليك أو نفسك؟ قال: بل هو أحبّ إلي من نفسي. قال: فولده أحبّ إليك أو ولدك؟ قال: بل ولده. قال: فذبح ولده ظمأً على أعدائه أوجع لقلبك، أو ذبح ولدك بيدك في طاعتي؟ قال: يا ربّ، بل ذبحه على أيدي أعدائه أوجع لقلبي. قال: يا إبراهيم، فإنّ طائفة نزع





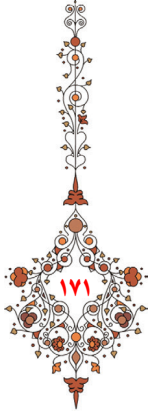
أنها من أمة محمد ﷺ ستقتل الحسين ﷺ ابنه من بعده ظملاً وعدواناً، كما يذبح الكبش، فيستوجبون بذلك سخطي، فجزع إبراهيم ﷺ لذلك وتوجّع قلبه وأقبل يبكي، فأوحى الله عز وجل إليه: يا إبراهيم، قد فديت جزعك على ابنك إسماعيل لو ذبحته بيدك بجزعك على الحسين ﷺ وقتله، وأوجبت لك أرفع درجات أهل الثواب على المصائب، فذلك قول الله عز وجل: ﴿وَفَدَيْنَهُ بِذَبِيحٍ عَظِيمٍ﴾^(١)»^(٢).

فالسيرة والمسيرة واحدة، كما أنّ الرسالة الإلهية واحدة نازلة من الواحد الأحد الفرد الصمد، وناطقة بالشهادة لله بالوحدانية، وللرسول محمد بالرسالة، ولأمير المؤمنين بالولاية، وللحسين بالشهادة؛ لأنّ له منزلة عند الله لن يبلغها إلا بها، وهذا نصّ البشارة من جدّه الرسول الأعظم منذ الليلة الأولى في إعلان النهضة المناهضة لحكم بني أمية الطلقاء الرافضة لظلمهم، حيث ورد أنّ الإمام الحسين ﷺ «خرج إلى القبر [الشريف]، وصلى ركعات، فلما فرغ من صلاته جعل يقول: اللهم هذا قبر نبيك محمد، وأنا ابن بنت نبيك، وقد حضرني من الأمر ما قد علمت. اللهم إني أحبّ المعروف وأنكر المنكر، وأنا أسألك يا ذا الجلال والإكرام بحقّ القبر ومَن فيه، إلّا اخترت لي ما هو لك رضا ولرسولك رضا».

قال: ثم جعل يبكي عند القبر حتى إذا كان قريباً من الصبح، وضع رأسه على القبر فأغشى، فإذا هو برسول الله قد أقبل في كتيبة من الملائكة عن يمينه وعن شماله وبين يديه، حتى ضمّ الحسين إلى صدره، وقبّل بين عينيه، وقال: حبيبي يا حسين، كأني أراك عن قريب مرّلاً بدمائك، مذبوحاً بأرض كرب وبلاء من عصابة من أمتي، وأنت مع ذلك عطشان لا تُسقى، وظمآن لا تُروى، وهم مع ذلك يرجون شفاعتي، لا أنا لهم الله شفاعتي يوم القيامة. حبيبي يا حسين، إنّ أباك، وأُمّك، وأخاك، قدموا عليّ وهم مشتاقون إليك، وإنّ لك في الجنان لدرجات لن تنالها إلّا بالشهادة.

(١) الصفات: الآية ١٠٧.

(٢) الصدوق، محمد بن علي، عيون أخبار الرضا ﷺ: ج ١، ص ١٨٨. الاسترآبادي النجفي، شرف الدين علي الحسني، تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة: ج ٢، ص ٤٩٩.



قال: فجعل الحسين عليه السلام في منامه ينظر إلى جدّه ويقول: يا جدّاه، لا حاجة لي في الرجوع إلى الدنيا، فخذني إليك وأدخلني معك في قبرك، فقال له رسول الله: لا بدّ لك من الرجوع إلى الدنيا حتى ترزق الشهادة، وما قد كتب الله لك فيها من الثواب العظيم؛ فإنّك وأباك وأخاك وعمّك [جعفر] وعمّ أبيك [الحمزة] تحشرون يوم القيامة في زمرة واحدة، حتى تدخلوا الجنة^(١).

ومقام الإمام الحسين عليه السلام في الجنة مقام مميّز وخاصّ به، وله باب من أبوابها، بل الأمر أعظم من كلّ ذلك كما يُشير حديث أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وآله الذي جاء فيه: «... ثمّ فتق نور الحسين فخلق منه الجنة والخور العين، فنور الجنة والخور العين من نور الحسين، ونور الحسين من نور الله، والحسين أفضل من الجنة والخور العين»^(٢). فالجنة هي معرفة الإمام الحسين عليه السلام، والمسير في طريقه، والالتحاق بمسيرته المباركة، والركوب في سفينته الواسعة، وكلّ ذلك يكون بحضور مجالسه الشريفة، ثمّ المسير إليه في زيارة الأربعين المظفّرة، وعلى ذلك نربّي أنفسنا وأبناءنا، وندعو العالم ليلتحقوا بنا في مسيرة الأربعين من أيّ دين أو مذهب كانوا.

عالمية الإمام الحسين عليه السلام

الإمام الحسين عليه السلام هو إمام الأُمّة الإسلامية، أي أنّه إمام العالم أجمع، وليس إمامنا نحن الشيعة والمحبّين والعشّاق له؛ ولذا علينا أن نعي هذه الحقيقة جيّداً؛ لنستطيع أن نفكّر خارج الإطار الشيعي الضيق، أو الإسلامي الأوسع، بل علينا أن نُطلق الإمام الحسين من أسرنا ونضعه في رسم الإنسانية، وهذا لا يعني أن نُخرج حبّه من قلوبنا - لا سمح الله - بل نُخرج قضيتّه بثوب وحلّة عالمية، وإذا استطعنا أن نجعلها كونية نكون قد قفزنا قفزة نوعية حقّاً في خدمة الإنسانية.

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٣٢٨.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٢٥، ص ١٦.

نعم، الإمام الحسين عليه السلام إمامنا، وقائدنا، ومولانا، وقدوتنا، وأسوتنا، ولكنه رحمة للعالمين - كجده المصطفى صلى الله عليه وآله - وللناس كافة، بشيراً للمؤمنين، ونذيراً للكافرين، ونحن حملة الرسالة الحسينية، وعلينا أن نحسن في تبويها وتنظيمها وإيصالها إلى العالم أجمع، وندعوهم إلى الله ومولانا الحسين عليه السلام، وهذه تحملنا مسؤولية مضاعفة وثقيلة جداً كالأمانة التي عُرضت على السماوات والأرض والجال فأبين أن يحملنها، ولكن عندما أشفقن منها، الربُّ حملها الإنسان، والإنسان الشيعة حقاً عليه أن يحمل أمانة الإمام الحسين عليه السلام ومظلوميته ورسالته.

ورسالة الإمام الحسين عليه السلام هي امتداد لتلك الرسالة العالمية الكاملة الشاملة، وعلينا أن نحمل أمانتها ونؤدّيها كما يجب؛ بغية إيصالها لهذه الإنسانية المعذّبة التي تبحث عن الخلاص من هذا البؤس والظلم والجور، الذي وضع بكلّ كلفة الثقيل على صدر العالم أجمع في هذه الكرة الترابية، التي صارت تضيّج إلى الله وتعجّ إليه في كلّ حين من ظلم الظالمين، وقسوة الجبارين، ودماء الشهداء والمظلومين، الذين يرون بالإمام الحسين عليه السلام راية يتطلّعون إليها؛ ليُنقذهم من الظلم والجور الواقع عليهم.

مسيرة الأربعين هي الحلة العالمية

ومسيرة الأربعين هي الثوب العالمي والحلة الكونية للقضية الحسينية المقدّسة؛ ولذا علينا - وخصوصاً على الإخوة المتصدّين لتنظيم وترتيب أمور هذه المسيرة العالمية، والمؤتمر الإنساني الفريد - أن نوصل صوت هذه المسيرة المظفّرة، وهذا المؤتمر العالمي إلى العالم كلّ، بالصوت الراقي، والمعنى الصافي، والصورة الجميلة، والقيمة النبيلة، وندعو العالم إلى الحسين عليه السلام والإسلام باسمه المبارك، كما قال صديقنا الكاتب والأديب المسيحي السوري (أنطوان بارا) في كتابه الجميل الراقي (الحسين في الفكر المسيحي): «لو كان الحسين لنا لرفعناه في كل أرض بيرقاً، ولنصنّاه في كل قرية

منبراً، ولدعونا الناس إلى المسيحية باسم الحسين»^(١). وما يمنعنا من أن نفعل ذلك أيها الأُحبة الكرام؟

ظاهرة مسيرة الأربعين

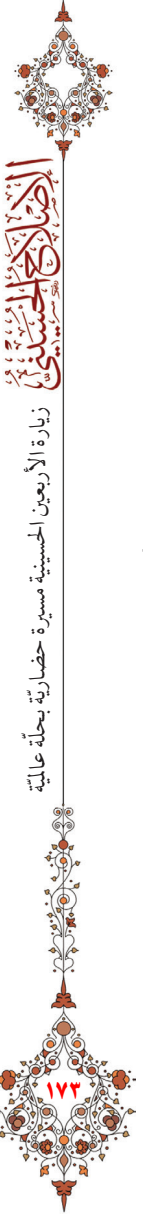
مسيرة الأربعين ظاهرة وليست مظهرة؛ ولذا على الباحثين الكرام أن يتنبهوا إليها جيداً، وأن يدرسوها في تاريخها منذ أن بدأت من رافدين، الأوّل من المدينة المنورة عن طريق جابر بن عبد الله الأنصاري وعطية العوفي، والثاني من دمشق الشام حيث انطلق ركب السبايا في طريق العودة، وكلا الرافدين وصل إلى القبر الشريف في يوم العشرين من صفر، وهو يوم الأربعين. فالمسيرة تاريخ ثابت ومليء بالتضحيات والمكرّمات، ويجب أن تُدرس بدقّة وتوثّق عبر العصور، لا سيّما عصور الجور والظلام القائمة، ثم الانفراجات فيما بينها إلى أن نصل إلى ما نشهده ويشهده - أو يجب أن يشهده - العالم أجمع في مسيرة الأربعين المباركة في هذا العصر.

فهذه الظاهرة الاجتماعية السلمية الحضارية التي ليس لها مثيل في التاريخ البشري بكلّ ما فيها ومن كلّ الزوايا، من حيث تنظر إليها فهي إبداع ربّاني باسم الحسين عليه السلام؛ إذ إنّ البشر عاجزون عن مثل هذا الفعل، أو القيام بهذا العمل، حتى أنّ قادة الحكومات القوية في المنطقة وساستها أعلنوا عن عجزهم عن تنظيم وخدمة هذه المسيرة التي ينظّمها، ويحفظها، ويحميها، ويقدّمها، وينمّيها ربّ العالمين، ولولا تدخّل يد الغيب لا يمكن أن تقوم وتنجح بهذا الشكل الذي أبهر العقول، وحير الألباب في العالم المعاصر.

المؤتمر الحسيني العالمي

كما أنّ هذه الظاهرة الاجتماعية التي يشهدها ليس العراق فحسب - رغم أنّ

(١) بارا، أنطوان، الحسين في الفكر المسيحي: ص ٨٢.



أرضها أرض العراق الحبيب وشعبه المضياف العزيز - وإنما تشترك فيها كل دول المنطقة المحيطة بالعراق، بل ويشترك فيها كل دول العالم مع اختلاف ألوانهم، وأجناسهم، وأديانهم، ومذاهبهم، وحتى أولئك الذين لا يعرفون الإسلام والحسين جاؤوا إلى الحسين عليه السلام وشاركوا في هذا المؤتمر العالمي السلمي، الذي جمعهم لأكثر من عشرين يوماً يأكلون، ويشربون، وينامون، وتتوفر لهم كل الخدمات الضرورية، وغير الضرورية، بل والرفاهية، وبكل حرية، وأمن، وأمان، وكأن المؤتمرين من الملائكة وليسوا من البشر المختلفين في كل شيء، ولكنهم في طريق الحسين ينصهرون ويتوحدون، ولا تجد إلا التلاقي بالضحكة على الشفاه، والدمعة في العيون، والسلام على الحسين عليه السلام.

فهذا المؤتمر العالمي يجب أن يتمخض عنه لجان عالية التخصص، وتدرس كل لجنة الجانب الذي هي تختص به وتبرزه وتعطي بشأنه رؤيتها الماضية والحالية، ثم تعطي توصياتها للسنوات القادمة في كيفية تلافي السلبيات التي ظهرت، ودعم الإيجابيات وتعزيزها؛ لتكامل المسيرة العالمية، وإعطاء الصورة الحضارية إلى أهل العالم أجمع، وترجمة ذلك إلى لغات العالم الحية وتوزيعه؛ فإن الكثير من لغات العالم يكون من بين المؤتمرين الحاضرين في هذه المسيرة المظفرة من ينطق بها، ثم تشجيع الجميع على الكتابة عن تجربتهم في الحضور في هذا المؤتمر الحضاري العالمي.

الجانب الإعلامي والإعلاني

وهنا ألفت نظر الإخوة الأعزاء خدام الإمام الحسين عليه السلام في مسيرة وظاهرة الأربعين المباركة إلى ضرورة تفعيل اللجنة الإعلامية والإعلانية، وذلك بأن يجعلوا غرفة مشتركة لتنسيق العمل بين الجميع، لا سيما البث الفضائي والإنترنت؛ وذلك لضمان وصول صورة هذه المسيرة وصوتها إلى كل أنحاء العالم وبكل اللغات الممكنة، فهؤلاء الكرام - وأسميهم الجنود المجاهدين المجهولين - يجب أن يوحدوا صفوفهم،

وينسّقوا عملهم؛ ليتكاملوا ويتنافسوا بالرقى والتسامى في العمل الإعلامى، والهدف المشترك هو القضية الحسينية، وإيصال الصوت والصرخة الحسينية المدوّية إلى كلّ الأذان في العالم «ألا من ناصر ينصرنا»، لعلّه يلبي النداء من كان في أقصى دول العالم، وكلّما كان العمل أكمل وأجمل كلّما كان الأثر والتأثير أكبر، فأنتم الذين تنقلون ذلك الصوت والنداء، وتلك الصرخة إلى العالم أجمع.

جانب الإحصاء وأهميته

إنّ اللجنة المختصة بالإحصاء هي من أهمّ اللجان وأعظمها عملاً، وأكبرها أثراً علمياً على المسيرة الحسينية؛ لأنّ العاملين فيها يوثّقون كلّ شيء يستطيعونه، ويعكسونه بدراسات كبيرة ومفيدة، ويوثّقون كلّ التطوّرات الإيجابية والثغرات السلبية التي رصدوها وسجّلوها، والتي عليهم فرزها ودراستها عن طريق لجان مختصة؛ لوضع خطة متكاملة لمعالجتها في السنوات الآتية بإذن الله تعالى. فعمل الإحصاء والتقارير العلمية الدقيقة يُعطي رؤية صحيحة ومتكاملة للمشرفين والمنظّمين والقائمين على الخدمة في هذه المسيرة المباركة، فلا يستهينوا بأنفسهم وأعمالهم وما يقدّمونه من خدمة حسينية راقية.

مركز دراسات متنوّع الاختصاصات

وهذا من أهمّ ما يمكن أن نقترحه في المقام - في حال لم يتمّ إنشاؤه إلى الآن - هو إنشاء مركز دراسات تخصصية بزيارة الأربعين ومسيرتها، بحيث يهتمّ بكلّ شيء يخصّ الزيارة والمسيرة، والأهمّ من ذلك أن يكون فيه لجان متابعة ومختصة تبحث سبل تطوير المسيرة المباركة وتقدّمها من أجل جعلها عالمية، وتقديمها بهذه الحلة القشبية التي يجب أن تكون عليها؛ لأنّ العالم يسير إلى الحسين عليه السلام؛ لأنّه في ذروة إنسانية عالية يسعى إلى بلوغها عباقرة الإنسانية وعظماؤها مستعنين بوسيلة مسيرة الأربعين. كما أنّ الحسين عليه السلام في ضمير الزمان وقابل الأيام، وليس هو صفحة في

التاريخ طويت، أو حادثة تاريخية أكل عليها الدهر وشرب؛ إنَّ الحسين حاضر ومستقبل وليس ماضياً أبداً.

نعم، قد يكون ماضياً بالنسبة إلى بعض المقعدين الذين يسرون وراء أسلافهم المتخلفين لقرون مضت، ويريدون من الأمة والعالم أن يكونوا مثلهم في الرجعية والتخلف، مع أنَّ الناس اليوم قد وصلوا إلى المريح، لكنَّ هؤلاء ما زالوا يبحثون في بول البعير وحكم القطمير، وينفخون بالبوق تارة وفي الكير أخرى.

إنَّ هؤلاء ما عرفوا الحسين عليه السلام، ولا يريدون أن يعرفوه؛ لأنَّه مَنْ عرف الحسين عشقه ولعن ظالميه وقاتليه، وتبرَّأ إلى الله منهم، وهم وعَاز السلاطين، وأبواق الشياطين، الذين يحشدهم سيدهم إبليس اللعين في بداية الموسم الحسيني وعند هلال شهر محرَّم الحرام، ويثبِّهم في كلِّ اتجاه؛ ليشكَّكوا الناس في القضية الحسينية، ويخترعوا إشكالات لا تخطر حتى على بال إبليس اللعين نفسه؛ لأنَّهم من شياطين الإنس الذي يقزِّمهم ويصغِّرهم الشأن الحسيني، فيحاولون الوسوسة في كلِّ قضية، وفي كلِّ حادثة، ولو استطاع أتباع ابن تيمية وأذنابه لأنكروا كربلاء وعاشوراء أصلاً وفصلاً، ولقالوا: إنَّ الحسين في طريقه لزيارة والده في ظهر الكوفة، فخرج عليه قطاع الطرق وقتلوه دون أن يعرفوه، بل من أجل أن ينهبوا ما معه من متاع وأموال. أو قالوا: إنَّه تاه في الصحراء وبلعته الرمال المتحرَّكة. كما كذبوا حديث الغدير وأنكروه من أصله.

ولكنَّ النهضة الحسينية الربَّانية كانت متكاملة في التخطيط والتنفيذ، وفيها كلُّ مقوِّمات التضحية والفداء، وعوامل الاستمرار والبقاء، وتلك هي قصَّة السبايا والإمام علي بن الحسين وعمَّاته وبنات الرسالة، لا سيَّما اللبوة الحيدرية والبضعة الفاطمية، السيِّدة زينب الكبرى عليها السلام، التي كانت هي المسؤولة عن القضية بعد عاشوراء المأساة الخالدة، ولقد أحسنت بقيادتها، وأوصلت رسالتها كاملة غير منقوصة، بل أضافت إليها من شخصيَّتها المميَّزة وحضورها المبارك دفعة علمية

وعملية راقية جداً، لا سيّما في مواقفها في الكوفة، ثم خطبتها في الشام، وتوبيخها وتقرّيعها ليزيد الشرّ وإمبراطوريّته الشيطانية^(١).

وبالعودة إلى الحديث عن مركز الدراسات؛ فينبغي أن يعمل على طول العام، ولا يتوقّف أبداً، بل يُعطي تقاريره لأصحاب الشأن في كلّ اختصاص واتّجاه دون إهمال أبسط الأشياء في المسيرة، سواء في الإيجاب أم السلب؛ ليكون العمل مسؤولاً ومتكاملاً بإذن الله في السنوات القادمة التي نطمح - وطموحنا وارد ومشروع - في أن نوصل المسيرة والقضية الحسينية إلى العالم بحلّة عالمية جديدة وجميلة وجذّابة، ونقيم في كلّ بلد، وفي كلّ ساحة، وبل وفي كلّ بيت علماً للإمام الحسين (عليه السلام)، وندعو أهل الأرض جميعاً ليلتحقوا بمسيرة الإمام الحسين (عليه السلام) التي هي صورة مصغّرة وجميلة لمجتمع إيماني موحد، تسود فيه الحرّية والعدل والإنصاف والتآخي، ذلك المجتمع الفاعل والمتفاعل الذي لا يدّخر شيئاً في طريق الحسين (عليه السلام)، كما يفعل الشعب العراقي المضيايف الأبي، الذي أعطى صورة حضارية راقية جداً يعجز الكلام عن وصفها أو نعتها؛ لأنّها فوق الشرح والوصف من حيث العطاء والجود والسخاء، ومن حيث الطيبة ودماثة الأخلاق، فهم أعطوا صورة تعجز الألسن عن وصفها، وتنكسر الأقلام عندها.

(١) قالت السيّدّة زينب (عليها السلام) في خطبتها النارية ليزيد: «أمن العدل يا ابن الطلقاء، تخديرك حرائك وإماءك، وسوق بنات رسول الله سبايا، قد هتكت ستورهنّ، وأبديت وجوههنّ، تحدو بهنّ الأعداء من بلدٍ إلى بلدٍ، ويستشرفهنّ أهل المناهل والمناقل، ويتصفّح وجوههنّ القريب والبعيد، والدني والشريف، ليس معهنّ من رجلهنّ ولي، ولا من حماتهنّ حمي؟ وكيف يُرتجى مراقبة من لفظ فوه أكباد الأزكياء، ونبت لحمه بدماء الشهداء... ولئن جرّت عليّ الدواهي مخاطبتك؛ إنّي لأستصغر قدرك، وأستعظم تقرّيعك، وأستكبر توبيخك، لكنّ العيون عبرى، والصدور حرّى، ألا فالعجب كلّ العجب لقتل حزب الله النجباء بحزب الشيطان الطلقاء!». المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ١٣٤.



مكتبات سيّارة ومتنقّلة

كما أنّنا علينا أن نسعى لطباعة الملايين من النشرات والأفكار والكتب والكتيّبات والقصص لكلّ الأعمار، ونشجيع على توزيعها مجاناً - كرسالة الأربعين التي يصدرها الإخوة البحريّون - أو بسعر تكلفة طباعتها، أو بأسعار رمزية؛ بهدف التعريف بالقضية الحسينية، مع إنشاء معارض متحرّكة للكتاب من قبل العتبات المقدّسة، بحيث تُخصّص كلّ منها سيّارة تكون كمكتبة متحرّكة مع السائرين، تعرض الكتب التي أصدرتها، مع نشرة صغيرة تعرّف بالعتبة والإمام الذي فيها ونشاطاتها المختلفة، وهذا في الحقيقة يحوّل المسيرة إلى مسيرة ثقافية ودعوية متحرّكة تعرّف الناس القادمين بكلّ العتبات المقدّسة في العراق، وتعرّفهم بالعراق الحضاري الذي يزورونه، وتشجّعهم على كتابة وتصوير ونقل تلك الصورة الرائعة الراقية عن هذا الشعب الكريم المضيف الذي لن يجدوا نظيراً له في العالم.

الغذاء الروحي والمعنوي

ولا ينسى الإخوة الكرام أصحاب المواكب تعزيز كلّ موكب برجل دين، وبمجلس أو محاضرة دينية وأخلاقية وفكرية، ورفدهم بعلماء للإجابة عن المسائل الشرعية المختلفة، وأن يستعينوا بالحوزة العلمية الشريفة في هذا المجال، بحيث يُعطى الغذاء الروحي والعلمي للزائرين الكرام كما يُعطى لهم الغذاء المادّي، وأن يكون همّ الأوّل للمواكب الخدمية التعريف بسيرة الإمام الحسين عليه السلام ومسيرته وتاريخه، وكذا التعريف بأهل البيت الأطهار عليهم السلام عامّة، وأن يكون ذلك بالقول والعمل، وأن نكون دعاة لهم بألستنا وأيدينا، وأن نكون لهم زيناً إن شاء الله تعالى؛ ليعرف العالم بأسره أحاديث أهل البيت عليهم السلام ورواياتهم وعلومهم وأخلاقهم وتربيتهم من خلال هذه المسيرة الثقافية الحضارية. وليكن في كلّ موكب من المواكب ورشة علمية كما فيه ورشة خدمية، ويشترون جميعاً في الأجر والثواب بإذن الله تعالى.

الخاتمة

وبعد هذا البحث المختصر وما قدّمناه من رؤى تتعلّق بتفعيل هذه الزيارة المليونية الحضارية في واقعنا الإسلامي، وصولاً إلى نشر أصدائها في الساحة العالمية؛ لتنبسط القضية الحسينية على عموم أرجاء المعمورة؛ إيداناً وتحضيراً لدولة الحقّ والعدل العالمية، التي ننتظرها في آخر الزمان بإذن الله تعالى، نستخلص بعض النتائج، ونقدّم بعض التوصيات؛ لتكون نافعة للإخوة الباحثين في الشأن الحسيني وزيارة الأربعين، منها:

١- إنّ الإمام الحسين (عليه السلام) يمتلك شخصية عظيمة يجب إطلاقها من إطارها الشيعي إلى الإطار الإسلامي، ثم الإنساني العالمي، ولن يجد الإنسان - أينما كان - شخصية كالإمام الحسين (عليه السلام) ليكون رمزاً وقُدوة له.

٢- إنّ قضية الإمام الحسين (عليه السلام) قضية أكبر من أن تنحصر في الإطار الإسلامي فقط؛ لأنّها قضية تشمل الإنسانية برمتها والعالم أجمع؛ ولذا يجب أن نعمل بهذا الاتجاه ونطلق القضية الحسينية لتكون بمتناول الإنسانية جمعاء.

٣- مسيرة الأربعين الحضارية هذا المؤتمر الكبير، وهذا الاجتماع الهائل، وهذا السيل الجارف من البشر، وهذه السفرة الممدودة لمئات الكيلومترات، يجب أن نهتمّ بها أكثر ومن كلّ الجوانب، ونعكس صورتها الجميلة، وقيمها الحضارية بدراسات ميدانية وتقارير علمية، ونترجمها لكلّ اللغات، ونشرها على كلّ الوسائل والمساحات الإعلامية والإعلانية؛ لنوصلها إلى عشاق الحقّ والعدل، والباحثين عن الإنسانية في كلّ مكان.

٤- علينا أن نُظهر شخصية الإمام الحسين (عليه السلام) وقضيّته ومسيرته ونقدّمها إلى العالم على شكل غذاء روحي ومعنوي، وندعو العالم إلى الإسلام، وإلى الثقلين - الكتاب والعترة - باسم الإمام الحسين (عليه السلام)؛ لأنّ الله سبحانه جعل في الإمام الحسين

وقضيته ومسيرته سرّه الذي يجب أن يظهر في آخر الزمان، فليزحف الناس جميعاً والعالم أجمع إلى الإمام الحسين عليه السلام؛ لأنه عليه السلام في عمق الزمن والمستقبل الآتي، وليس في بطن التاريخ الذي مضى وانقضى. والعالم يسير إلى الحسين القدوة والأسوة والرمز الذي جعله الله له وغرسه في الضمائر الحيّة، والفطر الأدمية، والقيم الإنسانية، وسيأتي اليوم الذي يقف فيه العالم على ساق واحدة وينادي بصوت واحد: (ليبك داعي الله، ليبك يا حسين).

المصادر والمراجع

✽ القرآن الكريم.

١. الإمام الحسين في حلّة البرفير، سليمان كتاني، دار المرتضى، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ.

٢. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام، العلامة محمد باقر المجلسي (ت ١١١١هـ)، مؤسّسة الوفاء، لبنان - بيروت، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

٣. تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة، السيّد شرف الدين علي الحسيني الاسترابادي (ت نحو ٩٦٥هـ)، تحقيق ونشر: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، قم المقدّسة، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ / ١٣٦٦ش.

٤. ثمرات الأعواد، علي بن الحسين الهاشمي النجفي، انتشارات الشريف الرضي، قم المقدّسة، الطبعة الأولى، ١٣٧٠ش / ١٤١٢هـ.

٥. الحسين في الفكر المسيحي، أنطوان بارا، دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م.

٦. عيون أخبار الرضا عليه السلام، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القميّ المعروف بالشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ)، تصحيح: الشيخ حسين الأعلمي، منشورات مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.

٧ . كامل الزيارات، أبو القاسم جعفر بن محمد بن جعفر بن موسى بن قولويه
القمي (ت ٣٦٨هـ)، تحقيق: علي أكبر غفاري.

٨ . كشف الغمّة في معرفة الأئمّة عليهم السلام، علي بن أبي الفتح الإربلي (ت ٦٩٣هـ)، دار
الأضواء، بيروت - لبنان.

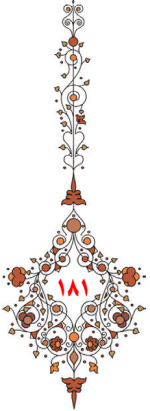
٩ . كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام، الحسين بن يوسف بن المطهر الحلي
المعروف بالعلامة الحلي (ت ٧٢٦هـ)، تحقيق: حسين الدركاهي، الطبعة الأولى،
١٤١١هـ / ١٩٩١م.

١٠ . اللهوف في قتلى الطفوف، السيّد علي بن موسى بن طاووس (ت ٦٦٤هـ)،
أنوار الهدى، قم - إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

١١ . مروج الذهب ومعادن الجوهر، علي بن الحسين المسعودي (ت ٣٤٦هـ)،
منشورات دار الهجرة، قم - إيران، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.

١٢ . مستدرك الوسائل، الميرزا حسين النوري الطبرسي (ت ١٣٢٠هـ)، تحقيق
ونشر: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى،
١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م.

١٣ . معركة السّماء في أرض كربلاء.. دراسة عسكرية معاصرة، الحسين أحمد
السيّد، دار العلوم، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م.



**تجلّيات الزيارة الحسينيّة
قراءة تحليلية في الفكر والمضمون**

أ. د. أزهار علي ياسين

قسم اللغة العربية - كلّية الآداب - جامعة البصرة/ العراق

**Manifestations of the Husayni Ziyara:
An Analytical Reading of Thought and Content**

Prof. Dr. Azhar Ali Yaseen

Department of Arabic Language,
College of Arts, University of Basra / Iraq

ملخص البحث

يختصّ هذا البحث بموضوع الزيارة بمفاصلها العامّة، والزيارة الحسينية بمفاصلها الخاصّة، التي ما لبثت أن أصبحت فرضاً واجباً على كلّ مؤمن ومؤمنة؛ استناداً إلى الأحاديث والمرويات التي أكّدت هذا المنحى مراراً وتكراراً، وساندت هذا التوجيه، فحدا بها هذا الأمر أن تلج باب التقديس والإيثار. لقد استوت زيارة الإمام الحسين (عليه السلام) على أسس ولأية استنهضت من ذكرى استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام) وصفوة أهله وخلّص أصحابه في واقعة الطفّ الأليمة، حتى أضحت مناراً مشعاً وحدثاً استثنائياً أثر في مفاصل الإسلام المحمدي، فأصبحت عامل جذب نحو مسaire الأهداف النبيلة التي لأجلها تمت التضحية بالحسين (عليه السلام) وأهله وأصحابه.

يحاول هذا البحث الإفصاح عن تجلّيات الزيارة الحسينية التي برزت تارة في الآثار والفوائد الروحية والمعنوية، وأخرى بما تحمله من البركات والأسرار والفيوضات الملكوتية.

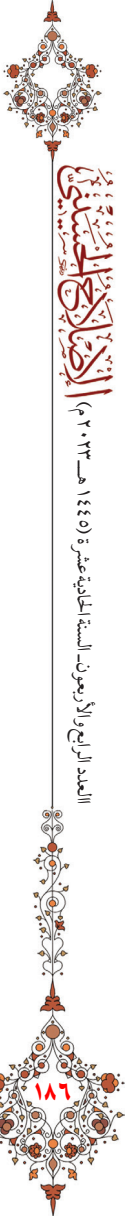
الكلمات المفتاحية: الإمام الحسين (عليه السلام)، الزيارة، الزيارة الحسينية، التجلّيات، الوجود.

Abstract

This study explores the concept of *Ziyara* (visit) in its broad sense, with a particular focus on the *Ziyara* to Imam al-Husayn (PBUH) and its unique dimensions. Over time, the *Ziyara* to Imam al-Husayn (PBUH) has become an obligation for every believer, based on the numerous narrations and reports that strengthen this conviction, and repeatedly emphasize its importance. These teachings have elevated the *Ziyara* to a sacred and deeply cherished act. The *Ziyara* to Imam al-Husayn (PBUH) is built on principles of loyalty, and is deeply tied to the memory of his martyrdom, along with the sacrifices of his family and loyal companions during the tragic event of al-Taff. This has transformed the *Ziyara* into a shining beacon and an extraordinary event that has left a lasting impact on the foundations of Muhammadan Islam. It serves as a powerful force, drawing people toward the noble ideals for which Imam al-Husayn (PBUH), his family, and his companions gave their lives.

This research aims to shed light on the various manifestations of the *Ziyara* to Imam al-Husayn (PBUH), which include its profound spiritual and moral effects, as well as the blessings, hidden meanings, and divine inspirations it brings to those who undertake it.

Keywords: Imam al-Husayn (PBUH), *Ziyara*, *Ziyara* to Imam al-Husayn (PBUH), manifestations, existence.



المقدمة

لطالما ارتكزت منظومة المعارف الإسلامية في ديمومتها ورباطة جأشها على ركيزتين:

أولاهما: التمسك بكتاب الله الخالد (القرآن الكريم).

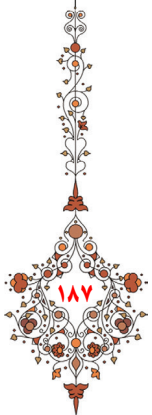
وثانيتهما: التمسك بعتره الرسول ﷺ الطاهرة، الذين هم المصداق الأمثل للإنسان (الكامل / الخالد)، المعصومون من الرجز، المطهرون تطهيراً، المبرؤون من الذنوب ظاهرها وباطنها، فهم عدل القرآن ومفسّروه وترجمانه، وهم خاصّة وحي الله، ومقامهم مقام القرآن الإلهي، وفيهم قال الرسول الأعظم ﷺ: «أهل بيتي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم»^(١).

يختصّ هذا البحث بأطروحة طالما أرقت المعارضين المتشدّقين والمتشدّدين ضدّ نهج أهل البيت ﷺ وسيرهم العطرة، تلك هي الزيارة الحسينية التي حملت - وما زالت - القيم الدينية الثرة، فضلاً عن آثارها الاجتماعية والنفسية والسياسية والعقائدية. إنّ زيارة الإمام الحسين عليه السلام لا تنهاى مع أيّ نموذج أو خاصية أو سمة لآية زيارة أخرى؛ فهي لا ترتباطها بسيد الشهداء عليه السلام تُعدّ مصداقاً للحديث الشريف عن رسول الله ﷺ «إنّ الحسين بن علي في السماء أكبر منه في الأرض، فإنّه لمكتوب عن يمين عرش الله: مصباح هدى وسفينة نجاة»^(٢).

إنّ مهمّة البحث في هذا المقال هي تسليط الضوء على تجلّيات هذه الزيارة في بُعديها الفكري والموضوعي؛ وذلك من خلال خطّة بحثية موزّعة على النحو الآتي: التمهيد: وقد اختصّ بقراءة مصطلحات العنوان ومفاهيمه، فكان بمثابة

(١) الذهبي، محمد بن أحمد، ميزان الاعتدال: ج ١، ص ٨٢. الكهنوي، السيد حامد، خلاصة عبقات الأنوار: ج ٤، ص ٣٠٩.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٣، ص ٢٠٥.



التوطئة لمتون البحث، وفيه عرض تفصيلي لمعنى التجلي، ومعنى الزيارة أيضاً.
المبحث الأول: وقد اختصّ بالحديث عن تجليات الحقائق الوجودية في الزيارة الحسينية.

المبحث الثاني: وهو مختصّ بعرض التجليات والآثار والتداعيات في الزيارة الحسينية بشطريها الديني (الحسي)، والأخروي (المعنوي).
الخاتمة: قد تضمّنت عرضاً لأهمّ النتائج والملاحظات.

التمهيد: قراءة إفصاحية في مصطلحي العنوان (التجلي، الزيارة)

قبل الولوج في تفصيلات الموضوع، لا بدّ من التطرّق إلى المعنى اللغوي والاصطلاحي لكلّ من لفظتي (التجلي) و(الزيارة) ومشتقاتهما التي وردت في كتب التراث العربي من المعاجم القديمة، فضلاً عن الحديثة؛ لغرض الوقوف على ما تحمله اللفظتان من معانٍ ودلالات بوصفهما مفاتيح لعنوان المقال الذي هو مرآة لموضوع البحث وتفصيلاته.

أولاً: مصطلح التجلي

عند استظهار معنى التجلي في التراث اللغوي - المعجمي نجد أنّ اللفظة من جبهة لغوية تحتوي على معانٍ جمة حسب ورودها في سياقاتها، وحسب المنحى الاشتقاقي فيها، ومن أشهر هذه المعاني:

١- الكشف والبيان والظهور: معنى تجلّى الشيء انكشف وبرز وبان، يُقال للقوم المقبلين على شيء ما والمحدثين به: قد أجلّوا عنه، بمعنى انكشفوا عنه، ومنه جلوتُ السيف، أي: كشفت صدأه، ومنه أيضاً جلا الخبر بمعنى انكشف وظهر وبان، وجاء منه: الله يجلي الساعة، أي: يظهرها^(١).

(١) أنظر: ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة: ج ١، ص ٤٦٨. الزنجشيري، محمود بن عمر، أساس البلاغة: ص ١٣١.

٢- حقيقة الشيء: كما في قولهم: أخبرني عن جلية الأمر، بمعنى: أخبرني عن حقيقة^(١).

٣- الشهرة: نحو قولهم: هو ابن جلا، والمراد: الذي لا يخفى أمره؛ لشهرته ووضوحه، وقد يُراد به الرجل الذي فُضح أمره واشتهر^(٢).

٤- انحسار مقدّم شعر الرأس: ومنه قولهم: رجل أجلى، أي ذهب شعر مقدّم رأسه^(٣).

٥- التفرّق عن الشيء أو تركه أو الخروج منه: نحو قول بعض العرب: أجلى القوم عن القتيل، أي: تفرّقوا عنه، وأجلوا البيت، فرّقوا عنه بابه وستره^(٤). وقولهم: أجلوا عن منازلهم، بمعنى تركوها جرّاء خوف ونحوه، وجلا القوم عن أوطانهم، أي: خرجوا من بلد إلى بلد^(٥).

٦- رفع العمامة: نحو جلا العمامة إذا رفعها عن جبينه^(٦).

٧- التنحي عن الشيء: كما في قولهم: جلا عن الموضع، أي: تنحّى، ومنه جلا الحصى، بمعنى نحّاها عن مكانها^(٧).

٨- العلو: وقد يكون المعنى مختصّاً بالعلو، كما ورد في كلام العرب: تجلّله، بمعنى علاه^(٨).

(١) أنظر: الزخشي، محمود بن عمر، أساس البلاغة: ص ١٣١.

(٢) أنظر: ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة: ج ١، ص ٤٦٨. ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج ١٤، ص ١٥٢.

(٣) أنظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج ١٤، ص ١٥٢.

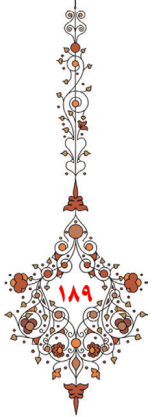
(٤) أنظر: الفيومي، أحمد بن محمد، المصباح المنير: ج ١، ص ١٠٧. إبراهيم مصطفى، وآخرون، المعجم الوسيط: ج ١، ص ١٣٢.

(٥) أنظر: الفيومي، أحمد بن محمد، المصباح المنير: ج ١، ص ١٠٧. ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج ١٤، ص ١٤٩.

(٦) أنظر: إبراهيم مصطفى، وآخرون، المعجم الوسيط: ج ١، ص ١٣٢.

(٧) أنظر: المصدر السابق.

(٨) أنظر: الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط: ص ١٢٦٤.



أمّا من جنبه اصطلاحية فالتجليّ معناه «ما ينكشف للقلوب من أنوار الغيوب»^(١)، وعندئذٍ يتحدّد مفهومه بما يدلّ على معاني «الظهور وكشف الحجاب»^(٢)، فمعنى تجلّي الله، ظهور آياته وأدلّته وجلاله. ويأتي أيضاً كناية عن المعرفة^(٣)، ويمكن أن يدلّ على معنى كشف أسرار المغيبات بظهور أنواع المعرفة في قلب مَنْ تجلّى له، وتتسع دلالاته ليمثّل معاني الفيض، والشهادة، والرفعة، والعلو، والصقل^(٤).

والجدير بالتنويه أنّ لفظة التجليّ كان لها حضورها المتميّز بأشتقاقاتها الصرفية المتنوّعة، وبما احتوت عليه من معاني ودلالات في بعض النصوص القرآنية الكريمة، فقد وردت بصيغة الفعل الماضي في قوله تعالى ذكره: ﴿وَاللَّيْلَ إِذَا يَغْشَى ۚ وَالنَّهَارَ إِذَا تَجَلَّى ۚ﴾^(٥)، ومعنى هذا النصّ هو ظهر النهار بزوال ظلمة الليل، وبهذا يكون معنى (تجلّى) قريب من المعنى اللغوي، أي: تبيّن النهار وتكشف وظهر وبرز^(٦).

ووردت نحو ذلك أيضاً في قوله تعالى: ﴿وَالنَّهَارَ إِذَا جَلَّهَا ۚ﴾^(٧)، وهو أيضاً بمعنى الظهور والبروز؛ حيث تعود مرجعية الضمير (الهاء) في قوله: (جلاها) إلى الأرض؛ فهي تنجلي وتنكشف وتظهر وتبرز عند انبساط النهار وطلوع الشمس^(٨).

-
- (١) الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات: ص ٤١.
- (٢) حسين علي حسين، لفظة التجلي.. دلالاتها ومراتبها وآثارها (بحث)، مجلّة حولية المتندى للدراسات الإنسانية: ع ٣، ٢٠١٥ م، ص ٢٧٣.
- (٣) أنظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ١٨، ص ٢٥٦.
- (٤) حسين علي حسين، لفظة التجلي.. دلالاتها ومراتبها وآثارها (بحث)، مجلّة حولية المتندى للدراسات الإنسانية: ع ٣، ٢٠١٥ م، ص ٢٧٥.
- (٥) الليل: الآيتان ١-٢.
- (٦) أنظر: الطريحي، فخر الدين، تفسير غريب القرآن: ج ١، ص ١٨. ابن كثير، إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم: ج ٤، ص ٢٢٧.
- (٧) الشمس: الآية ٣.
- (٨) أنظر: الزمخشري، محمود بن عمر، الكشف عن حقائق التنزيل: ج ٢، ص ١٣٥٩. الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير: ج ٢، ص ١٦٦٩.

ووردت كذلك في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرِنِي وَلَكِن أَنظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾^(١)، فـ(تَجَلَّى) معناه ظهر وبان وبرز، والمراد ظهر اقتداره وأمره^(٢).

ولكن يظهر فارق بين الصيغتين (تَجَلَّى، وجَلَّاهَا) مع أنَّ كليهما وردتا بصيغة الماضي، وهو أنَّ التَجَلَّى والظهور في صيغة (تَجَلَّى) حصل بالذات، فالنهار ظهر وانكشف بنفسه، وكذلك الجبل، أمَّا الصيغة الأخرى (جَلَّاهَا) فإنَّ التَجَلَّى والظهور حصل بالأمر والفعل، فالنهار هو من صيَّر الأرض ظاهرة منكشفة^(٣).

كما وردت اللفظة بصيغة الفعل المضارع في قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجِيبُهَا لَوْفُهَا إِلَّا هُوَ...﴾^(٤)، ومعنى النصِّ الكريم: أنَّه لا يأتي مرسى الساعة، ولا يبين وقتها إلا الله تعالى، فلا يُظهرها ولا يحقّقها إلا هو^(٥).

كذلك وردت بالصيغة المصدرية، حيث قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَن كُنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبُهم فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ﴾^(٦)، ففي النصِّ وردت مفردة الجلاء وقُصد بها الترك، أي: ترك الوطن والخروج من الديار، أو الانتقال من موضع إلى آخر، أو من بلدة إلى أخرى، وربّما أُريد بالجلاء الفرار^(٧).

صفوة القول وخلاصته: أنَّ مفهوم لفظة (التَجَلَّى) باشتقاقها الصرفية حملت

(١) الأعراف: الآية ١٤٣.

(٢) أنظر: الطريحي، فخر الدين، تفسير غريب القرآن: ص ١١٧. الزمخشري، محمود بن عمر، الكشاف: ج ١، ص ٣٨٦.

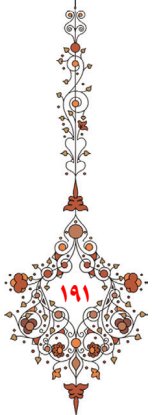
(٣) أنظر: الراغب الإصفهاني، حسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن: ص ١٠٣.

(٤) الأعراف: الآية ١٨٧.

(٥) أنظر: ابن كثير، إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم: ج ٢، ص ٨٢٦-٨٢٧. الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج ٨، ص ١٣٧.

(٦) الحشر: الآية ٣.

(٧) أنظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: ج ٤، ص ٢٠٧٢. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المثنان: ص ٩٢١.



توافقات بين معانيها اللغوية والاصطلاحية والقرآنية؛ إذ انحصرت هذه المعاني بالكشف والظهور والبروز والفرار والترك والخروج.

ثانياً: مصطلح (الزيارة)

ورد في (معجم مقاييس اللغة) أن: «الزاي والواو والراء أصل واحد، يدلّ على الميل والعدول، من ذلك الزور الكذب؛ لأنّه مائل عن طريقة الحقّ، ويُقال: زَوَّرَ فلان الشيء تزويراً، حتى يقولون زَوَّرَ الشيء في نفسه: هيّأه؛ لأنّه يعدل به عن طريقة تكون أقرب إلى قبول السامع... والزور الميل، يُقال: أزور عن كذا أي مال عنه. ومن الباب الزائر؛ لأنّه إذا زارك فقد عدل عن غيرك... والتزوير: كرامة الزائر، والزور: القوم الزوّار، يقال: ذلك في الواحد والاثنين والجماعة والنساء»^(١).

وفي (مفردات) الراغب الإصفهاني وردت بشأن مادّة (زور) أنّه: «الزور: أعلى الصدر، وزرْتُ فلاناً تلقّيته بزوري، أو قصدتُ زوره نحو وجهته، ورجل زائر، وقوم زور...»^(٢).

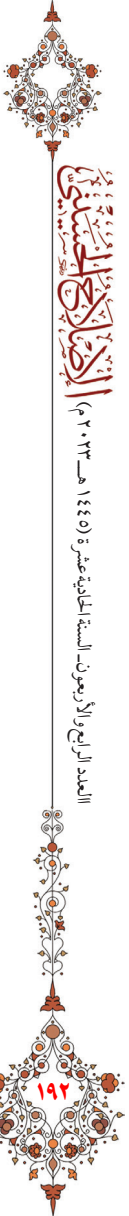
ولا نزال مع المعاجم التراثية القديمة في تتبّع معاني دلالات مادّة (زور)، فقد أورد الفيّومي (ت ٧٧٠هـ) مشتقّات مادّة (زور) فقال: «الزور: الكذب... وزور كلامه أي زخرفه، وزوّرتُ الكلام في نفسي: هيّأته، وأزور عن الشيء وتزاور عنه: مال، والزور - بفتحين - الميل، وزاره زيارة وزوراً قصده، فهو زائر...» [منه] زور وزائرات، والمزار يكون مصدراً وموضع الزيارة»^(٣).

وفي (القاموس المحيط) ذكر الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ) مادّة (زور) ومشتقّاتها مفصّحاً عن معانيها ودلالاتها بقوله: «الزور وسط الصدر، أو ما ارتفع منه إلى الكتفين،

(١) ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة: ج ٣، ص ٣٦.

(٢) الراغب الإصفهاني، الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن: ص ٢٢١.

(٣) الفيّومي، أحمد بن محمد، المصباح المنير: ج ١، ص ٢٦٠.



أو ملتقى أطراف عظام الصدر حيث اجتمعت... وزور: زين الكذب... وتزاور عنه عدل وانحرف»^(١).

أمّا في (لسان العرب) فقد جمع ابن منظور (ت ٧١١هـ) معاني ودلالات عدّة لهذه اللفظة، نورد أشهرها وأكثرها استعمالاً، حيث قال: «زور: الزور الصدر، وقيل: وسط الصدر، وقيل: أعلى الصدر، وقيل: ملتقى أطراف عظام الصدر حيث اجتمعت... والزور - بالتحريك - الميل... وقد ازور عنه ازوراراً وازوار عنه ازويراراً، وتزاور عنه تزاوراً، كلّه بمعنى عدل وانحرف... وزور القوم: رئيسهم وسيدهم... والزور العزيمة، وماله زور وزور ولا صيور، بمعنى أي ماله رأي وعقل يرجع إليه... وقد تزاوروا: زار بعضهم بعضاً، والتزوير كرامة الزائر وإكرام المزور للزائر... زوروا فلاناً، أي: اذبحوا له وأكرموا، والتزوير أن يُكرم المزور زائره، ويعرف له حقّ زيارته. وقال بعضهم: زار فلانٌ فلاناً أي مال إليه، ومنه وتزاور عنه، أي: مال عنه، وقد زور القوم صاحبهم تزويراً إذا أحسنوا إليه. وأزاره حمّله على الزيارة... والمزار موضع الزيارة... والزور الكذب والباطل، وقيل: شهادة الباطل... والتزوير: تزيين الكذب»^(٢).

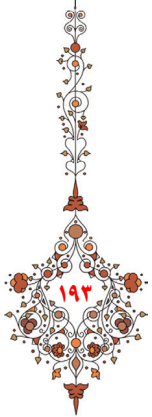
أما المحدثون فلم يجانبوا ما جاء به القدماء في معاني هذه المادة، فهي عندهم باختصار من «زور زوراً أعوج صدره، وأشرف أحد جانبي صدره على الآخر، فهو أزور... الزور: الباطل، وشهادة الباطل والكذب ومجلس اللهو أو الغناء... والزور الكثير الزيارة... والمزار موضع الزيارة، وما يزار من مقابر الأولياء»^(٣).

نستشف ممّا سبق أن لمادة (زور) اشتقاقات مختلفة، تنوّعت وتعدّدت في ضوءها

(١) الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط: ج ٢، ص ٤٢.

(٢) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج ٧، ص ٣٧٨.

(٣) إبراهيم مصطفى، وآخرون، المعجم الوسيط: ج ١، ص ٤٠٦-٤٠٧. وأنظر: الطريحي، فخر الدين، مجمع البحرين: ج ٣، ص ٣٢٠.



معانيها ودلالاتها، فهي تدلّ إجمالاً على المعاني الآتية:

أولاً: معنى الميل عن كذا والانحراف والعدول، بخصيصة تعدي الفعل (زار) بحرف الجرّ (عن)، ويُعدّ هذا المعنى معنًى مركزياً، تدور المعاني الأخرى حوله، فتكون بمثابة معانٍ هامشية له.

ثانياً: معنى الكذب والباطل ومجالس اللهو والغناء، وكلّ شيء غير سوي.

ثالثاً: معنى القصد، فمعنى الزيارة عرفاً «قصد المزور إكراماً له واستثناساً به»^(١)، ثم اختصّت لفظة الزيارة بزيارة مقابر الأولياء^(٢)، ومن ذلك اشتقاق (المزار)، وهو موضع الزيارة.

رابعاً: بمعنى منطقة الصدر، وسطه، أو أعلاه، أو جانبيه.

خامساً: بمعنى القوم، أو رئيسهم، أو سيدهم.

سادساً: معنى العزيمة ورجاحة العقل.

أمّا إذا تعدّى الفعل (زار) بحرف الجرّ (إلى) فإنّ معناه ضدّ الانحراف والعدول، فهو بمعنى القصد والتوجّه، وقد يتعدّى بحرف الجرّ (في) فيكون بمعنى تهيّأ، ومنه زرتُ الكلام في نفسي بمعنى هيّأته، ومنه أيضاً زاره في داره بمعنى تهيّأ في داره.

أمّا مفهوم الزيارة اصطلاحاً فهو بمعنى القصد والتوجّه، فالزيارة تعني «أنني أعود إلى لقاء أشخاص عرفتهم من قبل، وعودتي الآن محاولة لتجديد المعرفة، ولإبقاء حبّ لها موصولاً، وتوثيق أو أواصرها إذا استطعت»^(٣).

ويبدو لي أنّ مصطلح الزيارة يُقصد به مفهوم القصد والتوجّه إلى مواضع دفن الأولياء والأتقياء، وخاصّة الأئمّة والأوصياء؛ لغرض تجديد عهد الولاء والاتباع، وتقوية الأواصر الولائية والقلبية والفكرية معهم.

(١) الفيومي، أحمد بن محمد، المصباح المنير: ص ٤٨٥.

(٢) أنظر: إبراهيم مصطفى، وآخرون، المعجم الوسيط: ج ١، ص ٤٠٧.

(٣) هيكل، محمد حسين، زيارة جديدة للتاريخ: ص ٩.

إن مفهوم الزيارة - في حد ذاته - سنة نبوية مؤكدة بأحاديث معتبرة؛ فلزيارة المقام المحمود عند الرسول ﷺ، ومنها زيارته ﷺ نفسه الذي قال فيها: «مَنْ زَارَنِي إِلَى الْمَدِينَةِ كُنْتُ لَهُ شَهِيداً وَشَفِيعاً»^(١). وقوله ﷺ أيضاً: «مَنْ ذَكَرَنِي بَعْدَ وَفَاتِي وَسَلَّمْ عَلَيَّ رَدَدْتُ عَلَيْهِ السَّلَامَ عَشْرًا، وَزَارَهُ عَشْرَةٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ كُلَّهُمْ يَسَلِّمُونَ عَلَيْهِ»^(٢).

وفي هذا ردٌّ مؤكّد لإشكالية زيارة قبور الأنبياء والأولياء، فالزيارة منهج الرسول ﷺ وأهل بيته الكرام ﷺ، بل ورد في الحديث الشريف الحثّ على زيارة غير المعصومين، واستحبها وطلبها على الدوام، نحو زيارة قبري الوالدين وغيرهما من الأموات، كما في قوله ﷺ: «زُورُوا مَوْتَاكُمْ؛ فَإِنَّهُمْ يَفْرَحُونَ بِزِيَارَتِكُمْ، وَلِيُطْلَبَ أَحَدُكُمْ حَاجَتُهُ عِنْدَ قَبْرِ أَبِيهِ، وَعِنْدَ قَبْرِ أُمِّهِ بِمَا يَدْعُو لَهَا»^(٣).

بناءً على ما سبق؛ فإنّ الزيارة - ولا سيّما زيارة المعصومين ﷺ - لم تكن ولن تكون بدعة، أو استحداثاً طرأ على خاطر محبّيهم فابتدعوها في أذهانهم، بل إنّ الزيارة للأولياء والصالحين - ولا سيّما المعصومين ﷺ - سنة نبوية متّبعة، ففي رواية عن أبي جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، عن أبيه، عن جدّه الحسين بن علي، عن علي عليه السلام: أنّ النبي ﷺ قال له: «والله لتقتلن بأرض العراق وتدفن فيها. قلتُ: يا رسول الله، ما لمن زار قبورنا وعمّرهما وتعاهدها؟ فقال لي: يا أبا الحسن، إنّ الله جعل قبرك وقبر ولدك بقاعاً من بقاع الجنّة، وعُرْصَةً من عرصاتهما، وإنّ الله جعل قلوب نجباء من خلقه وصفوته من عباده تحنّ إليكم، وتحتمل المذلة والأذى فيكم، فيعمّرون قبوركم، ويكثرون زيارتها؛ تقرباً منهم إلى الله، وموَدّةً منهم لرسوله، أولئك - يا علي - المخصوصون بشفاعتي، الواردون حوضي، وهم زوّاري غداً في الجنّة»^(٤).

(١) الأميني، عبد الحسين، الغدير: ج ٥، ص ١٠٧.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ص ١٤، ص ٤٩٩.

(٤) الطوسي، محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام: ص ٦، ص ٢٢.

المبحث الأول: تجليات الحقائق الوجودية في الزيارة الحسينية

الوجود نقيض العدم، وكلّ ما خلا الوجود يُمثّل العدم، والمائز بينهما أنّ الوجود متميّز بتمامية الذات التي ليس فيها نقص، ولا تحتاج إلى إكمال تماميّتها، وتتجلّى هذه التمامية بغناها عن أيّ شيء آخر سواها^(١).

والوجود هو الأصل في كلّ شيء، هو أصل المخلوقات والأشياء، وهو يمثّل الحقّ المطلق، وهو الله تعالى ذكره بذاته وأسمائه على كلّ شيء، فـ«الله» «أعمّ من أن يكون ذهنياً أو خارجياً؛ لأنّ المطلق شامل لهما... [فالله هو] الوجود المطلق من حيث هو عين الوجود الذهني، والخارجي، والجزئي، والعامّ والخاصّ»^(٢).

وفي ضوء ذلك يمثّل الوجود بماهيتّه المطلقة حقيقة الشيء وكنهه، فالوجود «اسم للظفر بحقيقة الشيء، والظفر بحقيقة الشيء أضفى مراتب شهود الشيء... [لذا] لا يمكن تعريفه؛ لأنّ معرفته وجوده»^(٣).

ولا بدّ لهذا الوجود المطلق من تجليات؛ إذ يمثّل الإنسان الكامل، أو مرتبة من مراتب الوجود، فهو «مثال التجليّ الأكبر لله تعالى»^(٤). وهذا الإنسان الكامل: «هو الجامع لجميع العوالم الإلهية الكونية، الكلّية والجزئية...»^(٥).

وخير تجلٍّ للإنسان الكامل هو أنّه «خليفة الله في أرضه، ومثال نور الله في سمائه... [ففي] الإنسان الكامل، والمظهر الجامع، يوجد جميع ما يوجد في عالم الأسماء، ومظاهر الآفاقية»^(٦)؛ من هنا عدّت المخلوقات - بوصفها موجودات - علامات وتجليات على

(١) أنظر: المهدي، حسين علي حسين، المعنى في ضوء التفسير العرفاني للقرآن الكريم: ص ٢٤٠.

(٢) الأملي، السيّد حيدر، رسالة نقد النقود في معرفة الوجود: ص ٦٢٦.

(٣) الأنصاري، عبد الله، منازل السائرين: ص ٥٩١.

(٤) المهدي، حسين علي حسين، المعنى في ضوء التفسير العرفاني للقرآن الكريم: ص ٢٣٧.

(٥) الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات: ص ٣٠.

(٦) صدر الدين الشيرازي، محمد بن إبراهيم، تفسير القرآن الكريم: ص ٤، ص ٣٩٠.

الخالق الوجود (الموجود) المطلق اللامتناهي^(١)، فـ«كل ما هو مخلوق علامة وآية كاشفة عن خالقه»^(٢)، وأوّل الخلائق الذي مثل - ولا يزال يُمثل - تجليات الذات الإلهية المطلقة الرسول محمد ﷺ بوصفه الوجود المقدّس الهادي للبشرية جمعاء^(٣).

ومن منطلق كلّ موجود - ما عدا ذات واجب الوجود - مخلوق، فهو إذاً مخلوق لأجل تحقيق الكمال^(٤)، بمعنى أنّ «الإنسان مخلوق لكي يتقرب إلى الله، وهذا هو طريق تكامله... يقول الإمام علي عليه السلام مخاطباً ربّه: (كفى بي عزّاً أن أكون لك عبداً)، ذلك منتهى عزّة الإنسان وقوّته وتكامله في أن يكون عبداً لله سبحانه»^(٥).

وعندما يُقال: إنّ «كلّ الموجودات تسير نحو الكمال»^(٦)، فهذا لا يعني أنّها حقّقت الولوج إلى الكمال، بل ما زالت في طريقها إليه، ولم يتحقّق ذلك الكمال إلّا بالأنبياء والأوصياء والأئمّة المعصومين عليهم السلام، كما هي حال الحسين بن علي عليه السلام الذي مثل الارتقاء والخلود والتسامي نحو الكمال، فحظي بالمقامات المعرفية، ومثّل الحقائق الوجودية أيضاً بما امتلك من طاقات روحانية ملكوتية حلّقت في رحاب القرب الإلهي المقدّس، حتى حلّ متجاوزاً محدودية الوجود الإنساني المتفوق في فضاءات المكان والزمان، منطلقاً إلى الوجود الكوني الخالد.

لقد ارتبط هذا الإنسان الكامل مع الذات الإلهية المقدّسة، واتّحد مع الأسماء والصفات الإلهية، حتى أصبح مقدّساً بتجليات القداسة اللامتناهية، وقد تجلّى هذا المعنى في قول الحسين عليه السلام عن نفسه عندما قال: «نحن ولادة أمر الله، وخزنة علم الله،

(١) أنظر: المهدي، حسين علي حسين، المعنى في ضوء التفسير العرفاني للقرآن الكريم: ص ٢٤١.

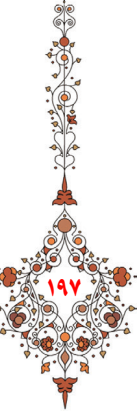
(٢) السبزواري، عبد الأعلى، مواهب الرحمن في تفسير القرآن: ج ١، ص ٣٥.

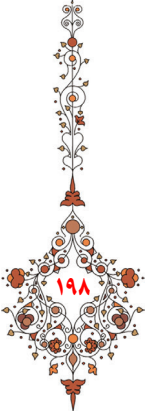
(٣) أنظر: دستغيب، عبد الحسين، فاتحة الكتاب: ص ١٦.

(٤) أنظر: المصدر السابق: ص ١٨١.

(٥) المصدر السابق: ص ١٨٢.

(٦) المصدر السابق: ص ٢٢.





وعيبة وحي الله^(١)، فالحسين عليه السلام هو وصية كل الأنبياء، وصيحة كل الأوصياء، فكيف ينأى عن التقديس؟! فهو جدّه وأُمّه وأبوه وأخوه والأئمة المعصومون من ولده الهداة والولاة والشهداء على الناس والخلق، هم تجلّي نور الله على أرضه وفي سمائه^(٢)، وفيهم قال تعالى: ﴿وَرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾^(٣).

منطلقات التجلي في الزيارة الحسينية

١. البعد التكويني الوجودي لشخصية الإمام الحسين عليه السلام

أولى منطلقات التجلي في الزيارة الحسينية تقبع في شخصية صاحب الزيارة، حيث تنطلق أطروحة الزيارة الحسينية من منطلقات الطبيعة التكوينية الخالدة للإمام الحسين عليه السلام ونهضته، ح تى أصبحت هذه الزيارة من مقتضيات الإيمان والتقوى؛ بوصفها شعيرة ملازمة لتقوى القلوب، كما في قوله تعالى ذكره: ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعِيرَةَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾^(٤).

٢. الزيارة فرض تكليفي واجب

إنّ الزيارة الحسينية كانت ولا تزال فرضاً واجباً، وهي في الوقت نفسه ذات بُعد روحي في ارتباط المخلوق بخالقه عبر المخلوق السرمدي؛ وذلك بوصفها تعبيراً عن المولاة والنصرة والتأييد لحامل النهضة وصانعها الحسين عليه السلام، الثورة التي تصدّت لكل ما اقتضى الشرك والكفر والطغيان والعدول عن الله والحقّ، فهي وعاء للقيم الإنسانية الخالدة خلود الدهر، ففي الرواية عن الإمام الباقر عليه السلام ما يؤكد أنّ

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ١، ص ١١٣.

(٢) أنظر: المصدر السابق: ص ١٠٣ وما بعدها.

(٣) القصص: الآية ٥.

(٤) الحج: الآية ٣٢.

الزيارة الحسينية فرض واجب على كل إنسان ما استطاع إليها سبيلاً، إذ يقول عليه السلام: «مروا شيعتنا بزيارة قبر الحسين عليه السلام؛ فإن إتيانه يزيد في الرزق، ويمد في العمر، ويدفع مدافع السوء، وإتيانه مفترض على كل مؤمن يقرّ للحسين بالإمامة من الله»^(١).

في هذا الحديث الشريف ينصّ الإمام الباقر عليه السلام على أنّ الزيارة الحسينية فرض فرضه الله تعالى على كل مؤمن يحبّ الحسين عليه السلام ويقرّ له بالإمامة.

وعن الإمام الصادق عليه السلام ورد أيضاً: «مَنْ لم يأت قبر الحسين عليه السلام من شيعتنا حتى يموت، كان منتقص الإيمان، منتقص الدين، وإن دخل الجنة كان دون المؤمنين في الجنة»^(٢).

ومن حديث للإمام الصادق عليه السلام كذلك قوله: «لو أنّ أحدكم حجّ دهره ثم لم يزر الحسين بن علي عليه السلام لكان تاركاً حقّاً من حقوق رسول الله صلى الله عليه وآله؛ لأنّ حقّ الحسين عليه السلام فريضة من الله واجبة على كل مسلم»^(٣).

وفي ذات الصدد الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام مخاطباً فيها أمّ سعيد: «...يا أمّ سعيد، زوريه؛ فإنّ زيارة الحسين عليه السلام واجبة على الرجال والنساء»^(٤). إلى غير ذلك من الروايات التي بلغت حدّ الاستفاضة.

وعليه؛ فزيارة الحسين عليه السلام فرض واجب على كل مؤمن بالله ورسوله، وهي حقّ على المؤمنين الذين تشرّبوا حبّ الله ورسوله، وما دامت هي كذلك، فقد دخلت - إذاً - حيّز اللزوم وخرجت من حيّز الاستحباب.

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٢٨٤. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٩٨، ص ٤.

(٢) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٢٥٥.

(٣) المصدر السابق: ص ٢٣٨.

(٤) الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ١٤، ص ٤٣٧.

٢. الزيارة الحسينية تذكير للمشروع الإصلاحي الأول

في الزيارة الحسينية يتجلّى أكبر مشروع إصلاحي، فإلى اليوم تتذكر الزوّار نهضة الحسين عليه السلام، وتنشر ثقافة الإصلاح التي نادى بها عليه السلام، حتى أصبحت رحيقاً نتذوق في رحابه حبّ الحسين عليه السلام، الذي حبّه إيمان وتقوى كما أشار إلى ذلك الحديث الشريف عن النبي ﷺ: «إنّ لقتل الحسين حرارة في قلوب المؤمنين لا تبرد أبداً»^(١).

٤. عظمة الزيارة الحسينية وفضلها

من مصاديق عظمة الزيارة الحسينية قول الإمام الصادق عليه السلام الذي يصوّر فيه احتفاء أهل السماء من الملائكة بزائر الحسين عليه السلام؛ إذ يقول: «إنّ الله تعالى وكّل بقبر الحسين بن علي عليه السلام أربعة آلاف ملك كلّهم يبيكونه، ويشيعون مَنْ زاره إلى أهله، فإن مرض عادوه، وإن مات شهدوا جنازته بالاستغفار والترحم عليه»^(٢).

فضلاً عن ذلك؛ فإنّ الزائرين لقبر الحسين عليه السلام يكونون في وديعة الإمام الصادق عليه السلام بمقتضى قوله: «اللهمّ إنّي استودعك تلك الأنفس، وتلك الأبدان حتّى تُوافيهم على الحوض يوم العطش»^(٣).

ومما دلّ على عظمة هذه الزيارة وشرّفها ما أخبرنا به إمامنا الباقر عليه السلام بقوله: «لو يعلم الناس ما في زيارة الحسين عليه السلام من الفضل لماتوا شوقاً، وتقطّعت أنفسهم عليه حسرات»^(٤).

٥. الزيارة الحسينية من تجليات المولى عز وجل

تمثّل الزيارة الحسينية أحد تجليات المولى عز وجل كما ورد ذلك في رواية عن الإمام

(١) البروجردي، حسين، جامع أحاديث الشيعة: ج ١٢، ص ٥٥٦.

(٢) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ١٧٦.

(٣) الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ١٤، ص ٤١٢.

(٤) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٢٧٠.

الصادق عليه السلام، قال فيها: «إِنَّ الله تبارك وتعالى يتجلى لزوّار قبر الحسين عليه السلام قبل أهل عرفات، ويقضي حوائجهم، ويغفر لهم ذنوبهم، ويشفعهم في مسائلهم، ثم يأتي أهل عرفات فيفعل بهم ذلك»^(١).

ونحو هذا قوله عليه السلام أيضاً عندما سأله زيد الشحام: ما لمن زار قبر الحسين عليه السلام؟ قال: «كان كمن زار الله في عرشه»^(٢). ورواية أخرى أنه عليه السلام قال: «مَنْ أتى قبر الحسين عليه السلام عارفاً بحقه كتبه الله في أعلى عليين»^(٣).

٦. الزيارة الحسينية من عزائم الأمور عند المعصومين عليه السلام

تفيض الروايات عن المعصومين عليه السلام في ثواب الزيارة الحسينية، ففي الرواية عن الإمام الكاظم عليه السلام يقول فيها: «مَنْ زار قبر الإمام الحسين عليه السلام عارفاً بحقه غفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر»^(٤).

هذا؛ وإنّ المتتبع لروايات أهل البيت عليه السلام يجد أنّهم أكدوا غاية التأكيد وشدّدوا نهاية التشديد على زيارة أبي عبد الله الحسين عليه السلام، حتّى أنّهم عليه السلام خصّوا زيارته عليه السلام بخصائص لم يشاركه فيها حتى جدّه المصطفى صلى الله عليه وآله وأبيه المرتضى عليه السلام، وليس ذلك إلاّ لأنّ شهادته عليه السلام أوجبت بقاء الدين وإحياء شريعة سيّد المرسلين وخاتم النبيّين، ومحو آثار المفسدين»^(٥)، ففي رواية عن الإمام الصادق عليه السلام ما يؤكّد ذلك، كما في قوله عليه السلام: «إنّ لله ملائكة موكلين بقبر الحسين عليه السلام، فإذا همّ الرجل بزيارته أعطاهم الله ذنوبه، فإذا خطأ محوها، ثم إذا خطأ ضاعفوا حسناته، فما تزال حسناته تُضاعف حتّى توجب له الجنّة»^(٦).

(١) الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتعجّد: ص ٤٩٧.

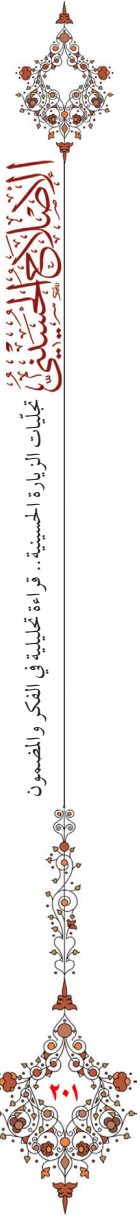
(٢) ابن قولويه، محمد بن الحسن، كامل الزيارات: ص ٢٧٨.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٧٩. وأنظر: الصدوق، محمد بن علي، ثواب الأعمال: ص ١١٠.

(٤) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٢٦٢.

(٥) الداوري، مسلم، زيارة عاشوراء تحفة من السماء: ص ١٥.

(٦) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٢٨٧.



هكذا هو الإمام الحسين عليه السلام عاشق الشهادة والإصلاح، قاتل العبرة، وسيد الإباء، وقربان الله العظيم، وأنشودة الأحرار، وسيد الأبرار.

المبحث الثاني: التجليات والآثار والتداعيات في الزيارة الحسينية

الإمام الحسين عليه السلام النفس الراضية المرضية، فهو ليس نائراً نمطياً ككلّ الثائرين عبر التاريخ، ولا مصلحاً متكرراً في دهاليز التاريخ، الحسين عليه السلام قصّة ثورة خالدة، فهو المصلح الخالد، والمنقذ المتفاني، والمجدّد المحرّر السامي، «لقد تفاعلت حياة الحسين عليه السلام مع أرواح الناس، وامتزجت بعواطفهم ومشاعرهم، وهي ندية عطرة، تندفق بالعزّة والكرامة، وتدفع المجتمع إلى ساحات النضال لتحقيق أهدافه وتقرير مصيره»^(١). من هذا المنطلق؛ فإنّ زيارة الحسين ليس مبتغاها التقرب إلى الجسد أو الجثمان المقدّس، بل الزيارة صوت يجلجل آفاق السماء والأرض، هو صوت الحرّية والعدل، وزيارته تمثّل بدورها صوت الحراك الولائي المعبر عن القيم الدينية الصحيحة، ولا شكّ أنّ الولاء للحسين والمعصومين جميعاً هو ولاء الله تعالى، وحرّهم حرب الله ورسوله، فهم عدل القرآن وصوته، ووحى الله وخاصّته؛ «السلام عليكم يا أهل بيت النبوة، وموضع الرسالة، ومختلف الملائكة، ومهبط الوحي، ومعدن الرحمة... وسلالة النبيّين وصفوة المرسلين، وعرة خيرة ربّ العالمين»^(٢).

لقد كانت لهذه الزيارة تجلّيات يمكن تقسيمها إلى مستويين: الأوّل: تجلّيات على مستوى الحياة الدنيا. والثاني: تجلّيات على مستوى الآخرة.

ونستوضح تلك التجلّيات على وفق النمطين الآتين:

أولاً: تجلّيات دنيوية (حسيّة): ويُقصد بها آثار الزيارة التي يتنفع بها الزائرون في دنياهم، والروايات الصادرة عن أهل البيت عليهم السلام كثيرة في هذا الجانب، منها:

(١) القرشي، باقر شريف، حياة الإمام الحسين بن علي (دراسة وتحليل): ج ١، ص ١٦.

(٢) القمي، عباس، مفاتيح الجنان: ص ٧٨٣.



١- مدّ الأعمار ونسء الآجال كما توضّح ذلك رواية الإمام الرضا عليه السلام عن أبيه، قال: قال أبو عبد الله جعفر الصادق عليه السلام: «إن أيام زائري الحسين عليه السلام لا تُحسب من أعمارهم، ولا تُعدّ من آجالهم»^(١). فما يحصل عليه الزائرون لقبر الحسين عليه السلام في دنياهم هو المدّ في الأعمار والتأخير في الآجال.

ونحو هذا رواية عن عبد الله بن هلال، عن أبي جعفر الصادق عليه السلام، قال: «قلت: له جُعِلَت فداك، ما أدنى ما لزائر قبر الحسين عليه السلام؟ فقال لي: يا عبد الله، إن أدنى ما يكون له أن يحفظه في نفسه وأهله حتى يرده إلى أهله، فإذا كان يوم القيامة كان الله أحفظ له»^(٢).

٢- تنفيس الكرب وقضاء الحاجات، كما في رواية الإمام الصادق عليه السلام التي قال فيها: «إنّ إلى جانبكم لقبراً ما أناه مكروب إلّا نفس الله كربته، وقضى حاجته»^(٣).

٣- سرور القلب، وهذا ما يؤكّده الحسين عليه السلام بنفسه عندما قال: «أنا قتيل العبرة، قُتِلْتُ مكروباً، وحقيق على الله ألا يأتييني مكروب إلّا ردّه الله وقلبه إلى أهله مسروراً»^(٤).

٤- خير الدنيا والآخرة، قال الإمام الصادق عليه السلام: «مَنْ زار قبر الحسين عليه السلام في الله وفي الله اعتقه من النار، وآمنه يوم الفزع الأكبر، ولم يسأل الله حاجة من حوائج الدنيا والآخرة إلّا أعطاه»^(٥).

ثانياً: تجليات أخروية (معنوية): من ذلك ممّا لا حصر له في روايات المعصومين عليهم السلام، نقتصر على بعض منها على سبيل المثال، وهي مرتّبة على النحو الآتي:

١- دخول الجنّة، نجد ذلك في رواية عبيد بن زرارة، قال: سمعت أبا عبد الله الصادق عليه السلام يقول: «إنّ لزوّار الحسين بن علي عليه السلام يوم القيامة فضلاً على الناس. قلت:

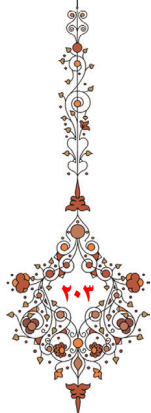
(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٢٦٠.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٩٨، ص ٤٦.

(٣) المصدر السابق: ص ٤٥.

(٤) الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ١٤، ص ٤٢٢.

(٥) المصدر السابق: ص ٤٩٩.



وما فضلهم؟ قال: يدخلون الجنة قبل الناس بأربعين عاماً، وسائر الناس في الحساب والموقف»^(١).

ورواية أخرى معتبرة السند تصل إلى الإمام جعفر الصادق عليه السلام، قال فيها: «بيننا الحسن بن علي عليه السلام في حجر رسول الله صلى الله عليه وآله إذ رفع رأسه، فقال: يا أبة، ما لمن زارك بعد موتك؟ فقال: يا بني، من أتاني زائراً بعد موتي فله الجنة، ومن أتى أباك زائراً بعد موته فله الجنة، ومن أتى أخاك زائراً بعد موته فله الجنة، ومن أتاك زائراً بعد موتك فله الجنة»^(٢).

٢- الشفاعة، عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: «من أراد أن يكون في كرامة الله يوم القيامة، وفي شفاعة محمد صلى الله عليه وآله، فليكن للحسين زائراً، ينال من الله أفضل الكرامة وحسن الثواب، ولا يسأله عن ذنب عمله في حياة الدنيا ولو كانت ذنوبه عدد رمل عالج وجمال تهامة وزبد البحر...»^(٣).

وعن الإمام أبي الحسن الرضا عليه السلام قوله: «إن لكل إمام عهداً في عنق أوليائهم وشيعتهم، وإن من تمام الوفاء بالعهد وحسن الأداء زيارة قبورهم، فمن زارهم رغبة في زيارتهم وتصدقاً لما رغبوا فيه، كان أئمتهم شفعا لهم يوم القيامة»^(٤).

٣- غفران الذنوب، عن أبي عبد الله عليه السلام قوله: «إن الرجل ليخرج إلى قبر الحسين عليه السلام فله إذا خرج من أهله بأول خطوة مغفرة ذنوبه، ثم لم يزل يُقدّس بكل خطوة حتى يأتيه، فإذا أتاه ناجاه الله تعالى، فقال: عبدي سلني حاجة أفضها لك... إلى أن يقول عليه السلام [وحق على الله أن يعطي ما بذل]»^(٥).

ونحو ذلك ما ورد عن الإمام الباقر عليه السلام: «من زار قبور شهداء آل محمد عليه السلام يريد

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٩٨، ص ٢٦.

(٢) الطوسي، محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام: ج ٦، ص ٢٠.

(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٩٨، ص ٢٧.

(٤) الطوسي، محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام: ج ٦، ص ٧٨.

(٥) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٢٥٣-٢٥٤.

الله بذلك وصلة نبيه، خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه»^(١). والأحاديث مستفيضة في شأن ذلك.

٤- ثواب عتق رقاب عديدة، عن أبي سعيد المدائني، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: «جُعلت فداك، آتي قبر ابن رسول الله عليه السلام؟ قال: نعم، يا أبا سعيد أئت قبر ابن رسول الله عليه السلام أطيّب الطيّين، وأطهر الأطهرين، وأبرّ الأبرار، فإذا زرتك كتب الله لك عتق خمسة وعشرين رقبة»^(٢).

٥- حجة مبرورة، عن محمد بن سنان، قال سمعت أبا الحسن الرضا عليه السلام يقول: «مَنْ أتى قبر الحسين عليه السلام كتب الله له حجة مبرورة»^(٣).

٦- جوار رسول الله وأهل بيته عليه السلام في الجنة، فعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «مَنْ أراد أن يكون في جوار نبيه عليه السلام وجوار علي وفاطمة، فلا يدع زيارة الحسين بن علي عليه السلام»^(٤).

إنّ زائري أبي عبد الله الحسين عليه السلام عرفوا طريق الإيمان، فأمنت قلوبهم بحبّ الحسين عليه السلام، وعرفوا طريق الحق والعدل، فسلكوا طريق الزيارة رغبةً وحباً وكرامة في تجديد عهد الوفاء والولاء للحسين عليه السلام وأهل البيت عليه السلام، ﴿فَأُولَٰئِكَ يَبْدِلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾^(٥).

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «مَنْ أتى قبر الحسين عليه السلام تشوّقاً إليه كتبه الله من الأمنين يوم القيامة، وأُعطي كتابه بيمينه، وكان تحت لواء الحسين عليه السلام حتى يدخل الجنة، فيسكنه في درجته، إنّ الله عزيز حكيم»^(٦).

(١) الطوسي، محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام: ج ٥، ص ٣٣.

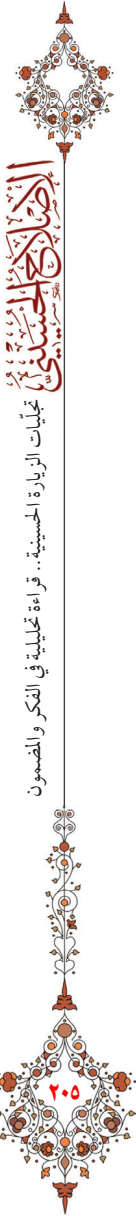
(٢) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٣٠٨.

(٣) الصدوق، محمد بن علي، ثواب الأعمال: ص ١١٢.

(٤) المصدر السابق: ص ٩١.

(٥) الفرقان: الآية ٧٠.

(٦) الطوسي، محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام: ج ٤، ص ٤٢.



وعنه عليه السلام أيضاً: «إنَّ فاطمة بنت محمد ﷺ تحضر لزوار قبر ابنها الحسين عليه السلام فتستغفر لهم ذنوبهم»^(١).

وعنه عليه السلام كذلك: «ثم ينادي منادٍ: أين زوار قبر الحسين عليه السلام؟ فيقوم أناس كثير، فيقال لهم: خذوا بيد من أحببتهم وانطلقوا بهم إلى الجنة»^(٢).

الخاتمة

١ . لقد أصبح الإسلام المحمدي خالداً بخلود ذكر الإمام الحسين عليه السلام، فصوت الحسين عليه السلام ونهضته وتضحيته قد قلبت الموازين كافّة، ونحن إذ نستقرئ التاريخ الحسيني والآثار المتجلّية في الحراك الحسيني الثوري، نجد أنّ زيارة الحسين عليه السلام هي إرهاصات هذا الحراك، والدماء الزكية التي نزت للحفاظ على جوهر الإسلام المحمدي.

٢ . من تجلّيات الزيارة الحسينية أنّها لم تكن أمراً مستحبّاً يمكن أدائه لكسب الثواب، وتركه دون أن يسبّب ذلك العقاب، بل هي فرض واجب الامتثال والوجوب على من استطاع إليها سبيلاً، هذا ما أثبتته روايات أهل البيت من المعصومين عليهم السلام وأكّده مراراً وتكراراً؛ لتتخذ هذه الزيارة درجة التقدير بقدر قدسية المزور الإمام الحسين عليه السلام.

٣ . يبيّن البحث أنّ الزيارة الحسينية في سموّها وحقيقتها الوجودية جامعة لمستويين من التجلّيات، الأوّل: تجلّيات دنيوية، وهي المنافع والثوابات التي يطالها زائر الإمام الحسين عليه السلام في الدنيا، والتي منها: مدّ العمر، وتأخير الأجل، واستجابة الدعاء، وتلبية المطالب والحاجات، والرزق، والبركة... والثاني: تجلّيات أُخروية، وهي المنافع الخاصّة بالآخرة لزائر قبر الحسين عليه السلام، منها: الجنة، وعدل

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٢٣١.

(٢) المصدر السابق: ص ٣١١.

أكثر من العمرة، وعدل الحجة المبرورة، ومقام العلّين، ومقام القرب الإلهي، وغفران الذنوب.

٤ . من انعكاسات الزيارة الحسينية للعالم أجمع أنّها مثلت التجليات المعرفية التي تُفصح عن مقام المعصوم عند محبّيه، وهي بمثابة هوية لمذهب الشيع، وهي أيضاً تعبّر عن الأصرة القلبية التي تربط الزائر مع المזור.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

١ . أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، دار ومطابع الشعب، القاهرة، ١٩٦٠م.

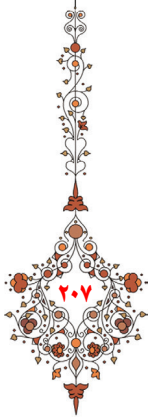
٢ . بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، الشيخ محمد باقر المجلسي، تحقيق: محمد مهدي السيّد حسين الموسوي الخرساني، السيّد إبراهيم الميانجي، محمد باقر البهودي، مؤسّسة الوفاء، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٣ . التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م.

٤ . تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)، أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، دار الكتاب الحديث، الجزائر، ٢٠١٢م.

٥ . تفسير القرآن الكريم، صدر الدين محمد بن إبراهيم القوّامي المعروف بصدر المتألّهين الشيرازي، تصحيح: محمد خواجهوي، الناشر: بيدار، قم - إيران، الطبعة الأولى، ١٩٨٤م.

٦ . تفسير غريب القرآن، فخر الدين الطريحي، تحقيق وتعليق: محمد كاظم الطريحي، انتشارات زاهدي، قم المقدّسة.



٧ . تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، محمد بن الحسن الحرّ العاملي، تحقيق ونشر: مؤسّسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، قم المقدّسة - إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ.

٨ . تهذيب الأحكام، أبو جعفر محمد بن الحسن الشيخ الطوسي، ضبط وتصحيح وتخريج الأحاديث وتعليق: محمد جعفر شمس الدين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م.

٩ . تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي، عالم الكتب، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠١٠ م.

١٠ . ثواب الأعمال وعقاب الأعمال، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسن بن بابويه القمي المعروف بالشيخ الصدوق، تصحيح وتقديم وتعليق: الشيخ حسن الأعلمي، مؤسّسة الأعلمي، بيروت - لبنان، الطبعة الخامسة، ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦ م.

١١ . جامع أحاديث الشيعة، السيّد حسين البروجردي، المطبعة العلمية، قم المقدّسة.

١٢ . حياة الإمام الحسين بن علي .. دراسة وتحقيق، الشيخ باقر شريف القرشي، تحقيق: مهدي باقر القرشي، قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدّسة، الطبعة الثانية، ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨ م.

١٣ . خلاصة عقبات الأنوار، السيّد حامد حسين الكهنوي، مؤسّسة البعثة / قسم الدراسات الإسلامية، طهران - إيران، ١٤٠٦ هـ.

١٤ . رسالة نقد النقود في معرفة الوجود، السيّد حيدر الأملي، ترجمة: السيّد جواد الطباطبائي، مؤسّسة التاريخ العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م.

١٥ . زيارة جديدة للتاريخ، محمد حسنين هيكل، دار الشروق.

١٦ . زيارة عاشوراء تحفة من السماء، الشيخ مسلم الداوري، تقرير: عباس الحسيني،

تحقيق: مؤسسة الإمام الرضا عليه السلام للبحث والتحقيق العلمي، مؤسسة صاحب الأمر، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م.

١٧ . الغدير في الكتاب والسنة والأدب، عبد الحسين أحمد الأميني النجفي، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الرابعة، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م.

١٨ . فاتحة الكتاب، السيّد عبد الحسين دستغيب، دار البلاغة للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٣٦هـ / ٢٠١٥م.

١٩ . فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني، تقديم: محمد بن رياض الأثري، عالم الكتب، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م.

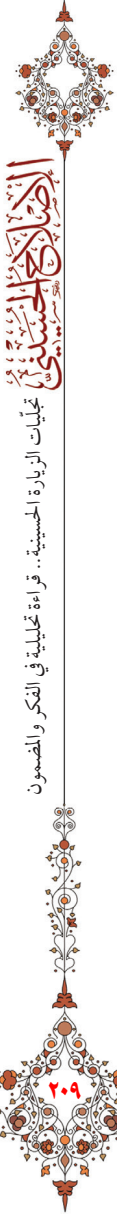
٢٠ . القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، إعداد وتقديم: محمد عبد الرحمن المرعشي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ٢٠٠٣م.

٢١ . الكافي، محمد بن يعقوب الكليني، منشورات الفجر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م.

٢٢ . كامل الزيارات، جعفر بن محمد بن قولويه القمي، تحقيق: جواد القيومي، نشر الفقاهة، قم المقدسة، إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

٢٣ . الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى.

٢٤ . لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى.

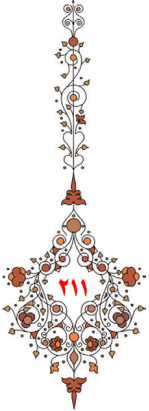


- ٢٥ . لفظة التجلي .. دلالاتها ومراتبها وآثارها، د. حسين علي حسين، مجلة حولية المنتدى للدراسات الإنسانية، العدد ٣، ٢٠١٥ م.
- ٢٦ . مجمع البحرين، الشيخ فخر الدين الطريحي، تحقيق: السيّد أحمد الحسيني، الطبعة الثانية.
- ٢٧ . مصباح المتهجّد، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، الناشر: بحوث الحجّ والعمرة، طهران، الطبعة الأولى، ١٩٨٧ م.
- ٢٨ . المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيّومي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- ٢٩ . المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجّار، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة.
- ٣٠ . معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الإعلام الإسلامي، ١٤٠٤ هـ.
- ٣١ . المعنى في ضوء التفسير العرفاني للقرآن الكريم، د. حسين علي حسين المهدي، دار الفيحاء للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٣٥ هـ / ٢٠١٤ م.
- ٣٢ . مفاتيح الجنان، الشيخ عبّاس القمّي، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٣ م.
- ٣٣ . المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد المعروف بالراغب الإصفهاني، ضبط ومراجعة: محمد خليل عيتاني، دار المعرفة، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة، ٢٠٠١ م.
- ٣٤ . منازل السائرين، إسماعيل عبد الله الأنصاري، تحقيق: محسن بيدافر، مؤسّسة التاريخ العربي، بيروت - لبنان.

٣٥ . مواهب الرحمن في تفسير القرآن، السيّد عبد الأعلى السبزواري، دار التفسير
شريعت، الطبعة الثانية، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م.

٣٦ . ميزان الاعتدال، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: علي محمد البجاوي،
دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٣٨٢هـ / ١٩٦٣م.

٣٧ . الميزان في تفسير القرآن، السيّد محمد حسين الطباطبائي، مؤسّسة دار المجتبى،
قم المقدّسة - إيران.



زيارة الإمام الحسين عليه السلام مشياً

مقاربة أنثروبولوجية ورمزية

ماجدة المؤمن

باحثة إسلامية / العراق

**The Ziyara to Imam al-Husayn (PBUH) on Foot
– An Anthropological and Symbolic Approach**

Majida al-Mumen

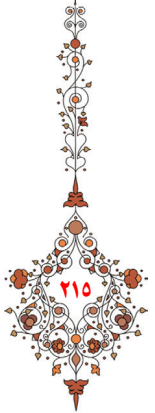
Islamic Researcher / Iraq

ملخص البحث

لعب المشي على الأقدام في زيارة الإمام الحسين عليه السلام دوراً مهماً في صيرورة هذه الفعالية تظاهرة إسلامية دينية مقدّسة، فاقت كثيراً من المناسبات الدينية الأخرى، وأصبحت معلماً مهماً من معالم الدين، وشعيرة فريدة تتحد فيها القلوب والنفوس والأرواح، من أجل أعظم شهيد في التاريخ الإسلامي، بل وحتى التاريخ العام. ومن هذا المنطلق؛ جاء هذا المقال ليبيّن بوضوح وبقراءة أنثربولوجية هذا الدور، من خلال الحديث في مجموعة نقاط، ركّزت على إيضاح أهميّة زيارة الإمام الحسين عليه السلام ودورها في إبراز عظّمته عليه السلام وفي إحياء الدين الإسلامي، وبيّنت أنّ زيارته عليه السلام عموماً وفي الأربعين على وجه الخصوص لها هدف سام، ويكبر هذا الهدف فيما إذا أدّيت الزيارة مشياً؛ وذلك لما لها - حينئذٍ - من الآثار الاجتماعية والإنسانية العديدة.

وقد توصل البحث إلى مجموعة من النتائج، منها: أنّ محبّي الإمام الحسين عليه السلام من مواليه وغيرهم، قد فضّل غالبيتهم أداء زيارته مشياً على الأقدام؛ لما في هذه الظاهرة من أثر في تقوية أو اصر الصداقة والمحبة بين أفراد المجتمع. ومنها أيضاً: أنّ في كلّ عمل أو هدف أو غاية، مشقّة وجهد وتعب، ولا شكّ في أنّ في العمل الأكبر أو الغاية العظمى مشقّة أكبر وجهداً أعظم، وأنّ زيارة الإمام الحسين عليه السلام هي من أبرز تلك الأعمال ذات الغايات الكبرى، وبالتالي فهي تستدعي مشقّة أكبر وجهداً أعظم؛ ممّا يوجب لها على طبق قاعدة الأجر على قدر المشقّة أجراً وثواباً مضاعفاً، و... إلى غير ذلك من النتائج.

الكلمات المفتاحية: الإمام الشهيد عليه السلام، زيارة، الأربعين، مشقّة، المشي.

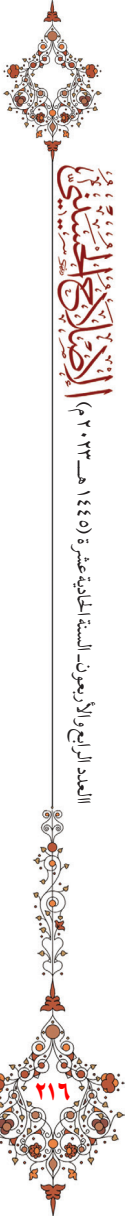


Abstract

Walking to visit Imam al-Husayn (PBUH) has played a transformative role in shaping this ritual into one of the most profound and sacred events in Islam. It has grown to surpass many other religious observances, becoming a defining feature of the faith and a powerful act of unity that brings together hearts, souls, and spirits in honor of the greatest martyr in the history of Islam, rather, in all of human history. Thus, this study was conducted to examine the significance of this practice through an anthropological lens, exploring how the Ziyara to Imam al-Husayn (PBUH) highlights his enduring legacy and revitalizes the essence of Islamic teachings. It argues that the Ziyara to him (PBUH), especially during Arbaeen, carries a noble purpose – one that is further elevated when performed on foot, as it has several social and human impacts.

The research reveals several important insights. For instance, the majority of Imam al-Husayn's (PBUH) followers, as well as others who revere him, choose to make the Ziyara on foot. This choice reflects the powerful impact of the journey in strengthening community bonds and fostering love and solidarity among people. Additionally, the study emphasizes that every meaningful endeavor comes with its share of hardship and effort. The Ziyara to Imam al-Husayn (PBUH) is no exception; it is a profound act of devotion that demands significant sacrifice and endurance. According to the principle that "*Reward is Proportional to the Level of Hardship*," this act of walking to visit him (PBUH) is met with immense spiritual rewards. These are just some of the key findings that underscore the depth and significance of this unique practice.

Keywords: The Martyred Imam (PBUH), Ziyara, Arbaeen, hardship, walking.



مقدمة

إنَّ المشي على الأقدام - والمعروف (بالمشاية) - لزيارة سيّد الشهداء الإمام الحسين بن علي عليه السلام له أهميّة خاصّة، وقدسية كبيرة لا نظير لها في التاريخ الإسلامي عموماً؛ وذلك لقدسية الإمام الحسين الشهيد عليه السلام، وأهميّة الواقعة الأليمة التي استشهد فيها هو عليه السلام وأهل بيته عليه السلام وعدد من أصحابه الكرام رضوان الله عليهم - التي لا نظير لها في التاريخ الإسلامي، بل في التاريخ العالمي - من أجل كرامة الإنسان المسلم.

إنَّ الإمام الحسين عليه السلام قد أحبه أتباعه والموالون له أشدَّ الحبِّ، وحتى من غير أتباعه والموالين له ممَّن عرف مظلوميّته الكبيرة، فبذلوا الغالي والنفيس من أجله، من إقامة العزاء، والبذل في سبيل إحياء ذكره، والجهد الكبير للوصول إلى مرقده الشريف في مدينة كربلاء المقدّسة؛ لزيارته وزيارة أخيه أبي الفضل العبّاس عليه السلام وأصحابه الشهداء الكرام.

هذا؛ وقد فضّل زوّار مرقده الطاهر المشي على الأقدام، وبذل الجهد والتضحية بالنفس والنفيس أحياناً؛ فمن أجله عليه السلام لا يرى الزائر قيمة هذه الأمور، فما قيمة ما يبذله أمام تضحيته عليه السلام بنفسه وعياله وخيرة أصحابه من أجل إعلاء كلمة الحقّ والمحافظة على الدين الحنيف.

فالهدف - أي: الإمام الشهيد - فوق كلّ الجهود والتضحيات، وبهذه النظرة سار زوّاره عليه السلام إلى ضريحه الطاهر أفراداً وجماعات، مشياً على الأقدام، تجمعهم العلاقات الأخوية الإسلامية الإيمانية الطيّبة، متذاكرين الواقعة الأليمة (واقعة الطفّ)، ومجتمعين على كلّ عمل صالح وخير وطيب، كصلاة الجماعة، وتوزيع الأطعمة للمشاة الزائرين، والحديث عن الإسلام ومبادئه السمحاء، وتعاليمه المتنوّعة التي

تتلاءم مع كافة شؤون الحياة؛ مكوّنين بلحاظ ذلك جماعة إنسانية إيمانية خيرة متكاتفه، تستطيع الوقوف في مواجهة كل من يعادي أهل البيت عليه السلام.

وبذلك صارت زيارة الإمام الحسين الشهيد عليه السلام تظاهرة إسلامية دينية مقدّسة، فاقت كثيراً من المناسبات الدينية الأخرى، فهي معلّم مهمّ من معالم الدين، وشعيرة كبيرة من شعائر الإسلام المحمدي الأصيل، معلّم أو شعيرة فريدة تتحدّ فيها القلوب والنفوس والأرواح، من أجل أعظم شهيد في التاريخ الإسلامي، بل وحتى التاريخ العام.

وبعد هذه المقدّمة الموجزة؛ فإنّ بحثنا يتألّف من مجموعة نقاط نفصلها في حديثنا الآتي، بعد أن نعرضها للقارئ بالإيجاز التالي:

- ١ . زيارة الإمام الحسين عليه السلام إحياء لعظمته.
- ٢ . لماذا الأربعين الحسيني؟
- ٣ . وسائل المواصلة القديمة (المشي نموذجاً).
- ٤ . الأجر على قدر المشقة.
- ٥ . المعاني الإنسانية لزيارة الإمام الحسين عليه السلام مشياً.

النقطة الأولى: زيارة الإمام الحسين عليه السلام أحياء لعظمته

ونحن في بداية البحث، لا بدّ من ذكر معنى الزيارة بشكلها العامّ، فالزيارة هي توجّه نحو موضع معيّن أكراماً لمن في ذلك الموضع. يقول الفيّومي في (مصباحه): «والزار يكون مصدراً وموضع الزيارة، والزيارة في العرف قصد المزور إكراماً واستئناساً به»^(١).

ويقول الشيخ الأعلمي: «والزيارة - بالكسر - القصد والملاقاة، وقصد المزور إكراماً وتعظيماً له واستئناساً به، وفي الحديث: «تزاوروا وتلاقوا وتذاكروا وأمرنا وأحيوه»، وفيه

(١) الفيّومي، أحمد بن محمد، المصباح المنير: ج ١، ص ٢٦٠.

مَنْ فعل كذا فقد زار الله سبحانه وتعالى في عرشه، قال الصدوق عليه السلام: زيارة الله تعالى زيارة أنبيائه وحججه عليهم السلام، مَنْ زارهم فقد زار الله عز وجل، كما مَنْ أطاعهم فقد أطاع الله، ومَنْ عصاهم فقد عصى الله ^(١).

وإذا كانت زيارة الشخص تُعدّ إكراماً له وتقديراً لشخصه ومكانته، فإنّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله والأئمة الكرام عليهم السلام - وهم أفضل خلق الله - لا بدّ أن تكون زيارتهم مهمة وعظيمة جداً؛ تقديراً لمكانتهم السامية والمقدّسة.

وعلى مستوى الإمام الحسين الشهيد عليه أفضل الصلاة والسلام، جاءت الروايات بأسانيدھا الصحيحة عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وأهل البيت الكرام عليهم السلام لتؤكد فضل هذه الزيارة الكريمة، وأنّ الله سبحانه وتعالى عوّض الإمام الحسين عليه السلام عن شهادته وتضحياته، بأن كان الشفاء في تربته، والأئمة الأطهار من ذريته، واستجابة الدعاء عند مرقد الشريف، وأنّ الله عز وجل ينظر إلى زوّاره عشية عرفة قبل أن ينظر إلى حجّاج بيته الحرام؛ وذلك لأنّ الإمام الحسين عليه السلام حفظ حرمة البيت الحرام. فقد قال عليه السلام لابن عباس عندما خرج من مكّة المكرّمة قبل أن يتمّ حجّه: «يا ابن عباس، لو لم أخرج لهتكت حرمة البيت» ^(٢).

ويقول السيّد شبر: ورد عن الإمام الباقر عليه السلام: «إنّ الحسين قُتل مظلوماً فألى الله ألا يأتي قبر الحسين مظلوم إلا تكفّل بردّ مظلمته، وأنّ الحسين قُتل مهموماً حزيناً كئيماً، فألى الله ألا يأتي قبر الحسين مهموم إلا فرّج عنه». «إلى أمثال هذا كثير وكثير؛ فقامت الشيعة بكلّ شوق تقصد قبر الحسين من البلدان النائية والأقطار البعيدة، ولا يصدّها عن ذلك تعب ولا نصب، ولا خوف ولا خطر، وتضحّي بكلّ غالٍ ورخيص في سبيل زيارة الحسين؛ لتقف في مرقد المطهر، وتستوحي من روحانية أبي الشهداء دروس العزة

(١) الأعلمي، محمد حسين، دائرة المعارف الشيعة: ج ١٠، ص ٢٣٣ - ٢٣٤.

(٢) شبر، جواد، أدب الطفّ: ج ١، ص ٣٧.

والتضحية، ولترجع بذنب مغفور وطرف مقرور»^(١).

ومن أعظم المواسم التي تقصدها الشيعة - كما أرشدتهم أئمتهم - هي ليلة عاشوراء التي في صبيحتها كان استشهاد الإمام الحسين عليه السلام. والكثير من الشيعة يحيي هذه الليلة بالدعاء وإقامة العزاء، وتلاوة مقتل الطف والبكاء؛ لأنَّ الحسين عليه السلام أحيّاها بالصلاة، والاستغفار، وقراءة القرآن الكريم، هو وأصحابه، كما جاء في أحداث ليلة عاشوراء بأنّه: «بات الحسين وأصحابه تلك الليلة، ولهم دوي كدوي النحل، ما بين راعم وساجد، وقائم وقاعد»^(٢).

يذكر الشيخ المفيد في (إرشاده): «وقد جاءت روايات كثيرة في فضل زيارته عليه السلام، بل في وجوبها، فروي عن [الإمام] الصادق جعفر بن محمد عليه السلام، أنّه قال: زيارة الحسين بن علي عليه السلام واجبة على كلّ من يقرّ للحسين بالإمامة من الله عزّ وجلّ. وقال عليه السلام: زيارة الحسين عليه السلام تعدل مئة حجة مبرورة، ومئة عمرة متقبّلة. وقال رسول الله ﷺ: من زار الحسين عليه السلام بعد موته فله الجنة. والأخبار في هذا الباب كثيرة، وقد أوردنا منها جملة كافية في كتابنا المعروف بـ(مناسك الحجّ)»^(٣).

فكم هي - إذاً - مهمّة مكانة الإمام الحسين الشهيد عليه السلام! وكم هي مهمّة زيارة قبره الشريف! أليست هي إحياء لعظمته وتقديرًا لمكانته السامية والمقدّسة؟ إنّهُ الإمام الحسين الشهيد عليه السلام ما أعظمه وما أقدسه.

النقطة الثانية: لماذا الأربعين الحسيني؟

الزيارة شعيرة دينية واجتماعية سامية، يُارسها الإنسان عندما يكون مهتمّاً بإنسان آخر أو جماعة من الناس، أو بمكان معيّن، فهي بلحاظ الفرض الأوّل إتيان بقصد

(١) المصدر السابق.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٣٩٤.

(٣) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج ٢، ص ١٣٣ - ١٣٤.

رؤية شخص - أو مجموعة من الأشخاص - أو الالتقاء به؛ للقيام بواجب اجتماعي، أو تقدير وتقديس لمواقفه المشرفة، كما في زيارة الأنبياء والأولياء والمقدسين.

وأما بلحاظ كون المzor مكاناً معيناً، فلعل من أشهر الزيارات الدينية المقدسة هي زيارة بيت الله الحرام في موسم الحج في مدينة مكة المكرمة، فهي واجب شرعي لمن استطاع إليه سبيلاً، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾^(١). ومثل ذلك زيارة الرسول الأكرم ﷺ والأئمة الأطهار ﷺ، لا سيما الإمام الحسين الشهيد ﷺ في مدينة كربلاء المقدسة.

ولهذه الزيارة الحسينية خصوصية مهمة وقداصة بارزة، فقد وردت فيها أحاديث عديدة تعظم شأنها؛ ولذلك اهتم بها أتباع آل البيت ﷺ ومحبوهم في كل مكان. ويمكن زيارة مرقد الإمام الحسين الشهيد ﷺ في أي وقت من الأوقات، ولكن توجد زيارات مخصوصة وفي أوقات محدّدة، تحظى - حسب روايات عديدة - بأهمية خاصّة، كما في الرواية المعروفة في حديث علامات المؤمن الخمس، فقد ورد في تفسير الإمام العسكري ﷺ: «علامة الإيمان خمس: التختم باليمين، وصلاة إحدى وخمسين، والجر بيسم الله الرحمن الرحيم، والتغفير للجين، وزيارة الأربعين»^(٢).

والمقصود من هذه الشعيرة هو العادة المعروفة التي اتخذها أتباع آل البيت ﷺ في زيارة مرقد الإمام الشهيد الحسين ﷺ كل سنة في يوم الأربعين - الذي يصادف يوم العشرين من شهر صفر - أي بعد أربعين يوماً من استشهاد؛ لإقامة العزاء على هذه الفاجعة الأليمة.

فمن علامات الإنسان المؤمن الموالي للدين ولسيد شباب أهل الجنة المثل في يوم الأربعين عند المرقد الشريف الطاهر لسيد الشهداء ﷺ؛ لإقامة المأتم عليه،

(١) آل عمران: الآية ٩٧.

(٢) الحائري، محمد مهدي، معالي السبطين: ج ٢، ص ١٩٤.

وتجديد الحزن بسبب ما جرى عليه وعلى أهله وأصحابه من المصائب الكبيرة. يذكر مؤلف كتاب (موسوعة كربلاء) أنَّ العلامة السيّد علي مكّي يقول: «لماذا كانت زيارة الأربعين علامة المؤمن؟ نلاحظ أنَّ هناك زيارات كثيرة للحسين عليه السلام في أوقات مختلفة، مثل: يوم عاشوراء، يوم عيد الأضحى، يوم عرفة، النصف من شعبان، والنصف من رجب، كلّ ليلة جمعة، يزار بها الحسين عليه السلام خاصّة، فلماذا التأكيد على الحسين عليه السلام؟

السبب في ذلك أنَّ الحسين عليه السلام وهب نفسه لله، فأصبح عنواناً للدين، وزيارته هي لإحياء شعائر الدين. هذه الزيارة تذكّرنا بيوم الطفّ وبمظلومية أهل البيت عليه السلام، وأنّ الحسين عليه السلام أنقذ الدين من الجاهلية، تُعلّمنا أن نصبر الحقّ دائماً، ونردع أنفسنا عن المعاصي. كما أنّها مناسبة حيّة ليتدارس المؤمنون فيها أوضاعهم؛ لهذا ذكر صاحب (الجواهر): أنَّ زيارة الحسين عليه السلام تكاد تكون من ضرورات الدين؛ لأنّ هذه الزيارة سبب لاستمراريتنا في الالتزام بأحكام الدين.

وهنا يطرح سؤال أساسي: لماذا كانت زيارة الإمام الحسين عليه السلام يوم الأربعين من شهادته عليه السلام، وليس قبل ذلك اليوم أو بعده؟ فما هي خاصّة يوم الأربعين الذي اتخذ فيها بعد عادة بالنسبة لكلّ الموتى؟

أقول: لقد ورد في الحديث: إنّهُ إذا مات المؤمن، يبكي عليه كلّ شيء والملائكة أربعين يوماً، وبالطبع يكون بكاءؤهم عليه وترحمهم في آخر يوم منها أشدّ ما يمكن، وهو يوم الأربعين، فتكون إقامة مراسم الحزن والعزاء على المؤمن يوم الأربعين، مشاركة منّا للملائكة والملائكة الأعلى في حزنهم وأساهم وترحمهم عليه»^(١).

لا يحیی المسلمون الشيعة الأربعين دون سبب أو علّة معقولة، فهي عادة معروفة منذ زمن بعيد، وهي الآن موجودة على المستوى العامّ.

(١) د. لبيب بيضون، موسوعة كربلاء: ج ٢، ص ٥٦٣-٥٦٤.

يذكر السيّد المقرّم أنّه: «من النواميس المطّردة الاعتناء بالفقيد بعد أربعين يوماً مضين من وفاته؛ بإسداء البرّ إليه، وتأبينه، وعدّ مزياءه في حفلات تُعقد وذكريات تُدوّن تخليداً لذكره»^(١).

وفي تاريخ الاهتمام بمرور أربعين يوماً على وفاة الميّت ذكر السيّد المقرّم: «وما ورد عن أبي ذرّ الغفاري وابن عبّاس، عن النبي ﷺ: أنّ الأرض لتبكي على المؤمن أربعين صباحاً. وعن زرارة، عن أبي عبد الله عليه السلام: أنّ السماء بكت على الحسين عليه السلام أربعين صباحاً بالدم، والأرض بكت عليه أربعين صباحاً بالسواد، والشمس بكت عليه أربعين صباحاً بالكسوف والحرمة، والملائكة بكت عليها أربعين صباحاً، وما اختضبت امرأة منّا ولا أدهنت واكتحلت، ولا رجّلت حتى أتانا رأس عبيد الله بن زياد، وما زلنا في عبرة من بعده»^(٢).

ثمّ يقول السيّد المقرّم: «ويؤكد هذه الطريقة المألوفة والعادة المستمرة بين الناس من الحداد على الميّت أربعين يوماً، فإذا كان يوم الأربعين أُقيم على قبره الاحتفال بتأبينه، يحضره أقاربه وخاصّته وأصدقاؤه. وهذه العادة لم يختصّ بها المسلمون؛ فإنّ النصارى يقيمون حفلة تأبينية يوم الأربعين من وفاة فقيدهم، يجتمعون في الكنيسة ويعيدون الصلاة عليه المسّاة عندهم بصلاة الجنازة، ويفعلون ذلك في نصف السنة وعند تمامها»^(٣).

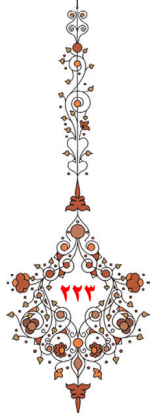
ويمكن أن نذكر هذه الحالة أو الشعيرة عند المصريين القدماء، حيث يقيمون ذكرى وطقوساً خاصّة لميّتهم بعد أربعين يوماً من تحنيطه عندما يحفّ جسده^(٤). إذا؛ فإنّ الاهتمام بيوم الأربعين حالة إنسانية أو طقس إنساني معروف منذ القدم.

(١) المقرّم، عبد الرزاق، مقتل الحسين: ص ٤٧٠.

(٢) المصدر السابق: ص ٤٧١.

(٣) المصدر السابق.

(٤) أنظر: أنا، رويز، روح مصر القديمة: ص ١١٤.



النقطة الثالثة: وسائل المواصلات القديمة (المشي نموذجاً)

الوصول إلى زيارة الإمام الشهيد الحسين بن علي عليه السلام في كربلاء المقدسة، يمكن أن تكون له عدة أشكال وأساليب، فيمكن أن يكون مشياً على الأقدام بشكل مباشر دون أية وسيلة نقل، ويمكن أن يكون بوسائل نقل متنوعة، كركوب الأنعام من خيل وجمال وبغال وحيوانات أخرى، أو بالوسائل الحديثة من قبال: السيارة، والطائرة، والقطار، ومراكب البحر، وغيرها.

وإذا ما ابتدأنا بالأقدم إلى الأحدث، فلا شك في أن الإنسان الأول كان يتنقل من جهة إلى أخرى مشياً على قدميه، ثم تطوّر النقل إلى الأفضل تدريجياً. وعلى مستوى زيارة الإمام الحسين الشهيد عليه السلام، كانت الزيارات الأولى بعد استشهاده مباشرة هي الوسائل القديمة، التي كانت سائدة في عصر استشهاده، وبالطبع هي الوحيدة ولا غيرها، وهي الحيوانات المركوبة المذكورة آنفاً. ولا شك في أن كل الحضارات القديمة - من سومرية، وبابلية، وآشورية، وفرعونية، وصينية، وفارسية، وغيرها من الحضارات - كانت تستخدم الحيوانات المتوافرة عندها كوسائل للنقل، إمّا بركوبها مباشرة وهو الأكثر، وإمّا باستخدامها وسيلة لجرّ المركبات الصغيرة أو الكبيرة، وقد أشار القرآن الكريم في آياته المباركة إلى هذه الوسائل المتعارفة في زمن نزوله، التي يعرفها الناس آنذاك، حيث قال تعالى:

﴿وَالْحَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(١).

يقول الطبرسي في تفسير هذه الآية الكريمة: «﴿وَالْحَيْلَ﴾، أي: وخلق لكم الخيل، ﴿وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا﴾ في حوائجكم وتصرّفاتكم، ﴿وَزِينَةً﴾، أي لتزيّنوا بها. من الله تعالى على خلقه بأن خلق لهم من الحيوان ما يركبونه ويتجملون به»^(٢).

(١) النحل: الآية ٨.

(٢) الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان: ج ٦، ص ٥٤٢.

ويقول الزمخشري في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾: «يجوز أن يريد به ما يخلق فينا ولنا ممّا لا نعلم كنهه وتفصيله، وبمنّ علينا بذكره كما ممّن بالأشياء المعلومة مع الدلالة على قدرته، ويجوز أن يخبرنا بأنّ له من الخلائق ما لا علم لنا به؛ ليزيدنا دلالة على اقتداره بالإخبار بذلك»^(١).

وفيا يتعلّق بالتفسير المعاصرة للآية فقد «ورد في (تفسير المراغي) وتفسير (في ظلال القرآن): أنّ درك مفهوم هذه الجملة أسهل لنا ونحن نعيش في عصر السيّارة ووسائل النقل السريعة الأخرى»^(٢).

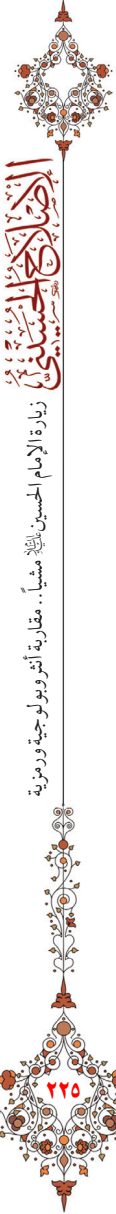
ومن هنا؛ نعرف أنّ أقدم وسائل النقل كانت عبارة عن المشي على الأقدام، وهو الوسيلة الطبيعية الممكنة في كلّ العصور، فهو وسيلة تؤدّي الغرض وإن كان يشوبها التعب والنصب، ولكن في الوقت نفسه فيها من الفطرة الجميلة والعلاقات الإنسانية النافعة الكثير جدّاً.

وقد أدرك الناس عامّة والمسلمون خاصّة هذه الحالة الفطرية الجميلة لوسيلة المشي، فاستخدمت في بعض الأحيان أو المناسبات لحالات خاصّة إنسانية أو دينية مقدّسة. وإذا كان المشي على الأقدام من أجل هدف سامّ كزيارة الإمام الحسين الشهيد عليه السلام، فقد فاز الزائرون المشاة على الأقدام بالحسينيين: إرضاء للفطرة السليمة، وتحقيق الهدف الإلهي السامي، وهو زيارة الإمام الشهيد. وهذه الوسيلة صنعت بالفعل الإنسان السوي الهادف والجامع بين الدنيا والآخرة.

إنّ المشي على الأقدام وسيلة نقل جميلة تفتح النفس وتريح الروح وإن تخللها بعض التعب وبذل الجهد الذي يمكن علاجه بالاستراحات المتكرّرة ومحطّات الطريق المختلفة وهي كثيرة، وممّا لا شكّ فيه أنّ للمشي - في المقام - منافع عديدة، فله

(١) الزمخشري، محمود بن عمر، الكشف: ج ٢، ص ٥٥٧.

(٢) الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ج ٨، ص ١٠٣.



دور في تقوية أو اصر الصداقة والمحبة بين أفراد المجتمع، فالحياة الجماعية في المسير الواحد، والمأكل الواحد، والمشرّب الواحد، والتعاون في مختلف الشؤون الإنسانية، سيوفّر خدمة للجميع، ففي التعاون والتكاتف راحة للجميع وانسجام إنساني كبير. فهناك مَنْ يقدّم موعظة أو معلومة للآخرين، وهناك مَنْ يرفع حالة العزلة عنهم، وهناك مَنْ يعطف على الضعيف عندما يلتقي به ويقدم له المساعدة، إلى غير ذلك من الحالات الإنسانية، فالناس مختلفون في كثير من سلوكياتهم المادية والفكرية، وفي كثير من الأحيان قد يحصل فيما بينهم تضادّ؛ لذا ينبغي وجود سلوك يمكن أن يوحد التشتت والفرقة.

وإذا كان هناك اتّفاق واختلاف في المجتمع الواحد، ففي المجتمعات المختلفة القادمة من بلدان مختلفة في ثقافتها وغناها المادي والفكري، ما يثري الفكر الإنساني بالعديد من التناجات العلمية والفكرية والسلوكية.

وما دام المشي الجماعي مستمراً في زمن طويل نسبياً، فلا بدّ أن تكون هناك فعاليات في شؤون مختلفة، فقد تُقام الصلوات في أوقات عديدة، يجتمع فيها الناس من مختلف القوميات والأجناس والبلدان المختلفة، وهذا ما يوفر ثقافة إنسانية عامّة للجميع، وتقارب في الأفكار والأفعال.

كما ممّا لا شكّ فيه أنّ للخطب الدينية، أو الاجتماعية، أو الإنسانية هنا وهناك دوراً في توحيد الأفكار، وتوجيهها نحو التمسك بالعقائد الإسلامية المقدّسة.

إنّ مجتمعنا الإسلامي بحاجة إلى هذه التظاهرة الحسينية المقدّسة؛ لتقوية أو اصر الصداقة والإخوة بين المسلمين، وخاصّة إذا كان الهدف مقدّساً وكبيراً كزيارة الإمام الحسين الشهيد عليه السلام، الذي أدرك المسلمون حقّاً أنّه عليه السلام ضحّى من أجل إحياء دينهم الحنيف.

النقطة الرابعة: الأجر على قدر المشقة

في كلّ عمل أو هدف أو غاية مشقة وجهد وتعب، ولا شكّ في أنّ في العمل الأكبر أو الغاية العظمى مشقة أكبر وجهداً أعظم، هذه المعادلة واضحة في حياتنا الاجتماعية العامّة، لكنّها قد لا تصحّ هذه المعادلة أو القاعدة في بعض الأحيان، فقد تكون المشقة كبيرة والهدف صغيراً أو ضعيفاً، لكنّ هذه الحالة استثنائية وليست هي الأصل أو القاعدة الأساسية.

وهذه القاعدة يقرّها العقل والوجدان نظرياً وفي مقام التطبيق والعمل، وكلّ إنسان يعيشها ويعتمد عليها في حياته الاجتماعية والعملية، في حال جرت على الأصول الصحيحة والتخطيط السليم والمعقول. وهذا ما أقرّه الدين والدعاة إليه من النبي الأكرم ﷺ والأئمة الكرام عليهم السلام، فالعقل لا يخالف الدين، والدين لا يخالف العقل، وهذا أمر عقلائي واضح.

فعن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ورد: «الثواب بالمشقة».

وورد عنه عليه السلام أيضاً: «ثواب العمل على قدر المشقة فيه».

وأكثر من ذلك ما قاله عليه السلام: «بالتعب الشديد تُدرك الدرجات الرفيعة والراحة

الدائمة»^(١).

من المعقول جدّاً إذا كان الهدف كبيراً، ولا يتمّ نيّله إلّا بالمشقة الكبيرة، يكون الأجر كبيراً تبعاً لكبر المشقة. هذا؛ وأنّ الأهداف الكبيرة ليست قليلة، والمشقات والجهود التي تستدعيها تلك الأهداف ليست قليلة أيضاً، وهل هناك أعظم من زيارة سيّد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام، الهدف الذي تتوق كلّ نفس الوصول إليه، مهما كانت هناك مشقة وصعوبة في الوصول إلى حضرته المقدّسة؟

وقد رسم المسلمون الشيعة السير على الأقدام هدفاً مقدّساً لزيارته مهما كانت

(١) الري شهري، محمد، ميزان الحكمة: ج ١، ص ٥٦٣.



درجة المشقة، حتى ولو كانت التضحية بالنفس والنفيس، فقد جاء إليه محبّوه من كلّ مكان رغم الصعوبات والمخاطر التي قد يتعرّضون إليها.

هذا؛ ويجد المتابع ازدياد أعداد زوّار الإمام الحسين الشهيد عليه السلام في كلّ سنة، والمسيرات الكبرى القادمة من مدن شتّى من داخل العراق بلد الإمام الحسين عليه السلام، أو من بلدان أخرى أحبّ أهلها إمامهم الحسين الشهيد، فهناك من جاء من مدن العراق المختلفة البعيدة والقريبة، كالبصرة وسامراء وبعقوبة وغيرها من المدن، وهناك من جاء من الجمهورية الإسلامية في إيران، ومن بلاد سوريا، ولبنان، والبحرين، والمملكة العربية السعودية، وغيرها من البلدان الإسلامية، راكبين أو سائرين على الأقدام، راغبين في الوصول إلى إمامهم سيّد الشهداء الحسين بن علي عليه السلام، ومتجشّمين في سبيل ذلك عناء السفر والخطر والتضحيات المحتملة، وحين تسألهم عن أهدافهم يبادرون بالقول: إنّ الإمام سيّد الشهداء أعظم شهيد في التاريخ، نبذل له الروح والمال وكلّ شيء في سبيل الوصول إلى قبرة الشريف، إنّّه فوق كلّ شيء.

ومن يعيش تجربة السير على الأقدام (المشاية) في سبيل الوصول إلى زيارة سيّد الشهداء فسينبهر بالمشهد الميداني المنظم الذي احتاج إلى جهود ليست سهلة؛ فهناك أماكن الاستراحة من بيوت وبنيات مجهزة بكلّ ما يحتاجه الزائر من خدمات، خدمات النوم، وخدمات الطعام المتنوّع حتى الفاخر منه، والخدمات الصحيّة من مغاسل وحمامات، ولوازم طبيّة متنوّعة، وإسعافات أوليّة لازمة، بل وأطباء متخصصون، وأمور أخرى، ولا شكّ في أنّ كلّ ذلك لم يكن دون مشقة وجهد كبيرين.

إنّ كلّ ذلك من أجل الهدف الكبير، وهو الوصول إلى زيارة سيّد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام، الذي ضحّى بنفسه وعياله وأصحابه من أجل إحقاق الحقّ وإبطال الباطل.

والزائرون عموماً اعتقدوا - بل وآمنوا إيماناً راسخاً - أنّ وراء مشقّة الوصول إلى ضريح الإمام الشهيد ثواباً عظيماً، مستندين في ذلك إلى أقوال أئمتّهم الكرام عليهم السلام، حيث يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام كما تقدّم: «بالتعب الشديد تُدرّك الدرجات الرفيعة والراحة الدائمة»؛ إنّه لقول عظيم من إمام عظيم، قدّر الأمور الحياتية حقّ قدرها، وقال حقّاً وصدقاً يُقرّره العقل والواقع إقراراً تامّاً.

ولا شكّ في أنّ الجهود والمشاقّ التي بذلها الزائر الحسيني في سبيل إمام شهيد مظلوم كالإمام الحسين الشهيد عليه السلام لا تذهب سدى، ولا يضيع ثوابها عند الله سبحانه وتعالى، قال عزّ وجلّ: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أَضِيعُ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتُمْ بِعَعْضِكُمْ مِّنْ بَعْضٍ...﴾^(١).

هكذا تقتضي عدالة الباري عزّ وجلّ، وفي هذا الأجر يتساوى الذكر والأنثى، وهذه قَمّة عدالة الله تعالى.

النقطة الخامسة: المعاني الإنسانية لزيارة الحسين عليه السلام مشياً

إنّ زيارة الإمام الحسين الشهيد عليه السلام - كما تقدّم - لها قدسية خاصّة، جعلت المسلمين الشيعة يولونها اهتماماً خاصّاً، فبالرغم من أهمّية الرسول الأعظم صلّى الله عليه وآله والإمام أمير المؤمنين عليه السلام والإمام الحسن عليه السلام، ودورهم في تثبيت دعائم الدين الإسلامي الحنيف، وخدماتهم الجليلة في هذا المجال، تبقى حرارة استشهاد الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه شعلة متوقّدة في القلب لا تفارقه أبداً. وقد ولّدت هذه التضحية الكبيرة من قبله عليه السلام حالة من الحبّ والقرب والتقديس لا نظير لها في التاريخ.

فمرارة مأساته عليه السلام لا تفارق محبّيه ومواليه، فهي معهم أينما كانوا، وأينما ذهبوا؛ لذا فهم يقصدونه من أيّ مكان وبقعة كانوا فيها، ويؤدّون زيارته سواء كانوا راكبين

(١) آل عمران: الآية ١٩٥.

أم سائرین علی الأقدام، بل ویقومون أحياناً بتلاوة نصوص الزيارة عن بُعد فی حال لم یستطیعوا الوصول إلى مرقدہ الشریف ولثم ضریحہ المقدّس.

فهم یتوافدون لأداء مراسم زیارته عليه السلام سواء فی أوقات محدّدة، کیوم عرفة، ویوم استشهادہ فی العاشر من المحرم، ویوم الأربعاء، ونحوها من الزیارات المخصوصة والمنصوص علیها فی الروایات، أم مطلقاً وفي أيّ وقت حصلت عندهم استطاعة الوصول إلى كربلاء المقدّسة.

وكان ذلك منذ استشهادہ عليه السلام، وقد جرى هذا العمل من بعد واقعة الطفّ إلى یومنا هذا، بالرغم من المنع والعقوبات المتنوّعة الصارمة المفروضة من قبل بعض الخلفاء والحکومات الجائرة.

إنّ زیارة الأربعاء هی زیارة الأهمّ من بین الزیارات الحسینیة الأخری المهمة. وقد أرجع القاضي الطباطبائي زیارة الأربعاء إلى عصر الأئمة الكرام عليهم السلام، مؤكّداً أنّ الشيعة كانوا یزورون الإمام الحسین عليه السلام فی العصرین الأموي والعباسي، وأنّ سيرة الشيعة قائمة علی التمسك بزیارة الأربعاء علی مرّ العصور^(١).

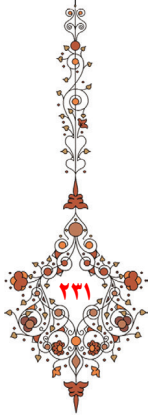
ونحن لا نشكّ فی أنّ التضحیة بالغالي والنفیس فی سبیل زیارة الإمام الحسین عليه السلام لم تأت من فراغ أو من أجل نفع ماديّ أو تزلف لشخص معین، وأنما هی زیارة روحیة قلبیة تنطلق من أعماق الزائر الحقیقي، حبّاً وعشقاً لروح الإمام الحسین الشہید عليه السلام، الذي ضحّى بنفسه وبمن معه من أجل الدین الإسلامي وإحقاق الحقّ. لقد أراد محبّو الإمام الشہید أن یواسوا إمامهم فی محتته واستشهادہ، ببذل النفس والجهد والتعب فی سبیل الوصول إلى قبره الشریف، والارتباط المعنوي بروحه الطاهرة، فقرّروا المشي علی الأقدام مهما كانت المسافة طویلة، ومهما كبرت الصعاب.

(١) القاضي الطباطبائي، سیّد محمد علي، تحقیق دربارہ اوّل اربعین حضرت سیّد الشهداء سلام الله علیہ: ص ٢.

وهكذا انطلقوا إليه زرافات ووحداناً، وأفراداً وجماعات، قاطعين المسافات الطويلة، ذاكرين المأساة، ومتحدّثين بتفاصيل واقعة الطفّ وما جرى عليه عليه السلام وعلى أهل بيته البررة وصحبه الكرام، لتصبح بعد ذلك ظاهرة دينية اجتماعية لها أركانها وتفاصيلها المختلفة، فسُمّيت بالمشي الحسيني، أو المشاية، أو المسيرة الحسينية، وأسماء أخرى، فصارت ملتقىً إسلامياً من أشهر وأكبر الملتقيات الاجتماعية الدينية الإيمانية في العالم. وقد اعتاد هؤلاء المحبّون على هذه المسيرة في كلّ عام، فيبدأ مسير بعضهم من اليوم العاشر من صفر أو قبله أو بعده حسب بُعد مسافة منازلهم أو منطلق حركتهم عن المرقد الشريف في كربلاء، يسIRON جماعات أصدقاء وأحباء، أو عائلات، أو مواكب كلّ موكب ينتمي إلى جهة أو مدينة أو محلة، قادمين من المدن العراقية: كالبصرة، والنجف، وبغداد، وكركوك، والعمارة، والناصرية، وسائر المدن الأخرى، أو من بلدان شقيقة أو صديقة: كالبحرين، أو إيران، أو باكستان، أو سوريا، أو تركيا، وغيرها، معبّرين - على اختلاف لغاتهم وثقافتهم وآدابهم - عن مدى ولائهم ومحبتهم لسيد الشهداء عليه السلام ونهضته المباركة.

وعادة ما تنطلق جموع الزائرين الغفيرة من مدينة أمير المؤمنين عليه السلام النجف الأشرف، فبعد زيارة الإمام علي عليه السلام، تنطلق هذه الجماعات لتقطع طريق (النجف - كربلاء)، مارّين على أماكن أو أبنية مخصّصة حسينية ومواكب تستقبل الزوّار المشاة، مقدّمين لهم المأكّل والمشرب والمبيت والاستراحة، وكلّ ما من شأنه خدمة الزوّار المشاة الذاهبين إلى مرقد الإمام الشهيد عليه السلام، إضافة إلى ذلك فإنّ أغلب العراقيين - إذا لم يكونوا جميعهم - يفتحون أبواب بيوتهم لاستضافة الزوّار المشاة القادمين من أماكن مختلفة.

وفي الطريق بين النجف وكربلاء، تجد الرجال والنساء - وحتى الأطفال - يلبسون اللباس الأسود، ويرفعون أعلاماً سوداء؛ حزناً على إمامهم الحسين الشهيد عليه السلام، ومؤدّين فروضهم الدينية في أوقاتها على أتمّ وجه.



إنّه مؤتمر سنوي ديني إلهي اجتماعي بحق، أو قل: هو مدرسة إسلامية إنسانية تتعارف فيها النفوس والقلوب، وتتقارب فيها الأرواح من أيّ مكان قدمت، فتتعدد العلاقات من الجهات المختلفة، من الشمال والجنوب، والشرق والغرب، ويتمّ فيها تبادل الأحاديث وطرح الأفكار والآراء المتنوّعة التي يغلب عليها الطابع الديني الإنساني.

نحن نعتقد أنّ وجود هذه المسيرة البشرية الدينية الكبرى يُعدّ أمراً ضرورياً لمسيرة الحياة الاجتماعية، فالمناسبات - وخاصة إذا كانت دينية - هي ضرورية لمسيرة الحياة والتقارب بين المجتمعات، ولولاها لتفرّقت المجتمعات وابتعد الناس بعضهم عن بعض؛ ولذلك هيّأ الدين الإسلامي الحنيف أنواعاً من المناسبات؛ لغرض التقارب بين المسلمين، فمن صلاة الجماعة إلى صلاة الجمعة إلى صلاة العيدين (الفطر والأضحى)، إلى مناسبات الوفايات والموايد، ومناسبات الأحداث المهمة الأخرى كالمبعث النبوي، ومناسبة تعيين الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في يوم الغدير، وأعياد أخرى. كلّ ذلك من أجل التقارب بين الشعوب والأمم والحضارات، والابتعاد عن العزلة الاجتماعية.

لقد أصبحت - في هذه الأزمنة - زيارة الإمام الحسين الشهيد عليه السلام في يوم الأربعين من أكبر التظاهرات الإسلامية الدينية، بل حتى على مستوى العالم، فقد تدرّجت أعداد الزوّار من مليون زائر إلى خمسة ملايين فعشرة ملايين حتى وصلت مؤخراً إلى حدود العشرين مليوناً، وهذه ظاهرة إنسانية دينية لا نظير لها في التاريخ والحاضر، وهذا حدّث سيكون زاخراً بالثمرات والخيرات التي تستفيد منها الإنسانية كلّها.

وهنا أذكر ما قاله الخطيب السيّد عبد الرزاق المقرّم في (مقتله): «إذا ازدلف الزائرون إلى قبره من شتّى النواحي، وتعرّف كلّ بالآخر، وشاهد كلّ منهم ذلك الزحام المعجب، والتهافت المتواصل، والتهالك دون ذلك المقصد الشريف بما أنّ صاحب المشهد صاحب دعوة إلهية وداعية إلى سبيل ربّه بالحكمة والموعظة الحسنة، عظم في

عينه الشخص المزور ونزعته ودعوته، وثلج صدره بذلك المنظر المبهج، ورق له قلبه، وثبت به يقينه، وبطبع الحال ينجذب إلى تتبع تعاليمه، ودرس أحواله، واقتصاص أثره، وتعرّف مظلوميّته، إلى ما هنالك من فوائد لا تحصى. وهناك معنى آخر وهو أنّ الزيارة تحكم رابطة الأخوة بين المؤمنين التي دعا إليه الكتاب المجيد: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾^(١)، فإنّ الزوّار باجتماعهم عند القبر وفي الطريق إليه، يتبادلون المعروف والمكافأة عليه، ويتفاهمون في التوجيه نحو الدين الصحيح، فيكشف الخطأ في اعتقاد الطوائف وشذوذها، وتصبح الرابطة بينهما حكيمة الأساس^(٢).

الخاتمة

نجمل في خاتمة بحثنا هذا ما توصّلنا إليه من نتائج من خلال العرض التالي:

١. إنّ الإمام الحسين عليه السلام قد أحبه أتباعه والموالون له أشدّ الحبّ، وغيرهم من أصحاب المذاهب والديانات الأخرى، ممّن عرف مظلوميّته الكبيرة، فبدلوا الغالي والنفيس من أجل الوصول إلى مرقده الشريف في كربلاء المقدّسة؛ لذا نجد أنّ زوّاره قد فضّلوا المشي على الأقدام، وبدلوا الجهد والتعب في سبيل أداء هذه الشعيرة المقدّسة.

٢. توجد زيارات مخصوصة للإمام الحسين عليه السلام في أوقات محدّدة، تحظى - حسب روايات عديدة - بأهميّة خاصّة، كما ورد ذلك في خصوص زيارته عليه السلام يوم الأربعين، التي عدّها الإمام العسكري عليه السلام - في تفسيره - من علامات المؤمن الخمس.

٣. إنّ الاهتمام بمرور أربعين يوماً على وفاة الميت يُعدّ حالة إنسانية أو طقساً إنسانياً معروفاً منذ القدم، وكما ذكر السيّد المقرّم أنّه من النواميس المطردة الاعتناء

(١) الحجرات: الآية ١٠.

(٢) المقرّم، عبد الرزاق، مقتل الحسين أو حديث كربلاء: ص ١١٠.

بالفقيد بعد أربعين يوماً مضين من وفاته، بإسداء البرّ إليه، وتأبينه، وعدّ مزاياء في حفلات تُعقد، وذكرات تُدون تخليداً لذكره.

٤ . إنّ المشي على الأقدام وسيلة نقل جميلة، تفتح النفس وتريح الروح، كما أنّ له منافع أخرى عديدة، فله دور في تقوية أواصر الصداقة والمحبة بين أفراد المجتمع، خصوصاً إذا كان الهدف منه مقدساً وكبيراً كزيارة الإمام الحسين الشهيد (عليه السلام)، فإنّ منفعته ستكون - بلا شك - أتمّ وأكمل.

٥ . في كلّ عمل أو هدف أو غاية مشقّة وجهد وتعب، ولا شكّ في أنّ العمل الأكبر أو الغاية العظمى فيهما مشقّة أكبر وجهد أعظم، وهل هناك أعظم من زيارة سيّد الشهداء الإمام الحسين (عليه السلام)، الهدف الذي تتوق كلّ نفس الوصول إليه مهما كانت هناك مشقّة وصعوبة في الوصول إلى حضرته المقدّسة؟

٦ . إنّ المشي على الأقدام لأداء مراسم الزيارة الأربعينية مهما كانت المسافة طويلة، ومهما كبرت الصعاب، مع تخلّل ذلك من تذكّر لمأساته (عليه السلام) والحديث بتفاصيل واقعة الطفّ، صيرّ زيارته (عليه السلام) ظاهرة دينية اجتماعية لها أركانها وتفاصيلها المختلفة.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

١ . أدب الطفّ أو شعراء الحسين، السيّد جواد شبّر، دار المرتضى، بيروت، ١٩٩٠م.

٢ . الإرشاد، محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي المعروف بالشيخ المفيد، تحقيق: مؤسّسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث، قم المقدّسة، ١٤١٣ هـ.

٣ . الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠٠٥م.

٤ . بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، العلامة محمد باقر المجلسي، دار الوفاء، بيروت.

٥ . تحقيق دربارہ اول اربعین حضرت سید الشهداء (تحقیق حول اربعین سید الشهداء)، السيد محمد علي القاضي الطباطبائي، تبريز، ١٣٩٧ هـ. ش. (فارسي).

٦ . دائرة المعارف الشيعية العامة، الشيخ محمد حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٩٢ م.

٧ . روح مصر القديمة، أنا رويز، ترجمة: إكرام يوسف، نشر: مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م.

٨ . الكشف عن حقائق التنزيل، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠٠١ م.

٩ . مجمع البيان في تفسير القرآن، الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، تصحيح: السيد هاشم الميلاني، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٨ هـ.

١٠ . المصباح المنير، أحمد بن محمد الفيومي، منشورات دار الهجرة، قم، ١٤١٤ هـ.

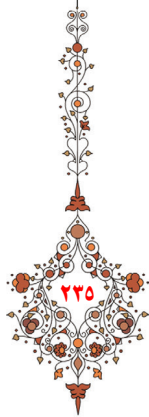
١١ . معالي السبطين في أحوال الحسن والحسين، الشيخ محمد مهدي الحائري المازندراني، منشورات الشريف الرضي، قم المقدسة، الطبعة الأولى، ١٤٠٩ هـ.

١٢ . مقتل الحسين أو حديث كربلاء، السيد عبد الرزاق المقرم، مكتبة بصيرتي، قم، ١٣٨٣ هـ.

١٣ . مقتل الحسين، الموفق بن أحمد بن محمد المكي الخوارزمي، تحقيق: الشيخ محمد السماوي، مكتبة المفيد، قم المقدسة.

١٤ . الملحة الحسينية، الشيخ مرتضى مطهري، الدار الإسلامية، بيروت، ١٩٩٠ م.

١٥ . مناقب آل أبي طالب، أبو عبد الله محمد بن علي ابن شهر آشوب السروي المازندراني، تحقيق: يوسف البقاعي، انتشارات ذوي القربى، قم، ١٤٢٧ هـ.

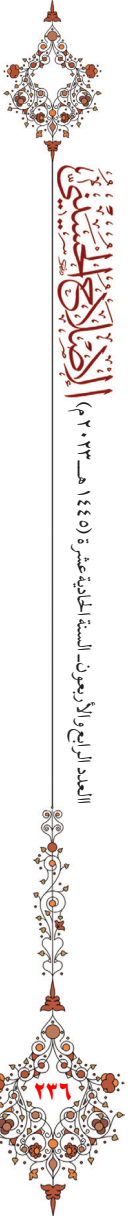


١٦ . موسوعة الثورة الحسينية، محمد نعمة الساعدي، دار المرتضى، بيروت، ١٩٨٨م.

١٧ . موسوعة المنبر الحسيني، ماجدة المؤمن، قم المقدسة، ٢٠٠٨م.

١٨ . موسوعة كربلاء، د. لبيب بيضون، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ٢٠٠٦م.

١٩ . ميزان الحكمة، محمد الري شهري، مؤسسة الإعلام الإسلامي، الدار الإسلامية للطباعة والنشر.



المسيرة الأربيعينية من منظور علم النفس الاجتماعي

راغدة حسن مراد

The Arbaeen Ziyara through the Lens of Social Psychology

Raghida Hasan Murad

ملخص البحث

ثمة سيورة محدّدة تُخرج الإنسان من عالم المادّة وتناقضات عالم الدنيا، هي فعل التسامي والتجرّد والروحانيّات، فالإنسان مجبول على الفطرة التوحيدية، وقلبه - على حدّ تعبير السيّد الخميني رحمته الله - مرآة ذات وجهين، يتّجه الأوّل منهما نحو عالم الغيب؛ حيث تتجلّى فيه الصور الملكوتية، ويتّجه الآخر صوب عالم المادّيات، فالدنيا بما فيها من منافع ومكاسب ضرورية لاستحصال أسباب المعيشة بطريقة واقعية، لديها خصوصيّات الجذب، بل والانغماس بملذّاتها حتّى النفس الأخير.

إنّ الانغماس بملذّات الدنيا الشهوية، حبّ المال، والسمعة والشهرة لحدّ التطرّف، والتكبرّ وتضخيم الذات، والعجرفة والتعدّي على خلق الله بالاستبداد والغطرسة والهيمنة، كلّها سلوكيّات تُبعد الإنسان عن نيل الكمالات المعنوية التي هي الجبلّة الأصيلّة في تكوينه، وجرّاء هذا البعد سوف يقع في الاضطراب والقلق وانعدام التوازن النفسي.

ولهذا؛ بات عليه إنقاذ النفس من أهوال هذا الانغماس عبر اللحاق بركب عالم الروحانيّات، وتحصيل الطمأنينة في بيئة وأجواء مثالية قلّ نظيرها على مستوى العالم ككلّ.

الكلمات المفتاحية: النفس، الكمال، التفاعل الاجتماعي، الإمام الحسين عليه السلام، زيارة الأربعين، العوالة.



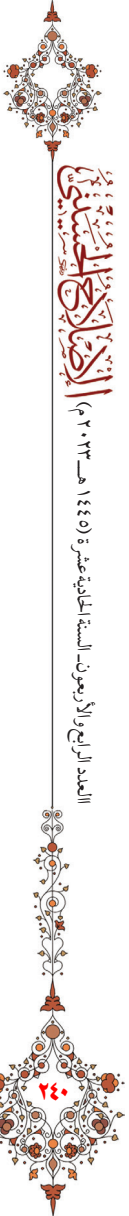
Abstract

There exists a specific process that frees humanity of the material world, and the contradictions of the current, a process rooted in transcendence, detachment, and spirituality. Human beings are inclined towards innately monotheism, and their hearts – as described by Sayyid Khomeini – are like a two-sided mirror. One side faces the unseen world, where the divine realities are manifested, and the other faces the material world. The material world – with its benefits and gains necessary for securing realistic means for livelihood – is filled with allure, rather it possesses such capability of attraction that can result in lifelong immersion in worldly pleasures.

The immersion and indulgence in the lusts of this world – such as the love of wealth, extreme pursuit of fame and reputation, arrogance, self-aggrandizement, and transgressions against Allah's creations through tyranny, dominance and oppression – are all behaviors that distance individuals from attaining moral perfection – man's original and natural composition. An absence of this perfection, leads to psychological turmoil, anxiety and a lack of emotional stability.

Thus, it becomes of utmost importance for humans to rescue themselves from the perils of such immersion by reaching the caravan of the world of spirituality, and by gaining tranquility within an ideal environment and atmosphere, rarely found elsewhere in the world.

Keywords: the self, perfection, social interaction, Imam al-Husayn (PBUH), Arbaeen Ziyara, globalisation.



مقدمة

من أهم الممارسات التقليدية التي عُتيت بها المجتمعات البشرية على مر التاريخ الإنساني هي ممارسة الطقوس الدينية في الأماكن التعبّدية، سواء أكانت هذه الطقوس ذات منشأ سماوي، أم ذات منشأ وضعي. فحالة الوصل مع هذه الأماكن تمنحها القداسة لتصبح فرضاً على المجتمع يُرتجى منه: الثواب، الشفاعة، الخلاص، التسامي، التقرب، التشافي. والمقصد إلى المعبد، أو الكنيسة، أو المسجد، أو المقامات، بلغ درجة من الشيوع حتى بات يمثل واحداً من الأنساق الثقافية في المجتمعات الدينية كافة.

والبحث في علم الانثروبولوجيا لم يتخذ موقف النقد أو الاتفاق مع المعتقدات الدينية للمجموعات البشرية، بل كان جلّ اهتمامه دراسة التفاعل الاجتماعي مع الواقع الديني، فكلّ ما يعتقد الناس أنّه ديني يُعتبر بنظر العلوم الاجتماعية دينياً، سواء أكان هذا المعتقد سماوياً، أم وضعياً.

أمّا على مستوى علم النفس الاجتماعي فهو يقدّم لنا نظرة عميقة وشاملة للسلوك البشري وتفاعلاته النفسية في السياقات الاجتماعية المختلفة.

ومن بين هذه السياقات برزت التجربة الإسلامية، وقد تميّزت عن سائر التجارب الدينية بتماسكها وثباتها ضمن منظومة سلوكيّات ذات قداسة خاصّة، منذ بعثة النبي محمد ﷺ وإلى يومنا هذا، فمراسم الحجّ المبارك في كلّ عام، وزيارة مرقد نبيّنا محمد ﷺ، وريادة المساجد للصلاة والعبادة في جميع أصقاع الأرض، أبلغ مثال على القوّة التواصلية والتفاعلية بين سائر المسلمين على مرّ التاريخ الإسلامي.

وفي نحو آخر مستقلّ -ضمن التجربة الإسلامية- وعند فئة مخصوصة من المسلمين



الذين هم موالون لمنهج أهل بيت النبي محمد ﷺ، ترسخت شعائر وتقاليد تفرّدوا بها عن المسلمين في العالم، ومن تمثّلات هذه الشعائر زيارة المشاهد المقدّسة للإمامين علي والحسين عليهما السلام وأبي الفضل العباس عليه السلام وسائر شهداء واقعة كربلاء المعظّمة، في العشرين من شهر صفر الهجري من كلّ عام في العراق، وتُسمّى زيارة الأربعين. تبرز زيارة الأربعين كحدث فريد من نوعه، حيث يتجمّع الملايين من الناس من مختلف الثقافات والخلفيات الاجتماعية؛ لأداء طقوس دينية، وللتعبير عن مشاعر الولاء والتعلّق بأهل البيت عليهم السلام.

وقد تحدّث عن ذلك صادق المخزومي في كتابه (سوسيولوجيا الزيارات عند الشيعة)، فقال: «يجدر بالذكر أنّ المسلمين الشيعة أضفوا على الجانب الاستجابي من الفريضة معنىً قيماً متسامياً في تقاليد الاجتماع الدينية، يتماهى ومعنى الشهادة التي وسمت رموزهم الدينية (أهل بيت النبوة)، وزاد معنى الزيارة قداسة ما اكتنفها من ظروف وفضاءات سياسية ودينية وبيئية عبر منحنيات التاريخ، حتى تنامت وعظمت وصارت من الظواهر الاجتماعية ذات المعطيات الأكسيولوجية (القيمية) التي تستحقّ أن تكون موضوعاً للبحث والتقصّي في الماهية والأسباب والنتائج»^(١).

تُعتبر زيارة الأربعين تجربة فريدة من نوعها على مستوى العالم ككلّ، تتضمّن جوانب عاطفية واجتماعية وروحية، ما يجعلها موضوعاً مثيراً للاهتمام من منظور علم النفس الاجتماعي، فتحليل هذه التجربة المعقّدة يكشف لنا العديد من الجوانب النفسية والاجتماعية التي تتعلّق بالفاعلات فيما بين البشر.

والتركيز على تجربة الفرد خلال زيارة الأربعين يمكّننا من فهم كيفية تأثير العوامل الاجتماعية، مثل: الإيمان، التواصل الاجتماعي والتفاعل بين المجموعات وتأثيره على سلوك الفرد وتجاربه الشخصية.

(١) المخزومي، صادق، سوسيولوجيا الزيارات عند الشيعة: ص ٥.

هذا؛ وسيكون من المثير للاهتمام في هذا السياق البحثي استكشاف العديد من الأسئلة، مثل:

- ١ . كيف يؤثر الجو الإيماني على سلوك الفرد خلال زيارة الأربعين؟
 - ٢ . ما هو دور التفاعل الاجتماعي في تشكيل تجربة الفرد خلال تلك الزيارة؟
 - ٣ . كيف تتشكل الهوية الجماعية المتدنية خلال زيارة الأربعين؟
- من خلال تحليل هذه الأسئلة سوف نسعى في هذا البحث إلى فهم عميق لزيارة الأربعين من منظار علم النفس الاجتماعي، وكشف التحديات والفرص التي تنطوي عليها التجربة الدينية والاجتماعية الفريدة.

المحور الأول: تأثير العوامل الدينية على سلوك الفرد خلال زيارة الأربعين

أولاً: الفطرة وأصالة الكمال

يقول الإمام علي عليه السلام: «إن النفس لجوهرة ثمينة، من صانها رفعها، ومن ابتذلها وضعها»^(١).

فإن النفس لها «أبعاد وجهات متعددة:

- ١ . جهة رشد ونمو مع نمو الجسد.
- ٢ . جهة حركة وشهوة وغضب كما في بقية الحيوانات، وهذا هو بُعدها الحيواني ...
- ٣ . جهة كمال؛ لأنها تدرك وتفكر وتعقل، وهذا هو بُعدها الإنساني، وهو أسمى المراتب الإنسانية وأرقاها»^(٢).

فالإنسان بالفطرة له مرتبة عالية من الكمالات الإنسانية، وحقيقة وجوده هي عالم الكمال والقدرة والمعرفة والرحمة، فهو موجود ملكوتي خلق عاقلاً ومختاراً وحرّاً.

(١) الريشهري، محمد، ميزان الحكمة: ج ٤، ص ٣٣٢٢.

(٢) جمعية المعارف الإسلامية الثقافية، مركز نون للتأليف والترجمة، دروس تمهيدية في تركية النفس:

والمجموعات البشرية على اختلافها مفطورة على عشق الكمال، وكل ما يحرك الإنسان ويدفعه في سكناته وحر كاته، وكل الجهود التي يبذلها، إنما هي نابعة من حبّ الكمال. وتشخيص الكمال بيد الإنسان، كلّ بحسب معتقده واختياره وأهدافه في الحياة، فأهل العلم ينهلون من صنوف العلم ويزدوبون في تحصيل المعارف، كالعطشان الذي كلّما شرب من ماء البحر زاد عطشاً، فكلّما فتحوا باباً من العلم ذابوا فيه وتلهّفوا لفتح أبواب وخزائن أخرى منه. فالكمال من وجهة نظرهم يكمن في سبر أغوار المعارف ومشاربها.

وأهل السير والسلوك والذائبون في الله تعالى لا يعيشون الكمال إلّا إذا كانوا كما عبّر الإمام علي عليه السلام: «ما رأيت شيئاً إلّا ورأيت الله قبله وبعده ومعه وفيه»^(١). فحبّ الله تعالى والتعلّق المطلق به استحوذ على وجدانهم إلى الدرجة التي منعته من رؤية أيّ شيء آخر غيره تعالى اسمه.

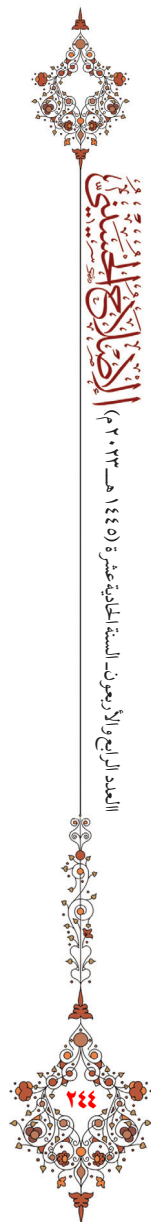
والمجاهدون في سبيل الله يعيشون في الدنيا غرباء مجهولون، فإذا نزلوا إلى ساحات الجهاد انقطعوا إلى الله عز وجل، فلا يحصلون على الرضا إلّا في الاستشهاد. إذا؛ فالكمال هو وجهة الإنسان وقبلته، كلّ بحسب معتقده وفلسفته في الحياة.

ثانياً: الذنوب والمعاصي وتأثيرهما على الفطرة وطلب الكمال

انطلاقاً من أصالة طلب الكمال عند الإنسان، يتوجّب عليه السعي الدؤوب لتحصيله، ولكنّ البعد الحيواني للنفس - الذي به تشكّل جميع الحاجات الشهوية والسلوكيات الغضبية - قد يحرف الإنسان عن الطريق السوي والغاية الفضلى من الخلق. والاهتمام بالنفس هو من الأمور الفطرية، ومن التكاليف الشرعية المنصوصة «ولنفسك عليك حقاً»^(٢)، فالدين يدعو إلى حبّ النفس وقيادتها للتسامي والرفعة

(١) القبانجي، حسن، مسند الإمام علي عليه السلام: ج ١، ص ١٥٠.

(٢) المازندراني، محمد صالح، شرح أصول الكافي: ج ٢، ص ٢٧٢.



ونيل رضا الرحمن تعالى، ولكنَّ حبَّ الشهوات والإسراف فيها، وإعمال كلِّ الجهود من أجل إشباعها، يمنع الإنسان من التحليق نحو مقام القدس الإلهي والكمال المطلق. وكلِّما انحرف الإنسان عن هذا المسار الفاضل انغمس في تلبية موبات النفس، وصُعِبَ عليه إرضاءها، مثل طلب المال والثروة، فحبَّ المال والسعي الدؤوب لتحصيله بأيِّ طريقة كانت، كفيل بانغماس الإنسان في مستنقع الرذيلة والمعاصي والمحرمات بجميع أشكالها؛ فالشيطان يتبع مع الإنسان سياسة تدرجية حتَّى يوقعه في الانحراف الكبير.

فتكديس المال وصرف الجهد والعمر من أجل تحصيله، يوجب على الإنسان - إن لم يكن متدينّاً - توهين المنظومة القيمية التي حدّتها الشريعة، وأوّل درجات التوهين تحليل الربا، ثم قد يتجرّأ إلى الاتّجار بالمنوعات، ويتجاوز ذلك إلى التجارة بالبشر والأعراض (تجارة الجنس) من أجل إشباع الحاجات المنحرفة الكامنة فيه.

وبما أنَّ الإنسان مفطور على حبِّ الكمال فسوف يؤثّر عليه الانغماس بالذنوب والمعاصي، وأوّل هذه التأثيرات الشعور بالقلق والاضطراب النفسي، يقول السيّد الخميني عليه السلام: «إنَّ القلب الذي يثقل بالذنوب والمعاصي ويتعد عن الله، يصبح مكاناً للقلق والاضطراب»^(١). والإنسان المسلم - تحديداً - يعاني من تداعيات السلوك المحرّم والمعاصي، بل حتّى غير المسلم يعاني ذلك أيضاً.

والحضارة في الغرب والرأسمالية المتوحّشة أفرغت الإنسان من كلّ قيمه الأخلاقية والإنسانية، وأفقدته الاستقرار النفسي، والاطمئنان القلبي، والسلامة الروحية، منذ إعلانها الحرب على الدين. فبالانفكاك عن الوحي السماوي أصبح الإنسان هو معيار ذاته، وفُقدت المنظومة الأخلاقية الموضوعية، وسادت الذاتية التي أباحت كلّ شيء للإنسان، وسادت العيشة والنفعية والمصلحة إلى درجة عالية لا

(١) الخميني، روح الله، الأربعون حديثاً: ص ٩٥.



تحدّها آية حدود.

فالإنسان الذي كرّمه الله تعالى، وأسجد له الملائكة، وسخر له ما في الأرض جميعاً، قد أصبح في ظلّ هذه الحضارة عبداً للآلة وترساً للمصنع، روحه مكبّلة في سجن المادّة، لا يتغلّب على مآسيه إلّا بما يهلك بدنه، ويسلب روحه من مسكر يشربه، أو مخدّر يتعاطاه؛ لذلك كان ثمة تناسب بين ظاهرة الخواء الروحي وبين زيادة معدلات الانتحار.

يقول السيّد الخميني رحمته الله: «إنّ الذنوب تولّد في النفس خوفاً مستمراً من العقاب، وهذا الخوف يتحوّل إلى قلق يعكّر صفو الحياة»^(١).

إذا؛ فالصراع بين الفطرة السليمة وبين السلوكيّات المحرّمة والمعاصي، سوف يتجذّر في الشخصية ليمتظهر على شكل مشاعر القلق وعدم الاستئناس بالعيش.

ثالثاً: التوبة وتأثيرها على سلوك الإنسان

في خضمّ الصراعات التي يتعرّض لها الإنسان نتيجة الانغماس في المعاصي، فإنّه يعيش حالة من الصراع ما بين الخير والشرّ، فتسيطر - من جرّاء ذلك - عليه حالات الاضطراب والاعتراب النفسي عن الأمور المعنوية المتأصلة بالفطرة السويّة. فمظاهر القلق والاضطراب لا تزول عن الإنسان إلّا بالرجوع إلى مصدر الفيض الإلهي الذي يولّد الطمأنينة والراحة، يقول الله تعالى: ﴿قُلْ يَبْعَادَى الَّذِينَ أَشْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾^(٢)، ويقول أيضاً: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(٣).

فالتوبة والرجوع إلى الله كفيلاّن بإمداد الإنسان بآليات التغلّب على القلق؛ فإنّ

(١) الخميني، روح الله، جهاد النفس: ص ١٢٠.

(٢) الزمر: الآية ٥٣.

(٣) النور: الآية ٣١.

التوبة أمر عظيم في الإسلام، وهي نعمة جلييلة أنعم الله بها على عباده؛ إذ منحهم فرصة مراجعة الحساب، وتدارك ما فات من أجل النجاة من المهلكات يوم القيامة، وبالتالي فهي راحة من تداعيات تلوث روح الإنسان بالذنوب والمعاصي. والبيئة الاجتماعية مهمة في تحصيل التوبة وتوابعها، فلا يشعر الإنسان بحسن التوجه إلى الله تعالى إلا في مواطن مؤازرة لهذا التوجه، وخير هذه المواطن ما بينه تعالى في محكم كتابه بقوله: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ، يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾^(١).

ومراقدة أئمتنا العظام عليهم السلام هي أعظم الأماكن للعودة إلى الله تعالى، واختبار حالة القرب بعد العزم على التخلي عن كل ما لوث الروح والنفس وأذاهما على المستوى الباطني، «يرى الشهيد الأول أنّ زيارة أضرحة المؤمنين والاستئناس بأرواحهم، والسلام عليهم، والتكلم معهم، والاستغفار لهم، سنة نبوية. وأمّا الحضور في المشاهد المقدسة، وفي بيوت دُفن فيها رسول الله وأوصيائه - صلوات الله عليهم - التي تتعلّق بها أطايب النفوس الملكوّية، وتختلف إليها الملائكة الرحمانية، فهو - بعد زور بيت الله الحرام - عظيم، وتعظيم لشعائر الله، وأنّه من المودّة في القربى التي جعلها الله أجر الرسالة، ومن مظاهر الولاية التي أتمّ الله بها نعمة الهداية»^(٢).

وعن الصادق عليه السلام قال: «ما أتى قبر الحسين بن علي عليهما السلام مكروب قطّ، إلا فرّج الله كربته، وقضى حاجته»^(٣).

وعنه عليه السلام أيضاً: «إنّ في طين الحائر الذي فيه الحسين عليه السلام شفاء من كلّ داء، وأمان من كلّ خوف»^(٤).

فزيارة المراقدة الشريفة - وخصوصاً مرقد الإمام الحسين وأخيه أبي الفضل

(١) النور: الآية ٣٦.

(٢) المخزومي، صادق، زيارة الأربعين دراسة سوسولوجية ميدانية: ص ١٢٤.

(٣) المصدر السابق: ص ١٢٨.

(٤) المصدر السابق: ص ١٣٤.

العبّاس عليه السلام - وما فيها من بثّ المعنويّات عند الإنسان، تُفعل فيه عملية تجديد معنوي شخصي، فتنفّس الكرب، وتقضي الحوائج، وتكون ذخراً للمؤمن التائب في إكمال مسيره المعنوي نحو الكمال.

وزيارة الأربعين تحديداً لها خصوصية متفرّدة بامتياز، فالتفاعل الاجتماعي الكبير بين الزوّار الوافدين، وبين السكّان المحليين الذين يبذلون الغالي والنفيس في خدمة الزوّار، إضافة إلى العاملين على خدمة الزوّار في المشاهد الشريفة، كلّ ذلك يفرض حالة غير متوقّعة، يصعب تفسيرها عند الزوّار. تقول هولندية - مسلمة حديثاً - خلال سيرها في طريق الزيارة من النجف الأشرف إلى كربلاء المقدّسة في يوم الأربعين: «إنّ المشي في هذا الطريق لأمر خاصّ جدّاً، ويشعّرنى بشيء يسير من حال السيّدة زينب عليها السلام. لا يحظى الإنسان بهذه المشاعر والروحانية في أيّ مكان آخر، فالسكينة المتوقّرة في هذا الطريق لا توجد في مكان آخر من العالم»^(١).

وتقول سيّدة أميركية في الصدد ذاته: «إنّه لسفر معنوي، وتجسيد للحبّ الذي تذوب أمامه الصعاب والآلام، فلا أهميّة لها هنا»^(٢).

فطوبى لمن نجا من ظلمات هذه الدنيا ومن شدائدّها وفاز بالرضوان يوم القيامة.

المحور الثاني: دور التفاعل الاجتماعي في تشكيل تجربة الفرد خلال زيارة الأربعين

زيارة الأربعين هي حدث ديني كبير، يجتذب ملايين الناس من مختلف أنحاء العالم إلى مدينة كربلاء في العراق؛ لإحياء ذكرى أربعين الإمام الحسين عليه السلام، ويتّسم هذا الحدث بتشكّل تجمّعات هائلة من الناس، ما يجعل التفاعل الاجتماعي عنصراً أساسياً في تجربة الزائرين.

(١) مجلّة بقية الله، السنة السابعة والعشرون، ٢٠١٧م، العدد ١٤، الأربعين في ذكريات الزوّار:

هذا؛ وتُبدل جهود كبيرة في إحياء هذا الحدث الاستثنائي ضمن نشاط جماهيري تُشارك فيه كلّ الفئات والطبقات في المجتمع العراقي، فينصهر المجتمع ضمن منظومة موحّدة تتلاقح فيها القيم الأصيلة، مثل: الضيافة، الخدمة، المساعدة، التضامن، ونحو ذلك؛ ممّا يضيف على الأجواء مشاعر المحبة والسلام، مقابل مشاعر القلق الذي أحدثته العولمة والحادثة.

أولاً: العولمة وتأثيرها على الفرد

في زمن العولمة والرأسمالية المتوحّشة، سادت الفردانية والذاتية وتجذّرتا في الشخصية، فانهارت العلاقات الاجتماعية والرحمة بشكل خاصّ؛ ونتيجة القطيعة مع الدين شهدت المجتمعات زيادة الانحلال الأخلاقي والانحراف عن القيم والمبادئ الأخلاقية والقيمية، وعزّزت وسائل التواصل الاجتماعي الفردانية التي عمّقت مشاعر الوحدة والاعتزّاب النفسي عند الإنسان، «إنّ تعزيز الفردية المطلقة وخلق المسافات بين البشر، هو المقدّمة الطبيعية لانتشار الأمراض النفسية، والفرد لا يمكن أن يعيش بمعزل عن المجتمع، ولا يمكن الفصل بين الفرد والمجتمع. فالفردية هي أساس للأمراض النفسية والاضطرابات النفسية»^(١).

إنّ الرأسمالية فشلت كنظام اجتماعي بسبب الغرق في الركود الاقتصادي، والعالم الغربي اليوم يُسجّل أعلى معدلات البطالة، والأعمال غير المستقرّة، والفقر، والتشرّد. وسمّي هذه المرحلة (بيلامي فوستر) بـ(دوامة الموت)، «بيلامي فوستر لخص فقط بعضاً من نتائج النظام الرأسمالي وآثاره السلبية على الإنسان، فبالإضافة إلى ظهور الطبقة، وتوسيع الشروخ بين الأغنياء والفقراء، واستغلال العمّال من أجل الربح، وارتفاع مستويات البطالة، تطرّق علماء وباحثون وفلاسفة كثر عبر العالم إلى

(١) الجندي، د. فراس، وَهْمُ الحرّية والاضطرابات النفسية في المجتمع الرأسمالي، الخطّ الأمامي، ٢٦

التأثيرات الناتجة عن هذا النظام، والتي مسّت حياة الإنسان النفسية والاجتماعية، وأدخلته في دوامة الإنتاج والاستهلاك، وسلبته حقوقه وسعادته»^(١).

«في يناير من العام ٢٠٢٠ قدّرت منظّمة الصحة العالمية عدد المصابين بالاكْتئاب عبر العالم بأكثر من ٣٠٠ مليون شخص من جميع الأعمار، ٨٠٠ ألف منهم يموتون جرّاء الانتحار. وقالت المنظّمة: إنّ من عانوا من أحداث حياتية صعبة، وأهمّها البطالة والصدمات النفسية، هم الأكثر تعرّضاً للاكتئاب»^(٢).

والاكْتئاب يُسيطر على الشخصية بطريقة حادّة أكثر؛ بسبب انقطاع العلاقات الاجتماعية، والعلاقات الرحمة بصورة خاصّة في المجتمع.

إنّ المجتمع الغربي يفقد روح العائلة والأجواء العاطفية والإنسانية، فقد يخرج الأبناء من بيوت آبائهم في سنّ الثامنة عشرة إلى غير رجعة؛ والسبب يعود للنظام الرأسمالي الذي أسّس للحريّة الشخصية، والاستقلالية الماديّة، والانفصال عن الأسرة بعد تفكيكها، وتدمير الولاية الأبوية داخلها، وفي هذه الحال إذا أخفق الأبناء في حياتهم المستقلّة قد يعيشون في الشوارع، ولا يجدون الداعم والسند بعد ذلك.

ولم يقتصر النظام العالمي الجديد (العولمة) على صناعة الإنسان المضطرب والمتأزّم نفسياً، بل تعدّت قوانينه المشوّهة على نظام الفطرة عند الإنسان، فغدا منفصلاً عن فطرته السليمة، بل أكثر من ذلك وصم بالتخلّف والرجعية نتيجة التمسك بها.

وعملت القوانين الدولية (منظّمة الأمم المتّحدة) على تفكيك نظام الأسرة والتلاعب بقديسيّتها، «ففي تقرير هيئة الأمم المتّحدة الذي أصدرته عام ١٩٧٥ م بمناسبة العام العالمي للمرأة، اعتبرت أنّ الأسرة بمعناها الإنساني المتحضّر، لم يعد لها وجود إلّا في المجتمعات الإسلامية، رغم التخلّف الذي تشهده هذه المجتمعات في شتّى المجالات الأخرى... لذا لم يُخفِ (آري هوفمان) - ممثّل صندوق السكّان في الأمم المتّحدة

(١) كريمة أحدات، كيف جعلت الرأسمالية الإنسان أكثر تعاسة

<https://www.trtarabi.com/explainers>.

(٢) المصدر السابق.

UNFPA في هولندا - سعادته الشديدة بانهيار الأسرة على المستوى العالمي، حيث قال في المكسيك: إن ارتفاع معدلات الطلاق، وكذا ارتفاع معدلات المواليد خارج نطاق الأسرة يُعدّ نصراً كبيراً لحقوق الإنسان على البطيركية»^(١).

ولا يخفى على الجميع تداعيات النظام الرأسمالي على المجتمعات العربية والإسلامية جميعها، فالفرد في هذه المجتمعات يثّن تحت وطأة الهيمنة الاقتصادية للدول الكبرى التي أنتجت الفقر والبطالة والتفكك الاجتماعي والحروب، ما أبقاه في حالة التخلف وضياح الهوية. وعن ذلك يتحدث (برهان غليون) في بحثه (العولمة وأثرها على المجتمعات العربية): «لم يعدّ للفرد من مرجعية في توجيه حياته وسلوكه سوى المصالح الفردية وتضخيم معايير الحياة الشخصية، لم يعدّ هناك في عصر العولمة العربية وجود فعلي لمواطنين ولا لوطنيين ولا لمؤمنين، وإنما مئات ملايين من المستهلكين فحسب»^(٢).

وفي إطار هذه الحالة الاجتماعية المعطّلة للإرادة الإنتاجية، يزرع الفرد تحت وطأة انعدام الثقة بالنفس، والإحساس بالتهميش الاجتماعي والاعتراب النفسي. إنّ هذا الفرد المأزوم والقلق، والمنفصل عن نظام الفطرة المتأصل فيه، إذا ما تواجد في بيئة صحيّة (مجتمع زيارة الأربعين) - الذي هو ذو مستوى عالٍ من الأخلاقية والقيمية والروحانية - فإنّه سوف يتعافى تدريجياً من أزماته واضطراباته النفسية والشخصية.

ثانياً: التفاعل القيمي بين الزائرين وتشكّل قيم روح الجماعة

«إنّ ذوبان الشخصية الواعية للأفراد، وتوجيه المشاعر والأفكار في اتجاه واحد، يُشكّل الخصيصة الأولى للجمهور الذي هو في طور التشكّل»^(٣).

(١) سيّدة محمود محمد، الأسرة والتحدّيات المعاصرة: ص ١.

(٢) برهان غليون، العولمة وأثرها على المجتمعات العربية: ص ٢٤.

(٣) غوستاف لوبون، سايكولوجية الجماهير: ص ٥٤.

فتلاقح القيم بين الجماهير الوافدة والمضيفين في محضر زيارة الأربعين، ينتج إشارات ودلالات تعكس هالة هذه القيم. هذا التفاعل القيمي يعزز شعور التضامن والأخوة بين الزوّار، ما يُسهم في خلق بيئة داعمة تُسهم في تحسين التجربة الشخصية للزائرين، وهذا ينعكس إيجاباً على الحالة النفسية والانفعالية عندهم على اختلاف مشاربهم ومساراتهم السلوكية، فيشيع بينهم حبّ النظام واحترامه كأنّه قانون مفترض - يكاد يكون نمطاً من الأنماط المثالية للفعل - قائمٌ على خلفية توجّهه بقيم: أخلاقية، دينية، واجتماعية؛ ولهذا «يُشكّل هذا التفاعل محاولة جادة لاكتساب قيم جديدة، نحو: قيمة خدمة الآخرين، وقيمة الانضباط الشخصي، بما يتساق مع سيرورات الزيارة، ومثالية سلوك مجتمعه الديني، كتجربة أخلاقية وإنسانية، ترسم شخصية الفاعلين، فضلاً عن أنّها تُضفي عليهم سمات مهارية مشحونة بالطاقة، مثل قابلية التحمّل، وعدم الشعور بالتعب والرهق مهما صعب الأداء، وفي الوقت ذاته باكتساب قيم أخرى، تحقّق معنى وجودي وإنساني، تفرغ شخصية الفاعلين من عادات مكتسبة من البيئة الاجتماعية، ملاكها التمظهر، وخلوّ المعنى أو ضعفه»^(١).

فليس جميع الحاضرين في هذا المسير هم من المتديّنين، فقد تَفدّ فيه - مثلاً - نساءٌ لا يلبسنَ حجاباً في بلدانهنّ الأمّ، وقد يتواجد شبّان ونساء يستمعون للأغاني، وقد لا يؤدّون فريضة الصلاة، حتّى إنّهُ قد يفدّ لشهادة هذا التجمّع العظيم من هم من غير المسلمين، ولكن مع وجود التباين بين هذه المجموعات، على مستوى العقيدة والثقافة والسلوكيّات، نرى أنّها تتحدّ في ضبط اجتماعي موحد لا متناهٍ، يضمن التكيف الاجتماعي بأعلى مستوياته.

وكثير من الأفراد يبذلون جهوداً جبّارة من أجل تنمية التفاعل الاجتماعي لديهم في هذه الزيارة، فهم - مثلاً - يسعون إلى خفض السلوك العدواني الذي نشؤوا عليه

(١) المخزومي، صادق، زيارة الأربعين دراسة سوسولوجية ميدانية: ص ٢٧٩-٢٨٠.

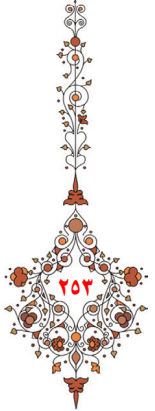
تماهياً مع الحالة المعنوية والقيمية للزائرين. وتنخفض معدلات السرقة والخلافات الشخصية أيضاً بالرغم من توفر أسبابها في شدة الازدحام، وكثرة الاحتكاك في بيئة الزيارة، ليتأكد لنا حينئذ انعكاسات الزيارة على روحية هذا الزائر الحسيني الواعي، وعلى نفسيته المشدودة باتجاه دين الفطرة الأصيل.

ومن القيم العظيمة في هذه المسيرة المليونية قيمتا التضامن والدعم الاجتماعي، فالمجتمع العراقي يسطر أروع صور الكرم، وأعظم قصص الضيافة في المتخيل العربي؛ إذ يقدم العراقيون ما غلا ثمنه وطاب نوعه من المأكّل والمشرب، ويفتحون بيوتهم للزائرين عن طيب نفس؛ تقرّباً لأهل بيت الرسول ﷺ.

في هذه الأيام القليلة من الزيارة تتجلى ظاهرة التضامن الاجتماعي في أبهى صورها، حيث إنّ أصحاب الأرض يفعلون هذه القيمة كلّ بحسب قدرته وموقعه ودوره، فالتضامن روح تجسّد القيم الإنسانية لهذه الجماعات الغفيرة، وقلب ينبض في البنية الاجتماعية، ويتكرّس الإيمان بالقضية إلى مستوى التماهي المقدّس على نحو يسرّ الزوّار ويجتذبهم، فيُصبح مسؤولية تقع على عاتق الأفراد الفاعلين والجماعات المشاركة في الزيارة، ساعين من وراء ذلك إلى إيصال رسائل قيمة عالية المضامين، أعظمها الولاية لأهل بيت الرسول عليهم أفضل الصلاة والسلام.

فالأفراد بحسب (دوركهايم) في نظرية (الروح الجمعية) يفقدون هويّتهم الفردية المستقلّة في الإطار الاجتماعي - ولو بشكل نسبي - في غضون المثيرات الدينية، امثالاً لميكانيزم العقل الجمعي؛ لأنّ التأثير الوظيفي للظاهرة الاجتماعية يبعث على النمو والقوّة حين الحشد والاجتماع، من دون وعي المتفاعلين بذلك^(١)، ففي هذه البيئة التضامنية تتحرّر الطاقة النفسية للأفراد بقوّة من مكانها، لتتجلى السلوكيات الأخلاقية والروحية المتأصلة بالفطرة.

(١) أنظر: المخزومي، صادق، زيارة الأربعين دراسة سوسيولوجية ميدانية: ص ٢٩٦.



بالرجوع إلى الفرد المأزوم؛ أن للبيئة الاجتماعية دوراً مهماً في شخصية الفرد، فعندما يوجد في بيئة اجتماعية صحيّة ومثمرة، فإنّ ذلك ينعكس إيجاباً على شخصيّته ونفسيّته وعلاقاته مع الآخرين؛ وعليه فهذه الزيارة تبثّ في الزائر طاقة حيوية قادرة على نقله من الحالة السلبية الى الحالة الإيجابية، ومن النظرة التشاؤمية للحياة، وإحساس الدونية، وعدم الرضا عن الذات، إلى الشعور بالاطمئنان والسكينة والراحة النفسية. فالوحيدون في هذه الدنيا، والفاقدون للحبّ والتقدير والاهتمام في بلدانهم سوف يختبرون الإنسانية في أبهى صورها في هذه الأراضي المقدّسة، وبين هؤلاء المتفانين في تقديم الخير والدعم والتضامن تقريباً لإمامهم العظيم الحسين عليه السلام وإخوته وأصحابه الشهداء رضوان الله عليهم.

فالمواقف الراقية التي يسطّرها العراقيّون في طريق (المشّاية) أمام الزوّار القادمين من مختلف أنحاء العالم، ومن مختلف الشرائح والطبقات الاجتماعية، ومن مختلف الثقافات، لا يستطيع أيّ عقل استيعابها، فالعقل الجمعي قد يتسامح ويستوعب قيمة الكرم، ومظاهر تقديم الطعام والشراب، والطبابة بالمجانّ للزائرين، وقد يتوقّع سلوكيّات الترحيب، وتأمين أمكنة بسيطة للراحة، ولكنّ العراقيّين تفانوا في تقديم الخدمات بطريقة قلّ نظيرها، والمشاهدات العينية للزوّار أكّدت أنّ كثيراً من المضيّقين يعمدون إلى غسل أقدام الزوّار وإجراء تدليك لها، وقد يقبلون أقدام العجائز والمرضى المشاة، وكلّ ذلك محبة للإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته الأطهار عليه السلام. وهذه المواقف غاية الجود أمام الزائر.

وتجدر الإشارة إلى أنّ جميع الزوّار سواسية في هذه التظاهرة العظيمة، فالمسلم وغير المسلم سواسية، والمتديّن وغير المتديّن سواسية، والعربي وغير العربي سواسية. ولا تقتصر آثار الزيارة وبركاتها على البعد الروحي أو المعنوي للأفراد فقط، بل تمتدّ إلى الأبعاد الأخرى، كالبعد الأخلاقي والاجتماعي والثقافي؛ إذ يتيح هذا التجمهر الكبير للزوّار تبادل المعارف والخبرات، فالزوّار بشتّى خلفيّاتهم الثقافية

والاجتماعية سوف يتعرّفون على الدين الإسلامي - ولو معرفة سطحية - إضافة إلى تعرّفهم على نهضة الإمام الحسين (عليه السلام) وأهدافها، ممّا يساهم في تعزيز الوعي الثقافي والديني.

يُضاف إلى ذلك أنّ هذه التجربة الدينية والاجتماعية الفريدة من نوعها سوف تُساعد في بناء علاقات شخصية بين الزائرين أنفسهم، وبينهم وبين المضيفين لهم أيضاً؛ ممّا يُساهم في تشكيل ذكريات جماعية تعزّز الروابط الاجتماعية التي قد تتسم بالاستمرارية، فتتيح التواصل فيما بينهم حتى بعد انتهاء موسم الزيارة.

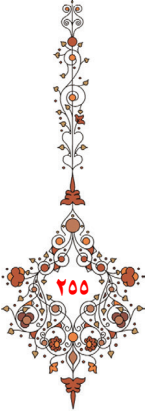
ونتيجة هذا التواصل والتفاعل الاجتماعي الإيجابي من خلال المشاركة بالأنشطة الجماعية التواصلية والتضامنية، هي التأثير في تهدئة النفس، ممّا يعزّز الشعور بالأمان والراحة. وهذه الروحانية القيمة العالية هي غاية الرجاء من الزيارة الأربعينية المباركة.

المحور الثالث: تشكّل الهوية الجماعية المتديّنة خلال زيارة الأربعين وأثرها في التحرّر والثورة

تُعتبر زيارة الأربعين واحدة من أكبر التجمّعات الدينية في العالم، حيث تتشكّل خلالها هوية جماعية متديّنة، ما يُعزّز وحدة الفكر والمشاعر بين الزوّار، ووقوفهم صفّاً واحداً للتحرّر من كلّ أنواع الظلم، ومواجهة حكام الجور ودعاة الانحراف والثورة ضدهم.

أولاً: تشكّل الهوية الجماعية المتديّنة خلال زيارة الإمام الحسين (عليه السلام)

يقول (غوستاف لوبون): «ففي بعض الظروف المعينة... يمكن لتكتّل ما من البشر أن يمتلك خصائص جديدة مختلفة جداً عن خصائص كلّ فرد يشكّله، فعندئذٍ تنطمس الشخصية الواعية للفرد، وتُصبح عواطف وأفكار الوحدات المصغّرة المشكّلة للجمهور موجّهة في نفس الاتجاه، وعندئذٍ تتشكّل روح جماعية عابرة ومؤقتة بدون





شكّ، ولكنّها تتمتّع بخصائص محدّدة ومتبلورة تماماً. وعندئذٍ تُصبح هذه الجماعة ما سأدعوه بالجمهور المنظّم؛ نظراً لعدم امتلاكها مصطلحاً آخر، أو قل: إنّها تصبح جمهوراً نفسياً (سايكولوجياً)؛ إنّها تُشكّل عندئذٍ كينونة واحدة، وتصبح خاضعة لقانون الوحدة العقلية للجماهير^(١).

إنّ التواصل الجماعي الكبير بين الزوّار يُحدث تفاعلاً عظيماً فيما بينهم من خلال أداء الطقوس المشتركة، المسيرات الطويلة، الصلوات الجماعية، والجلسات الثقافية، إضافة إلى تبادل المساعدة والدعم؛ حيث يقدّم الناس الطعام والمأوى والماء والطبابة بعضهم لبعض، ممّا يعزّز مشاعر الأخوة والتضامن والروابط الاجتماعية بين الزوّار. إنّ جميع هذه التمثّلات القيمية العالية المضامين تشكّل الهوية الجماعية المتديّنة ولو بمستوى آني وظرفي، فبالرغم من وجود بعض أوجه التباين بين الزوّار، مثل التباين العقائدي والثقافي والسلوكي، حيث يفد الجميع من مختلف أنحاء العالم، ولهم تقاليدهم وثقافتهم وعقائدهم التي قد تتغير مع عقائد وثقافة وسلوكيّات مذهب أهل البيت عليه السلام، بالرغم من كلّ هذا نرى أنّ هذه الاختلافات تندثر في مدّة زمنية محدّدة، لتُشكّل وضعية نفسية متماهية مع الحالة الروحية للمناسبة، وتوجد حالة من الهدوء النفسي - قلّ نظيرها - عند الزوّار، تخشع لها جوارح المتعبين والمضطربين والمأزومين في العالم. وعندما نعبّر بـ (تشكّل الهوية الجماعية المتديّنة) لا نقصد أنّ الزوّار غير المسلمين سوف يمثلون لأداء الصلوات اليومية التي يؤدّيها المسلمون، بل القصد بهذا التعبير أنّهم سوف يرتدّون إلى الفطرة التي فطرنا الله عليها، وفي هذا المسير قد يتأثّر الكثيرون، فيتمسّكون بروح الإيمان الإلهي في بلدانهم.

وضمن هذا الامتثال للمنظومة الدينية المقدّسة، يقول المخزومي في كتابه: «أرست طبيعة هذا الامتثال مضامين ومعطيات، تمحورت حولها شخصية الطائفة

(١) غوستاف لوبون، سايكولوجية الجماهير: ص ٥٣.

[الشيعية]، من قبيل تكيّف أفرادها وتلاؤمهم على حدّين: داخلياً، مع المعتقد الديني، وما يرشّحه من معانٍ ودلالات رمزية. وخارجياً، مع المجتمعات المحيطة به، من خلال توظيف القيم الدينية في التواصل مع الآخر والتعايش معه، ضمن مشروع ديني أوسع، أي إنّها تمكّنت من تنظيم هوية مميزة لها من جانب، ولها وجود مؤثّر في البيئة الدينية بعامة، فعلى صعيد المسار الروحي، قال (بدوي): إنّ للشيعة أكبر الفضل في إغناء المضمون الروحي للإسلام، وإشاعة الحياة الخصبية القوية العنيفة التي وهبت هذا الدين البقاء قوياً عنيداً قادراً على إشباع النوازع الروحية للتقوى، حتّى أشدها تمرّداً^(١).

إنّ إحياء الشعائر الحسينية يمثّل الطريق الناجح لبناء الاستقرار الأخلاقي والنفسي للشخصية الإنسانية، كما أنّه يشكّل حصناً منيعاً للحفاظ على الهوية الإسلامية أمام توحّش الرأسمالية وعواصف العولمة ورياحها العاتية، والباعث على هذا هو وجود حالة التأسّي بالإمام الحسين (عليه السلام) الذي وقف ضدّ الظلم الأموي، وقَدّم روحه وأرواح إخوته وأبنائه وأصحابه قرباناً على مذبح الدين والعقيدة والحرّية.

ثانياً: نهضة الإمام الحسين (عليه السلام) وزيارته المباركة شعلة التحرّر والثورة

مع جملة الضغوط السياسية التي مارسها الحكّام (المسلمون) على الشيعة على مرّ التاريخ الإسلامي من أجل طمس ذكر أهل البيت (عليهم السلام)، وتحديدًا ملحمة عاشوراء العظيمة، فقد بقيت منارة عالية وشعلة مضيئة بيد المؤمنين الشرفاء المناهضين للظلم والاستبداد.

فالسلاطين والملوك الذين حكموا البلاد الإسلامية، سعوا إلى إشاعة ثقافة مضادّة للنهضة الحسينية في السواد الأعظم من الناس، فوضعوا الأحاديث والروايات عن كون يوم عاشوراء هو يوم عيد، وأنّه بركة؛ ليعدل الناس عن الحزن والبكاء وإقامة المآتم، إلى الفرح والسرور والتبرّك به.

(١) المخزومي، صادق، زيارة الأربعين دراسة سوسولوجية ميدانية: ص ٣٤٨.

وعمدوا إلى مواجهة الجمهور الحسيني بالجفاء والإنكار والاستبعاد، إلى درجة الإفقار والعوز وطلب الحاجة. ثم في مراحل أكثر تطرفاً وإفساداً قاموا بترهيب هذه المجتمعات، ووصل بهم الأمر إلى المطاردة ثم القتل العمدي.

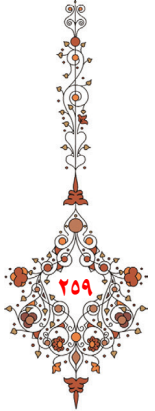
والتاريخ يتحدث عن أبرز هذه الممارسات التعسفية بحق زوّار الإمام الحسين (عليه السلام)، كغزوة الوهابيين سنة ١٨٠٢ م لمدينة كربلاء المقدّسة، حيث استباحوا جيوشهم المتوحّشة المدينة، فأمعنوا فيها القتل والتدمير والنهب، حتى وصل عدد الشهداء إلى ٥٠٠ شهيد، ثم أحرقوا المرقد الشريف بعد أن سرقوا جميع ما فيه من نفائس وكنوز.

كلّ هذه السلوكيات مورست من أجل الحدّ من تأثير هذه الشعيرة في التوعية المفضية إلى رفض الظلم والجور، والتحرّر من جميع صنوف الاستبداد، فبالرغم من أنّ هذه الشعيرة هي دينية بقصد التقرب من أهل بيت النبي محمد (صلى الله عليه وآله) ومودّتهم والتماس شفاعتهم المباركة، فهي شكّلت ركيزة عظيمة يعتمد عليها الدين الإسلامي، فالشيعة - كما تقدّم - لهم أكبر الفضل في إغناء المضمون الروحي للإسلام، وإشاعة الحياة الخصبّة القويّة العنيفة التي وهبت هذا الدين بقاءه القوي العنيد، ولولاهم لبقى متحجّراً في قوالب جامدة^(١).

ومن هنا؛ كان شعار (هيهات منّا الذلّة) مفتاح عبور للحرية، ومؤسّساً لنهج رفض الظلم، ومنهجاً للثورات في العالم.

وقد شكّلت جبهة الثورة العراقية - انطلاقاً من هذا الشعار العظيم - ثورة العشرين بقيادة المرجع الكبير الميرزا محمد تقي الشيرازي في كربلاء المقدّسة، بعد إعلان الفتوى التاريخية له، وهي تحريم انتخاب غير المسلم لحكم البلاد، حيث ورد في هذا الصدد: «ليس لأحد من المسلمين أن ينتخب غير المسلم في الإمارة والسلطة على

(١) أنظر: المخزومي، صادق، زيارة الأربعين دراسة سوسيولوجية ميدانية: ص ٣٤٨.



المسلمين»^(١). وقد أعلنت هذه الفتوى إثر قرار فرض بريطانيا تعيين المفوض السامي (السير برسي كوكس) رئيساً للحكومة العراقية، فأعلن الجهاد المسلح ضد القوات البريطانية المحتلة من أجل التحرر والاستقلال.

وفي تاريخنا المعاصر سطر أبطال العراق الأحرار أروع بطولات المقاومة للاحتلال الأمريكي والجماعات الإرهابية، وبذلت المهج في سبيل إعلاء كلمة الحق ليُمسي العراق منارة للشوّار والأحرار.

وفي لبنان كانت نهضة الإمام الحسين عليه السلام شعلةً وضاء تنير عتمة الجنوب اللبناني الحالك، لتكرّس طريقاً مزهراً بآلاف الشهداء في سبيل تحرير التراب المقدّس من العدو الإسرائيلي الغاشم.

أمّا في فلسطين؛ وتحديداً قطاع غزّة، وعملية طوفان الأقصى التي زلزلت عرش العدو الإسرائيلي، وسطّرت أعظم ملاحم البطولة والإباء، فقد كان استلهاماً من شعار (هيهات منّا الذلّة).

وقبل هذا؛ فقد كان شعار السيّد الخميني رحمه الله هو (هيهات منّا الذلّة) مفتاحاً للثورة الإسلامية المباركة في إيران، هذه الثورة التي أصبحت منارة لكلّ الأحرار في العالم.

وعلى مستوى الزعماء العالميين، نورد قولاً للثائر الهندي (المهاتما غاندي): «تعلمت من الحسين كيف أكون مظلوماً فأنتصر».

وفي الصدد ذاته قال المفكّر المسيحي (انطوان بارا): «لو كان الحسين منّا لنشرنا له في كلّ أرض راية، ولأقمنا له في كلّ أرض منبراً، ولدعونا الناس إلى المسيحية باسم الإسلام»^(٢).

(١) الحميداوي، نصير مظهر، ثورة العشرين فتوى الجهاد الشيعية، وكالة أنباء برائنا:

<https://burathanews.com/arabic/articles>.

(٢) قالوا في الحسين عليه السلام، منتدى الكفيل: <https://forums.alkafeel.net/node>.

وعليه؛ فقد كانت عاشوراء - ولا تزال - أيقونة الثورة، والحسين عليه السلام ملهماً روحياً، ونهضته تحطّت الوجدان الإسلامي.

الخاتمة

إنّ قيمة أهل البيت عليه السلام في الوجدان الشيعي ترتقي إلى درجة التقديس، حيث إنّهم يحظون بمراتب المعلّمين النموذجيين، والمثل العليا في صوغ الشخصية الاجتماعية الشيعية، التي سوف تهتمّ بالأدوار القيادية للرموز الإلهية في تحويل التقاليد والثقافة. ومن مظاهر الارتباط بأهل البيت عليه السلام زيارة قبورهم؛ وذلك لما تحقّقه الزيارات من أهداف استراتيجية، مثل: بناء الشخصية الاجتماعية والدينية للشيعية في وحدة الكلمة ومقاومة الحكومات الظالمة، وتأصيل تقاليد ورموز ذات أبعاد قيمية تهدف إلى إصلاح الفرد، وإحراز التنمية الاجتماعية المثل ك: الإيثار، والتضحية، والتعاون، ونشر التسامح والمحبة بين أفراد المجتمع؛ ما يُنتج تأصيلاً في الهوية الاجتماعية بصبغتها الدينية التي تشمل أشكال الحياة الاجتماعية كلّها.

إنّ تسامي صورة الزيارة الأربعينية، ومدى تفاعل الآخر الديني والمذهبي والثقافي في مشاركة انفعالية لمحنة عاشوراء، يُسهم في بناء معيارية نموذجية تدعو الآخر لتقبّلها والتماهي معها إلى درجة التعايش في إطار النظام الاجتماعي ككلّ، ففي أجواء هذا التجمّع المليوني المنقطع النظير، يبرز الدور التبليغي لنهضة الإمام الحسين عليه السلام وظروفها وأسبابها وحيثيّاتها المعرفية، ورفع كافّة الإشكاليات حول نهضته الشريفة المقدّسة؛ لينزاح الجهل والتعتيم والتضليل الإعلامي والثقافي العالمي.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

١. الأربعون حديثاً، روح الله الموسوي الخميني، دار التعارف للمطبوعات والنشر.

٢ . الأسرة والتحديات المعاصرة، سيّدة محمود محمد، المؤتمر الدولي للأسرة، ٢٠١١م.

٣ . جهاد النفس، روح الله الموسوي الخميني، مكتبة المعارف الإسلامية، ٢٠١٩م.

٤ . دروس في تزكية النفس، سلسلة المعارف الإسلامية، ٢٠١٤م.

٥ . زيارة الأربعين دراسة سوسيولوجية، صادق المخزومي، مؤسّسة أديان للثقافة والحوار، النجف الأشرف، ٢٠١٨م.

٦ . سوسيولوجيا الزيارات عند الشيعة، صادق المخزومي، مؤسّسة أديان للثقافة والحوار، ٢٠١٨م.

٧ . سيكولوجية الجماهير، غوستاف لوبون، ترجمة: هاشم صالح، دار الساقبي بيروت، ١٩٩١م.

٨ . سيماء الصالحين، رضا المختاري، مركز المعارف، ٢٠٢١م.

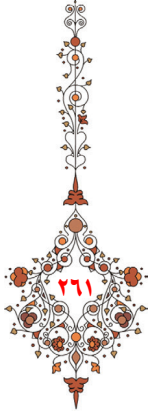
٩ . شرح أصول الكافي، محمد صالح المازندراني، تحقيق وتعليق: الميزرا أبو الحسين الشعрани، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.

١٠ . كيف جعلت الرأسمالية الإنسان أكثر تعاسة، كريمة أحداد، ٢٠٢١م، *Trt arabi.com*

١١ . مجلّة بقية الله، الأربعون في ذكريات الزوّار، العدد ٣١٤، السنة ٢٧، ٢٠١٧م.

١٢ . مسند الإمام علي عليه السلام، السيّد حسن القبانجي، تحقيق: الشيخ طاهر السلامي، منشورات مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.

١٣ . ميزان الحكمة، محمد الريشهري، تحقيق ونشر: دار الحديث، الطبعة الأولى.



دراسات حسينية

◆ يوم المحشر والظلمة الحسينية

◆ الحركة الحسينية والنهضة المهدوية.. دراسة في تجليات الاشتراك

◆ الأنسنة في أدب عاشوراء

يوم المحشر والظلمة الحسينية

الشيخ حسين أبو رويس البحراني
ماجستير في العلوم الإسلامية
أستاذ في الحوزة العلمية - قم المقدسة، من البحرين

The Day of Resurrection and the Injustice Against al-Husayn (PBUH)

Shaykh Husayn Abu Ruwais al-Bahrani

Master's degree in Islamic Sciences

Lecturer at the Islamic Seminary, Holy City of Qom, from Bahrain

ملخص البحث

إنَّ الأهميَّة التي منحها الدين الإسلامي لعقيدة المعاد من خلال آيات قرآنه المجيد ورواياته الشريفة، معتبراً إيَّاه مظهراً للعدل الإلهي، ومحلاً لإحقاق وعده ﷺ بالإحسان لعباده الصالحين، والعقاب للمسيئين والعاصين، وإنصاف المظلومين، دعت هذه الأهميَّة الكاتب إلى الحديث عن ظلامه الحسين ﷺ، ومسألة الانتقام ممَّن قتله، وهي من المواقف التي سيكون محلّها يوم القيامة.

هذا؛ وقد سار الكاتب - في المقام - على وفق منهج عرض النصوص الدينية وتحليلها، واقفاً من خلال ذلك على مجموعة من النتائج، منها على سبيل المثال: أنَّ الإمام الحسين ﷺ يمتلك مقامات متعدّدة، كمقام السيادة، ومقام الشفاعة، ومقام الشهادة على الأعمال، ونحو ذلك. ومنها: أنَّ المعاد من أركان الإسلام، وله موضوعية في تحقّقه، وأنَّ حكمة الله تعالى اقتضت أن يكون موعد تنفيذ الوعد بالإحسان للمطيعين والوعيد بالعقاب للعاصين هو يوم القيامة. ومنها: أنَّه لا مانع من إبراز الحزن من قبل الأنبياء والأوصياء في يوم القيامة لمناشئ غير أهوال يوم القيامة، كما نصّت على ذلك الآيات والروايات. ومنها: أنَّ النصوص المتعدّدة دلّت على أنَّ يوم القيامة هو الزمان الذي ستبرز فيه ظلامه سيّد الشهداء ﷺ، وسيتمّ الانتقام فيه ممَّن ظلمه وقتله... إلى غير ذلك من النتائج.

الكلمات المفتاحية: الإمام الحسين ﷺ، يوم القيامة، الشفاعة، الانتقام، الظلامه، الشهادة، العدل الإلهي، الوعد الإلهي.



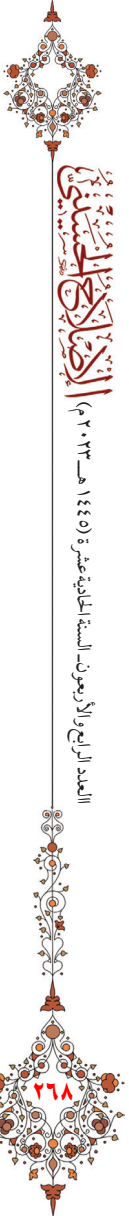
Abstract

The concept of Ma'ad (resurrection) holds a central place in Islamic teachings, as reflected in the Quran and the noble narrations. It is portrayed as the ultimate manifestation of divine justice, a day when Allah's promises will come to pass: the righteous will be rewarded, the wrongdoers punished, and the oppressed granted justice. This profound significance has led the author to reflect on the injustice endured by Imam al-Husayn (PBUH) and the question of retribution against those who wronged him – a matter that will be decisively addressed on the Day of Judgment.

Using a method that combines the presentation and analysis of religious texts, the author arrives at several important conclusions. Among these is the recognition that Imam al-Husayn (PBUH) occupies multiple exalted stations, such as his role as a leader, his power of intercession, and his position as a witness over the deeds of humanity. The study also reaffirms that resurrection is a cornerstone of Islamic belief, with its occurrence being an undeniable reality. Divine wisdom has ordained that the fulfillment of Allah's promise – reward for the obedient and punishment for the disobedient – will take place on the Day of Judgment.

The research further emphasizes that the prophets and their successors are not barred from expressing grief on the Day of Judgment for reasons unrelated to the terrors of that day, as evidenced by Quranic verses and narrations. Additionally, numerous religious texts indicate that the Day of Judgment will be the moment when the injustice against the Master of the Martyrs (PBUH) is fully revealed, and justice is served against those who oppressed and killed him. In addition to other findings.

Keywords: Imam al-Husayn (PBUH), Day of Judgment, intercession, retribution, injustice, martyrdom, divine justice, divine promise.



مقدمة تمهيدية

للإمام الحسين عليه السلام مقامات أخرى متعددة، منها:

١. مقام السيادة

فقد روى الخاصة والعامة عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم: «الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة»^(١).

بل ذكر غير واحد من علماء العامة أنّه من الأحاديث المتواترة، كالشيخ الكتاني في كتابه (نظم المتناثر في الحديث المتواتر)^(٢)، والشيخ الألباني في كتابه (سلسلة الأحاديث الصحيحة)؛ حيث قال: «وبالجملة فالحديث صحيح بلا ريب، بل هو متواتر كما نقله المناوي، وكذلك الزيادات... فهي صحيحة ثابتة»^(٣).

٢. مقام الشفاعة

فقد جاء في زيارته عليه السلام: «وإن شُفعت شُفعت»^(٤)، و«فكن لي شفيعاً»^(٥)، و«اللهم ارزقني شفاعته الحسين يوم الورود»^(٦).

٣. الشهادة على الأعمال

ومن شواهد ذلك: ما عن أبي جعفر عليه السلام: «في قول الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾»، قال أبو جعفر عليه السلام:

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٣، ص ٢٦٣. ابن حنبل، أحمد، مسند الإمام أحمد: ج ٣، ص ٣.

(٢) أنظر: الكتاني، محمد جعفر، نظم المتناثر من الحديث المتواتر: ص ١٩٦.

(٣) الألباني، محمد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الصحيحة: ج ٢، ص ٤٣١-٤٣٢.

(٤) ابن طاووس، علي بن موسى، مصباح الزائر: ص ٢٤٩.

(٥) المصدر السابق: ص ٢٨٩.

(٦) المشهدي، محمد بن جعفر، المزار الكبير: ص ٤٨٤.



منّا شهيد على كلّ زمان، علي بن أبي طالب عليه السلام في زمانه، والحسن عليه السلام في زمانه،
والحسين عليه السلام في زمانه، وكلّ من يدعو منّا إلى أمر الله»^(١).

٤. الانتقام الإلهي لشهادة سيّد الشهداء عليه السلام

تشير جملة من النصوص إلى أنّ الله سبحانه وتعالى سيُظهر في يوم المحشر ظلامه
أبي عبد الله الحسين عليه السلام، وسينتقم من ظلمه وقتله.
وهذا المقام هو ما نريد الوقوف عنده في هذه المقالة إن شاء الله تعالى؛ وذلك
ضمن المحاور التالية:

- المحور الأوّل: سبب اختيار يوم القيامة موعداً لإبراز الظلامة والانتقام.
 - المحور الثاني: دفع إشكالية منافاة الحزن مع يوم القيامة.
 - المحور الثالث: عرض الأدلّة والشواهد على إبراز الظلامة والانتقام يوم القيامة.
- وإليك بيان هذه المحاور:

المحور الأوّل: سبب اختيار يوم القيامة موعداً لإبراز الظلامة والانتقام

ما هو السبب والحكمة في اختيار يوم القيامة موعداً لإظهار ما جرى على سيّد
الشهداء عليه السلام، والانتقام من أعدائه وقتلته ومن حاربه؟
يمكن أن تُذكر لذلك عدّة أسباب:

السبب الأوّل: أهميّة يوم القيامة

بملاحظة آيات الذكر الحكيم والسنة المطهّرة نجد تركيزاً بالغاً على مسألة المعاد،
فقد جاء ذكر المعاد في ١٤٠٠ آية أو أكثر، ولا تجد سورة لا يوجد فيها ذكر للمعاد
إمّا تصريحاً وإمّا تلويحاً.

وتكمن هذه الأهميّة في جهات، منها:

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٢٣، ص ٣٣٧.

الجهة الأولى: المعاد مظهر العدل الإلهي^(١)

للعقل - كما عليه العدلية - قابلية إدراك حسن الفعل أو قبحه واقعاً، ومما يدركه حسن العدل، وقبح الظلم، وبما أن الله تعالى منزّه عن كلّ نقص أو عيب أو قبح فهو عادل، بل هو مصدر العدل، ويوم القيامة موعد لانكشاف عدله أمام جميع الخلائق، قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدُو الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾^(٢).

فلا بدّ من يوم توفّي فيه كلّ ما نفس ما كسبت، إن خيراً فخير وإن شراً فشرّ، وليس من عدل الله أن يُساوى بين العاصي والمطيع، قال تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾^(٣) مَالِكُوكَيْفَ تَحْكُمُونَ^(٤).

الجهة الثانية: المعاد إحقاق للوعد الإلهي^(٤)

وعَدَ الله ﷻ عباده الصالحين بالإحسان، وتوعّد العاصين بالعقاب، ومن ذلك قوله تبارك وتعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(٥) وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِن عَاصِرٍ كَانَمَا أَغَشِيَتْ وَجُوهَهُمْ قِطْعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ^(٦).

وإذ اقتضت حكمته ألا يكون إحقاق ذلك في عالم الدنيا؛ فإنّ موعد تنفيذ الوعد والوعيد هو يوم القيامة.

(١) أنظر: السبحاني، جعفر، مفاهيم القرآن: ج ٨، ص ٢٥.

(٢) يونس: الآية ٤.

(٣) القلم: الآيتان ٣٥-٣٦.

(٤) أنظر: السبحاني، جعفر، مفاهيم القرآن: ج ٨، ص ٣٠.

(٥) يونس: الآيتان ٢٦-٢٧.

أما وعده للمؤمنين فلا يخلفه؛ لأن ذلك قبيح، والله تبارك وتعالى منزّه عن كلّ قبيح، وقد جاء في الذكر الحكيم: ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ أَتَقُوا رَبَّهُمْ هُمْ عُرِفُوا مِنْ فَوْقَهَا عُرْفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ﴾^(١). وأما وعيده للكافرين والعاصين فله أن يغضّ النظر عنه؛ لأنّه حقّه، قال عزّ وجلّ: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾^(٢).

وقد أجاد بعض الشعراء في توصيف هذا المعنى؛ حيث قال:
إذا وعد السراء أنجز وعده وإن أوعد الضراء فالعفو مانعه^(٣)

الجهة الثالثة: المعاد من أركان الإسلام

ومنّ أشار إلى ذلك السيّد الخوئي رحمه الله بقوله: «قد اعتُبر في الشريعة المقدّسة أمور على وجه الموضوعية في تحقّق الإسلام، بمعنى أنّ إنكارها أو الجهل بها يقتضي الحكم بكفر جاهلها، أو منكرها وإن لم يستحقّ بذلك العقاب؛ لاستناد جهله إلى قصوره وكونه من المستضعفين.

فمنها: الاعتراف بوجوده جلّت عظمته ووحدانيّته في قبال الشرك، وتدلّ على اعتبار ذلك جملة من الآيات والروايات، وهي من الكثرة بمكان.

ومنها: الاعتراف بنبوّة النبي ورسالته ﷺ، وهو أيضاً مدلول جملة وافية من الأخبار والآيات، منها قوله عزّ من قائل: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٤) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَأْتُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ^(٥).

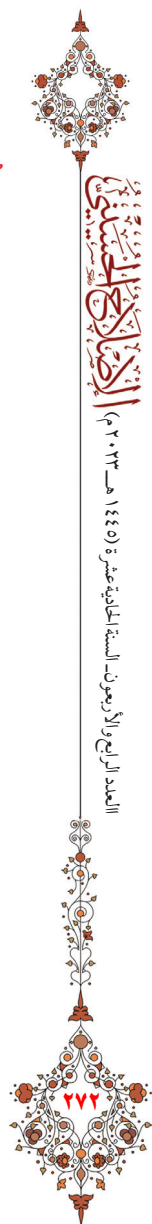
ومنها: الاعتراف بالمعاد وإن أهمله فقهاؤنا (قدّس سرهم)، إلّا أنّنا لا نرى لإهمال

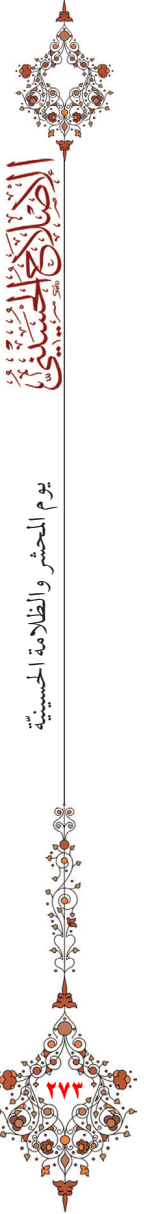
(١) الزمر: الآية ٢٠.

(٢) الشورى: الآية ٢٥.

(٣) الأمين، محسن، أعيان الشيعة: ج ٧، ص ٢٠٣.

(٤) البقرة: الآيتان ٢٣-٢٤.





اعتباره وجهاً، كيف، وقد قرن الإيمان به بالإيمان بالله سبحانه في غير واحد من الموارد - على ما بيالي - كما في قوله عزّ من قائل: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾^(١)، وقوله: ﴿إِنْ كُنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾^(٢)، وقوله: ﴿مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾^(٣)، وقوله: ﴿مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾^(٤) إلى غير ذلك من الآيات؟! ولا مناص معها من اعتبار الإقرار بالمعاد على وجه الموضوعية في تحقّق الإسلام^(٥).

السبب الثاني: المعاد يوم الجزاء الأوفى

من أبرز الأسباب لإظهار مظلومية سيّد الشهداء عليه السلام والقصاص من ظالميه في يوم القيامة أنّ هذا اليوم هو يوم الجزاء الأوفى، قال الله تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۚ وَأَنْ سَعْيُهُ سَوْفَ يَرَىٰ ۚ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ﴾^(٦).

فهناك ثلاثة أصول عقائدية في هذه الآيات^(٧):

١. الأصل الأوّل: أنّ الإنسان مسؤول عما يقوم به في الدنيا من أعمال، وأنّ أعماله ستحضر بين يديه يوم القيامة، قال عزّ من قائل: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا﴾^(٨).

(١) النساء: الآية ٥٩.

(٢) البقرة: الآية ٢٢٨.

(٣) البقرة: الآية ٢٣٢.

(٤) البقرة: الآية ١٧٧.

(٥) الخوئي، أبو القاسم، موسوعة السيّد الخوئي: ج ٣، ص ٥٤.

(٦) النجم: الآيات ٣٩-٤١.

(٧) أنظر: مكارم الشيرازي، ناصر، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ج ١٧، ص ٢٦١.

(٨) آل عمران: الآية ٣٠.

٢. الأصل الثاني: ليس للإنسان إلا ما كسبه في هذه الدنيا، ومما يدل على ذلك ما

ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: «العمل الصالح حرث الآخرة»^(١).

٣. الأصل الثالث: أن جزاءه مطابق لعمله، ففي يوم الحساب يجزى الإنسان الجزاء

الأوفى الأتم، الجزاء المطابق لعمله في الدنيا، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

ومن هنا؛ فإن ظالمي سيّد الشهداء عليه السلام سينالون جزاءهم الأوفى الأتم في محكمة العدل الإلهي، وقد أُشير إلى ذلك في جملة من النصوص، منها: ما ورد عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله: «إن قاتل الحسين بن علي عليه السلام في تابوت من نار، عليه نصف عذاب أهل الدنيا، وقد شدّت يده ورجلاه بسلاسل من نار، منكس في النار، حتى يقع في قعر جهنم، وله ريح يتعوذ أهل النار إلى ربهم من شدّة نتنه، وهو فيها خالد ذائق العذاب الأليم، مع جميع من شايع على قتله، كلّما نضجت جلودهم بدّل الله عز وجل عليهم الجلود، حتى يذوقوا العذاب الأليم، لا يفتر عنهم ساعة، ويسقون من حميم جهنم، فالويل لهم من عذاب الله تعالى في النار»^(٢).

السبب الثالث: إبراز منزلة الحسين عليه السلام عند الله

ومن الأسباب أيضاً أن الله تعالى جعل يوم القيامة موعداً لإبراز فضل أهل البيت عليهم السلام، ومكانتهم، ومقامهم، ومن شواهد ذلك: ما عن أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام، قال: «قال جابر لأبي جعفر عليه السلام: جعلت فداك يا ابن رسول الله، حدّثني بحديث في فضل جدّتك فاطمة عليها السلام إذا أنا حدّثت به الشيعة فرحوا بذلك. قال أبو جعفر عليه السلام: حدّثني أبي، عن جدّي، عن رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: إذا كان يوم القيامة نُصب للأنبياء والرسل منابر من نور، فيكون منبري أعلى منابرهم يوم القيامة، ثم يقول الله: يا محمد، اخطب. فأخطب بخطبة لم يسمع أحد من الأنبياء والرسل بمثلتها. ثم يُنصب

(١) نهج البلاغة، (تحقيق صبحي الصالح): ص ٦٤، الخطبة رقم ٢٣.

(٢) الصدوق، محمد بن علي، عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ٢، ص ٥١، ح ١٧٨.

للأوصياء منابر من نور، ويُنصب لوصيّ علي بن أبي طالب عليه السلام في أوساطهم منبر من نور، فيكون منبره أعلى منابرهم، ثم يقول الله: يا عليّ، اخطب، فيخطب بخطبة لم يسمع أحد من الأوصياء بمثلهما. ثم يُنصب لأولاد الأنبياء والمرسلين منابر من نور، فيكون لابني وسبطي وريحاتيّ أيام حياتي منبر من نور، ثم يقال لهما: اخطبا. فيخطبان بخطبتين لم يسمع أحد من أولاد الأنبياء والمرسلين بمثلهما. ثم ينادي المنادي وهو جبرئيل عليه السلام: أين فاطمة بنت محمد؟ أين خديجة بنت خويلد؟ أين مريم بنت عمران؟ أين آسية بنت مزاحم؟ أين أمّ كلثوم أمّ يحيى بن زكريّا؟ فيقمن، فيقول الله تبارك وتعالى: يا أهل الجمع، لمن الكرم اليوم؟ فيقول محمد وعلي والحسن والحسين: لله الواحد القهار. فيقول الله تعالى: يا أهل الجمع، إنّي قد جعلت الكرم لمحمد وعلي والحسن والحسين وفاطمة، يا أهل الجمع، طأطئوا الرؤوس وغضوا الأبصار؛ فإنّ هذه فاطمة تسير إلى الجنة^(١).

المحور الثاني: دفع إشكالية منافاة الحزن مع يوم القيامة

قد يقول البعض: لا يمكن القبول بالروايات التي تُبرز جانب الحزن والمأساة على سيّد الشهداء عليه السلام في يوم القيامة؛ لأنّ يوم القيامة هو اليوم الذي فيه فوز الأبرار والصالحين، فهم آمنون من الفرع الأكبر، وأسرع الناس إلى دخول جنة الخلد، قال الله تبارك وتعالى: ﴿لَا يَخْزِيهِمْ فَزَعُ الْأَكْبَرِ وَنَلَقَهُمُ الْمَلَكُ﴾^(٢)، ويقول تعالى أيضاً: ﴿وَهُمْ مِنْ فَزَعِ يَوْمِذٍ آمِنُونَ﴾^(٣).
ويُجاب عن ذلك:

أولاً: أنّ موقف إبراز الحزن على سيّد الشهداء عليه السلام هو أحد مواقف المحشر المتعدّدة قبل الحساب ودخول المحسنين إلى الجنة.

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٣، ص ٦٤.

(٢) الأنبياء: الآية ١٠٣.

(٣) النمل: الآية ٨٩.

ثانياً: المنفي عن ساحة الأنبياء والأولياء عليهم السلام هو الحزن الناشئ من هول يوم القيامة، أمّا الحزن لجهات أخرى فلم يرد دليل على نفيه.

ثالثاً: هناك جملة من الآيات والروايات تدلّ على أنّ بعض الأنبياء والأولياء يشعرون بالحزن ويبثّون شكائهم إلى الله من حيثيات متعدّدة، نذكر في المقام بعضها:

١. قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَرْبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقَرْعَانَ

مَهْجُورًا﴾^(١).

٢. ما ورد في كتب الفريقين عن أمير المؤمنين عليه السلام: «أنا أوّل مَنْ يَجْثُو بين يدي الله عزّ وجلّ يوم القيامة للخصومة»^(٢).

فمن الواضح أنّ لسان الكلام ولحن القول فيه بثّ للشكاية والظلامه.

المحور الثالث: عرض الأدلّة والشواهد على إبراز الظلامه والانتقام يوم القيامة

توجد جملة من الروايات والشواهد التي تدلّ على أنّ الله تبارك وتعالى سيربز ظلامه سيّد الشهداء عليه السلام، وسيستقم من ظلمه وقته. ونجعل الكلام في ذلك ضمن ثلاث نقاط:

النقطة الأولى: مراحل الانتقام الإلهي من قتلة الحسين عليه السلام

لا بدّ من إلفات النظر إلى أنّ هذه السطور وإنّ كان الغرض منها الوقوف على عقاب ظالمي الإمام الحسين عليه السلام في يوم القيامة، إلّا أنّ العقاب الإلهي - كما هو واضح - ليس محصوراً بعالم الآخرة، بل إنّ العقاب الإلهي يقع ضمن أربع مراحل:

المرحلة الأولى: في عالم الدنيا

مما ثبت بالشواهد الروائية والتاريخية أنّ قتلة الإمام الحسين عليه السلام قد نالوا عقاباً

(١) الفرقان: الآية ٣٠.

(٢) الطوسي، محمد بن الحسن، الأمالي: ص ٨٥. وأنظر: البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري: ج ٥، ص ٢٤٢.



دنيوياً، لكنّه ليس العقاب النهائي، فقد روى الخوارزمي في (المقتل)، عن مينا أنّه قال: «ما بقي من قتلة الحسين أحد لم يُقتل، إلّا رُمي بداء في جسده قبل أن يموت»^(١).

ونقل سبط ابن الجوزي عن الزهري أنّه قال: «ما بقي منهم أحد إلّا وعوقب في الدنيا، إمّا بالقتل، أو العمى، أو سواد الوجه، أو زوال الملك في مدّة يسيرة»^(٢).

وفي المقام أذكر بعضاً منهم ممّا أورده ابن نما الحليّ رحمته الله في (ذوب النصار)^(٣):

١ . عاقبة سنان بن أنس: هرب سنان بن أنس (لعنه الله) إلى البصرة، فهُدم داره، ثمّ خرج من البصرة نحو القادسية، وكان عليه عيون، فأخبروا المختار، فأخذه بين العذيب والقادسية، فقطّع أنامله، ثم يديه ورجليه، وأغلى زيتاً في قدر وألقاه فيه.

٢ . عاقبة خولي بن يزيد الأصبحي: بعث المختار أبا عمرة، فأحاط بدار خولي بن يزيد الأصبحي - وهو حامل رأس الحسين عليه السلام إلى عبيد الله بن زياد - فخرجت امرأته إليهم وهي النّوّار ابنة مالك - كما ذكر الطبري في تاريخه - وقيل: اسمها العيّوف، وكانت محبة لأهل البيت عليهم السلام، قالت: لا أدري أين هو، وأشارت بيدها إلى بيت الخلاء. فوجدوه وعلى رأسه قوصرة، فأخذوه وقتلوه، ثمّ أمر بحرقه.

٣ . عاقبة حكيم بن الطفيل السنبسي: بعث المختار عبد الله بن كامل إلى حكيم بن الطفيل السنبسي، وكان قد أخذ سلب العباس ورماه بسهم، فأخذوه قبل وصوله إلى المختار، ونصبوه هدفاً، ورموه بالسهم.

المرحلة الثانية: في عالم الرجعة

هناك بعض الروايات تشير إلى أنّ سيّد الشهداء عليه السلام سيكون أوّل الراجعين

(١) الخوارزمي، الموقّق بن أحمد، مقتل الحسين عليه السلام: ج ٢، ص ١١٧.

(٢) سبط ابن الجوزي، يوسف بن فرغلي، تذكرة الخواصّ: ص ٢٨٠.

(٣) أنظر: ابن نما الحليّ، جعفر بن محمد، ذوب النصار: ص ١١٨-١٢٠.

في عالم الرجعة ومعه أنصاره، وسيرجع يزيد وأعوانه، وسينتصر الله تعالى لسيّد الشهداء عليه السلام، ويقتل أعداءه حذو القذّة بالقذّة، ونذكر في المقام بعض الروايات الدالّة على ذلك:

١- ما عن رفاعة بن موسى، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «إِنَّ أَوَّلَ مَنْ يَكْرُّ إِلَى الدُّنْيَا الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ عليه السلام وَأَصْحَابُهُ، وَيَزِيدُ بْنُ مَعَاوِيَةَ وَأَصْحَابُهُ، فَيَقْتُلُهُمْ حَذُو الْقَذَّةِ بِالْقَذَّةِ. ثُمَّ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ ^(١)» ^(٢).

٢- ما رواه ابن قولويه بسند صحيح عن بريد بن معاوية العجلي، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: «يا بن رسول الله، أخبرني عن إسماعيل الذي ذكره الله في كتابه حيث يقول: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾» ^(٣)، أكان إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام؛ فَإِنَّ النَّاسَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ؟ فقال عليه السلام: إِنَّ إِسْمَاعِيلَ مَاتَ قَبْلَ إِبْرَاهِيمَ، وَإِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ حَجَّةَ اللَّهِ كُلَّهَا قائماً صاحب شريعة، فإلى مَنْ أُرْسِلَ إِسْمَاعِيلُ إِذْنٌ؟ فقلت: جُعِلَتْ فُداك، فَمَنْ كَانَ؟ قال عليه السلام: ذَاكَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ حَزْقِيلَ النَّبِيِّ عليه السلام، بَعَثَهُ اللَّهُ إِلَى قَوْمِهِ فَكَذَّبُوهُ، فَقَتَلُوهُ وَسَلَخُوا وَجْهَهُ، فَغَضِبَ اللَّهُ لَهُ عَلَيْهِمْ فَوَجَّهَ إِلَيْهِ إِسْطَاطَائِلَ مَلِكِ الْعَذَابِ، فَقَالَ لَهُ: يَا إِسْمَاعِيلُ، أَنَا إِسْطَاطَائِلُ مَلِكِ الْعَذَابِ، وَجَّهَنِي إِلَيْكَ رَبُّ الْعِزَّةِ لِأُعَذِّبَ قَوْمَكَ بِأَنْوَاعِ الْعَذَابِ إِنْ شِئْتَ. فقال له إسماعيل: لَا حَاجَةَ لِي فِي ذَلِكَ. فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ فَمَا حَاجَتُكَ يَا إِسْمَاعِيلُ؟ فقال: يَا رَبِّ، إِنَّكَ أَخَذْتَ الْمِيثَاقَ لِنَفْسِكَ بِالرُّبُوبِيَّةِ، وَلِمُحَمَّدٍ بِالنَّبُوَّةِ وَلِأَوْصِيَائِهِ بِالْوِلَايَةِ، وَأَخْبَرْتَ خَيْرَ خَلْقِكَ بِمَا تَفْعَلُ أُمَّتَهُ بِالْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عليه السلام مِنْ بَعْدِ نَبِيِّهَا، وَإِنَّكَ وَعَدْتَ الْحُسَيْنَ عليه السلام أَنْ تَكْرَهُهُ إِلَى

(١) الإسراء: الآية ٦.

(٢) العياشي، محمد بن مسعود، تفسير العياشي: ج ٢، ص ٢٨٢.

(٣) مريم: الآية ٥٤.

الدنيا حتى ينتقم بنفسه ممن فعل ذلك به، فحاجتي إليك يا رب أن تكرّني إلى الدنيا حتى أنتقم ممن فعل ذلك بي كما تكرّ الحسين عليه السلام، فوعد الله إسماعيل بن حزقيل ذلك، فهو يكرّ مع الحسين عليه السلام»^(١).

المرحلة الثالثة: في البرزخ

دلّت جملة من الآيات والروايات على أنّ عالم البرزخ إمّا أن يكون على الإنسان نعيماً، وإمّا أن يكون جحيماً، ولا ريب أنّ قتلة سيّد الشهداء عليه السلام وظالميه في جحيم، وعقاب أليم. وتوجد جملة من الشواهد على أصل الكبرى:

١- قوله تعالى في سورة غافر: ﴿فَوَقَّهَ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَّامَكُرُوا وَحَاقَ بِئَالِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ٤٥﴾ **النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ٤٦**.^(٢) فإنّ آل فرعون قبل أن تقوم الساعة يعرضون على النار غدوًّا وعشيًّا، وحين تقوم الساعة يدخلون إلى أشدّ العذاب.

٢- ما روي عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام: «والله، إنّ القبر لروضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النار»^(٣).

٣- معتبرة أبي بصير، قال: «سمعتُ أبا عبد الله عليه السلام يقول: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ٨٨﴾ **فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٌ ٨٩**»^(٤) قال: في قبره، ﴿وَجَنَّتُ نَعِيمٌ ٩٠﴾ قال: في الآخرة، ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ ٩١﴾ **فَنَزُلُ مِنْ حَمِيمٍ ٩٢**»^(٥) في قبره ﴿وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ٩٣﴾^(٦) في الآخرة»^(٧).

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ١٣٨.

(٢) غافر: الآيتان ٤٥-٤٦.

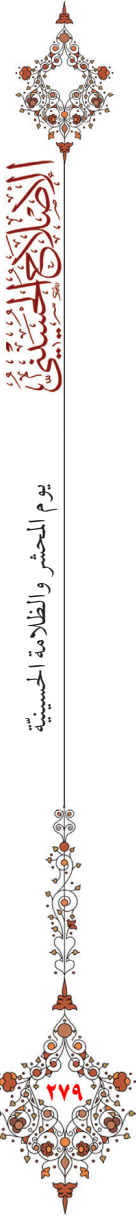
(٣) الصدوق، محمد بن علي، الخصال: ص ١٢٠.

(٤) الواقعة: الآيتان ٨٨-٨٩.

(٥) الواقعة: الآيتان ٩٢-٩٣.

(٦) الواقعة: الآية ٩٤.

(٧) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٦، ص ٢١٧.



٤- ومن ذلك أيضاً ما ورد عن إبراهيم بن إسحاق الجازي، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: «أين أرواح المؤمنين؟ فقال: أرواح المؤمنين في حجرات في الجنة؛ يأكلون من طعامها، ويشربون من شرابها، ويتزاوون فيها، ويقولون: ربّنا أقم لنا الساعة لتنجز لنا ما وعدتنا. قال: قلت: فأين أرواح الكفّار؟ فقال: في حجرات في النار؛ يأكلون من طعامها، ويشربون من شرابها، ويتزاوون فيها، ويقولون: ربّنا لا تقم لنا الساعة لتنجز لنا ما وعدتنا»^(١).

المرحلة الرابعة: في القيامة

من المسلّمات الدينية أنّ يوم القيامة هو يوم الحساب، قال الله تعالى: ﴿وَأَنْتَقُوا يَوْمَ تَرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾^(٢). وسيأتي عرض الشواهد على ما يجري على قتلة الإمام الحسين عليه السلام في يوم القيامة، وأنّهم سوف يلقون عذاباً شديداً.

النقطة الثانية: عرض شواهد إبراز الظلامة الحسينية

توجد جملة من النصوص الروائية الواردة في بيان إبراز الظلامة الحسينية في يوم القيامة؛ ومن غير البعيد أنّها تبلغ حدّ الاستفاضة، وإليك بعضها:

١- ما رواه الشيخ المفيد في (الأمالي) قال: حدّثنا أبو جعفر محمد بن علي بن موسى الصدوق، قال: حدّثنا أبي، قال: حدّثنا علي بن إبراهيم بن هاشم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن أبان بن عثمان، عن أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام، قال: «إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد، ثم أمر منادياً فنادى: غَضُّوا أبصاركم، ونكّسوا رؤوسكم؛ حتى تجوز فاطمة ابنة محمد عليه السلام الصراط. قال: فتغصّ الخلائق أبصارهم، فتأتي فاطمة عليها السلام على نجيب من نجب الجنة يُشيعها سبعون ألف ملك،

(١) البرقي، أحمد بن محمد، المحاسن: ج ١، ص ١٧٨.

(٢) البقرة: الآية ٢٨١.

فتقف موقفاً شريفاً من مواقف القيامة، ثم تنزل عن نجيبها فتأخذ قميص الحسين بن علي عليه السلام بيدها مُضمّخاً بدمه، وتقول: يا ربّ، هذا قميص ولدي، وقد علمت ما صنّع به. فيأتيها النداء من قبل الله عز وجل: يا فاطمة، لك عندي الرضا. فتقول: يا ربّ، انتصر لي من قاتله. فيأمر الله تعالى عَنقاً من النار فتخرج من جهنّم فتلتقط قتلة الحسين بن علي عليه السلام كما يلتقط الطير الحبّ، ثم يعود العنق بهم إلى النار فيُعذّبون فيها بأنواع العذاب. ثم تركب فاطمة عليها نجيبها حتى تدخل الجنة، ومعها الملائكة المشيّعون لها، وذريتها بين يديها، وأولياؤهم من الناس عن يمينها وشمالها»^(١).

٢- ما رواه الشيخ الصدوق رحمه الله في (عيون أخبار الرضا عليه السلام) بأسانيد ثلاثة: عن الرضا عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «مُحْشَر ابنتي فاطمة يوم القيامة ومعها ثياب مصبوغة بالدم، فتتعلّق بقائمة من قوائم العرش، فتقول: يا عدلُ، أحكم بيني وبين قاتل ولدي. قال رسول الله صلى الله عليه وآله: فيحكم لابنتي وربّ الكعبة، وإنّ الله عز وجل يغضب لغضب فاطمة ويرضى لرضاها»^(٢).

٣- ما رواه فرات بن إبراهيم الكوفي في تفسيره، عن سليمان بن محمد بإسناده عن ابن عباس، قال: سمعتُ أمير المؤمنين عليه السلام يقول: «دخل رسولُ الله صلى الله عليه وآله ذات يوم على فاطمة وهي حزينة، فقال لها: ما حزنك يا بنية؟ قالت: يا أبة، ذكرت المحشر ووقوف الناس عراة يوم القيامة... ثم ينادي منادٍ من تحت العرش يسمع الخلائق: غَضُوا أبصاركم حتى تجوز فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله ومَن معها، فلا ينظر إليك يومئذٍ إلا إبراهيم خليل الرحمن وعليّ بن أبي طالب، ويطلب آدم حواء فيراها مع أُمّك خديجة أُمّك، ثم يُنصب لك منبر من النور فيه سبع مراقٍ، بين المرقاة إلى المرقاة صفوف الملائكة، بأيديهم ألوية النور، ويصطفُ الحور العين عن يمين المنبر وعن يساره، وأقرب النساء منك عن

(١) المفيد، محمد بن محمد، الأمالي: ص ١٣٠.

(٢) الصدوق، محمد بن علي، عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ٢، ص ٢٩.

يسارك حواء وآسية، فإذا صرت في أعلى المنبر أذاك جبرئيل فيقول لك: يا فاطمة، سلي حاجتك. فتقولين: يا رب، أرني الحسن والحسين، فيأتيانك وأوداج الحسين تشخب دماً، وهو يقول: يا رب، خذ لي اليوم حقي ممن ظلمني، فيغضب عند ذلك الجليل، وتغضب لغضبه جهنم والملائكة أجمعون، فتزفر جهنم عند ذلك زفرة، ثم يخرج فوج من النار ويلتقط قتلة الحسين...»^(١).

٤- ما رواه فرات بن إبراهيم الكوفي في تفسيره أيضاً، قال: حدثني الحسين بن سعيد بإسناده عن جعفر، عن أبيه عليه السلام، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان يوم القيامة نادى مناد من بطنان العرش: يا معشر الخلائق، غضوا أبصاركم حتى تمر بنت حبيب الله إلى قصرها... فإذا بلغت إلى باب قصرها وجدت الحسن قائماً والحسين نائماً مقطوع الرأس، فتقول للحسن: من هذا؟ فيقول: هذا أخي؛ إن أمة أبيك قتلوه وقطعوا رأسه. فيأتيها النداء من عند الله: يا بنت حبيب الله، إني إنما أريتك ما فعلت به أمة أبيك، إني أدخرت لك عندي تعزية بمصيبتك فيه، وإني جعلت تعزية اليوم أني لا أنظر في محاسبة العباد حتى تدخلني أنت وذريتك وشيعتك...»^(٢).

٥- ما رواه الشيخ الصدوق رحمته الله في (ثواب الأعمال) بسنده عن شريك، يرفعه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان يوم القيامة جاءت فاطمة عليها السلام في لمّة من نسائها، فيقال لها: ادخلي الجنة، فتقول: لا أدخل حتى أعلم ما صنع بولدي من بعدي. فيقال لها: أنظري في قلب القيامة، فتنظر إلى الحسين عليه السلام قائماً وليس عليه رأس، فتصرخ صرخة وأصرخ لصراخها، وتصرخ الملائكة لصراخنا، فيغضب الله ﷻ لنا عند ذلك، فيأمر ناراً يقال لها: هبب قد أوقد عليها ألف عام حتى اسودّت لا يدخلها روح أبداً، ولا يخرج منها غم أبداً، فيقال لها: التقطي قتلة الحسين عليه السلام، فتلتقطهم. فإذا صاروا في حوصلتها،

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٨، ص ٥٤.

(٢) المصدر السابق: ج ٦٥، ص ٥٩.

صهلت وصهلوا بها، وشهقت وشهقوا بها، وزفرت وزفروا بها، فينطقون بالسنّة ذلّة
طلقة: يا ربّنا، فيما أوجبت لنا النار قبل عبدة الأوثان...»^(١).

٦- ما رواه الشيخ الصدوق (رحمه الله) في (ثواب الأعمال) أيضاً بسنده إلى
عنيسة الطائي، عن أبي خير، عن علي بن أبي طالب عليه السلام، قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله:
يُمثّل لفاطمة عليها السلام رأس الحسين عليه السلام متشخّطاً بدمه، فتصبح: وا ولداه، وا ثمرة فؤاده،
فتصعق الملائكة لصيحة فاطمة عليها السلام... وإنّ فاطمة عليها السلام في ذلك اليوم على ناقّة من نوق
الجنّة... يحفّ بهودجها سبعون ألف ملك بالتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير والثناء
على ربّ العالمين. ثم ينادي منادٍ من بطنان العرش: يا أهل القيامة، غصّوا أبصاركم؛
فهذه فاطمة بنت محمد رسول الله صلى الله عليه وآله تمرّ على الصراط، فتمرّ فاطمة عليها السلام وشيعتها على
الصراط كالبرق الخاطف. قال النبي صلى الله عليه وآله: ويُلقي أعداؤها وأعداء ذريّتها في جهنّم»^(٢).

٧- وروى الشيخ الطوسي في (أماليه) بسند لا بأس به، عن الصادق عليه السلام: «إنّه إذا
كان يوم القيامة أقبل رسول الله صلى الله عليه وآله ومعه الحسين عليه السلام ويده على رأسه يقطر دماً، فيقول:
يا ربّ، سل أمّتي فيمّ قتلوا ولدي؟!»^(٣).

والمستفاد من هذه النصوص جملة من الأمور، نذكر منها:

أولاً: أنّ عرض مصيبة وظلامة سيّد الشهداء عليه السلام سيكون بمحضر جميع الخلق
من الأوّلين والآخرين؛ ولعلّ من أسرار ذلك أنّ الله تبارك وتعالى يريد بيان مقام أبي
عبد الله الحسين عليه السلام ومنزلته. فالإمام الحسين عليه السلام له مقام ملكوتي عظيم أشارت إلى
بعض مراتبه جملة من الروايات، نشير إلى بعضها:

١- ما في الحديث عن ابن مسعود، عن النبي صلى الله عليه وآله - كما في الروضة لابن شاذان -
قوله صلى الله عليه وآله: «اعلم أنّ الله خلقني وعليّاً من نور عظّمته قبل أن يخلق الخلق بألفي عام؛

(١) الصدوق، محمد بن علي، ثواب الأعمال: ص ٢١٧.

(٢) المصدر السابق: ص ٢١٩-٢٢٠.

(٣) الطوسي، محمد بن الحسن، الأمالي: ص ١٦٢.

إذ لا تسبيح ولا تقديس... وفتق نور الحسين عليه السلام وخلق منه الجنان والخور العين، والحسين عليه السلام والله أفضل من الجنان والخور العين...»^(١).

٢- ما ورد عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله: «الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة»^(٢).

٣- ما في مناقب ابن شاذان في النبوي: «... وبالحسين تسعدون، وبه تشقون، ألا وأنّ الحسين باب من أبواب الجنة، من عاداه حرّم الله عليه رائحة الجنة»^(٣).

ثانياً: أنّ النبي الأعظم صلى الله عليه وآله سيكون ممّن يُطالب بدم ولده الحسين عليه السلام، ممّا يعني عظم هذه المصيبة على قلب أشرف الخلق.

ثالثاً: أنّ المطالب بدمه في عرصة يوم القيامة أيضاً هي أمّه الطاهرة المطهّرة سيّدتنا فاطمة عليها السلام، ولعلّ من أسرار ذلك:

١- إنّ المولى (جلّ وعلا) يريد أن يبيّن لجميع الخلائق مقام مولاتنا الصديقة الطاهرة عليها السلام؛ فهي النفحة القدسية التي يرضى لرضاها، ويغضب لغضبها، بل هي أشرف الكائنات بعد النبي صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام.

وهذا المعنى له عدّة قرائن في النصوص السابقة:

منها: ما ورد في كيفية ورود مولاتنا الصديقة الطاهرة إلى ساحة المحشر، فقد روي عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام قوله: إنّ منادياً ينادي: «غضّوا أبصاركم، ونكّسوا رؤوسكم؛ حتى تجوز فاطمة ابنة محمد صلى الله عليه وآله الصراط. قال: فتغضّ الخلائق أبصارهم، فتأتي عليها السلام على نجيب من نجب الجنة يُشيّعها سبعون ألف ملك، فتقف موقفاً شريفاً من مواقف القيامة».

ومنها: ما روي أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «فيحكم لابنتي وربّ الكعبة، وأنّ الله عزّ وجلّ

(١) القميّ، شاذان بن جبرائيل، الروضة في فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب: ص ١١٢-١١٣.
(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٣، ص ٢٦٣. ابن حنبل، أحمد، مسند الإمام أحمد: ج ٣، ص ٣.

(٣) ابن شاذان، محمد بن أحمد، مئة متقبة من مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والأئمة من ولده عليه السلام من طريق العامة: ص ٢٢-٢٣.

يغضب لغضب فاطمة ويرضى لرضاها».

ومنها: ما رواه أمير المؤمنين عليه السلام عن رسول الله: أنه يوم المحشر يقال لفاطمة عليها السلام: «يا فاطمة، سلي حاجتك، فتقولين: يا رب، أربي الحسن والحسين. فيأتياك وأوداج الحسين تشخب دماً، وهو يقول: يا رب، خذلي اليوم حقي ممن ظلمني، فيغضب عند ذلك الجليل، وتغضب لغضبه جهنم والملائكة أجمعون».

٢- إن الله تبارك وتعالى أذخر لحبيته فاطمة عليها السلام تعزية خاصة في يوم القيامة، ولهذا يُريها أولاً ما جرى على ولدها، ثم يعزيها، وتعزية الله جل شأنه بالألا ينظر في محاسبة العباد حتى تدخل سيّدة النساء عليها السلام وذريتها وشيعتها الجنة: «إني أذخرت لك عندي تعزية بمصيبتك فيه، وإني جعلت تعزية اليوم أني لا أنظر في محاسبة العباد حتى تدخلني أنت وذريتك وشيعتك».

رابعاً: أن الله عز وجل سيقّر عين سيّدة نساء العالمين عليها السلام بإلقاء قتلة الإمام الحسين عليه السلام وظالميه في النار وبئس المصير.

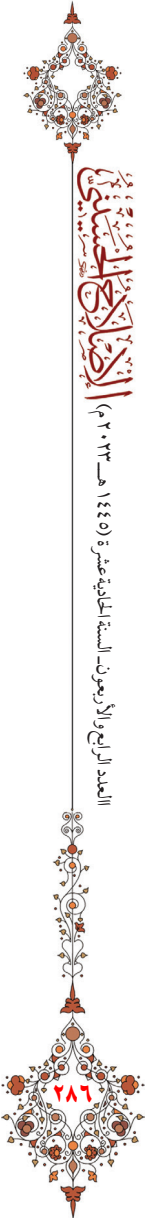
النقطة الثالثة: عذاب قتلة الإمام الحسين عليه السلام في القيامة

توجد جملة من الروايات والنصوص التي تدل على شديد العذاب الذي يُلاقيه قتلة الإمام الحسين عليه السلام، وقد عقد العلامة المجلسي رحمته الله في (البحار) باباً تحت عنوان: (باب ٦٣ كفر قتلته عليه السلام، وثواب اللعن عليهم، وشدة عذابهم، وما ينبغي أن يقال عند ذكره صلوات الله عليه)^(١).

وهنا نقف على جملة من هذه النصوص من كتاب (البحار) وغيره:

١- عن الرضا، عن آبائه عليهم السلام، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «إنّ قاتل الحسين بن علي عليه السلام في تابوت من نار، عليه نصف عذاب أهل الدنيا، وقد شدّ يده ورجلاه بسلاسل من نار، منكس في النار، حتى يقع في قعر جهنم، وله ريح يتعوذ أهل النار إلى

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٢٩٩.



رَبِّهِمْ مِنْ شِدَّةِ نَتْنِهِ، وَهُوَ فِيهَا خَالِدٌ ذَائِقُ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ، مَعَ جَمِيعٍ مِّنْ شَائِعٍ عَلَى قَتْلِهِ، كَلَّمَا نَضَجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلَ اللَّهُ ﷻ عَلَيْهِمُ الْجُلُودَ [غَيْرَهَا] حَتَّى يَذُوقُوا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ، لَا يَفْتَرُ عَنْهُمْ سَاعَةً، وَيَسْقُونَ مِنْ حَمِيمٍ جَهَنَّمَ، فَالْوَيْلُ لَهُمْ مِنْ عَذَابِ النَّارِ»^(١).

٢- عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ فِي النَّارِ مَنْزِلَةً لَمْ يَكُنْ يَسْتَحِقُّهَا أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ إِلَّا بِقَتْلِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ وَيَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا ﷺ»^(٢).

٣- وَرَدَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي حَدِيثٍ: «وَيُلْقَى أَعْدَاؤُهَا وَأَعْدَاءُ ذُرِّيَّتِهَا فِي جَهَنَّمَ»^(٣).

٤- وَفِي (تَفْسِيرِ فَرَاتٍ) عَنْ سَلِيمَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ مَعْنَعَانٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ﷺ يَقُولُ: «دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ عَلَى فَاطِمَةَ ﷺ وَهِيَ حَزِينَةٌ، فَقَالَ لَهَا: مَا حَزَنُكَ يَا بَنِيَّةُ؟ قَالَتْ: يَا أَبَتِي، ذَكَرْتُ الْمَحْشَرَ وَوُقُوفَ النَّاسِ عِوَاذَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ. قَالَ: يَا بَنِيَّةُ، إِنَّهُ لِيَوْمٌ عَظِيمٌ، وَلَكِنْ قَدْ أَخْبَرَنِي جَبْرِئِيلُ عَنْ اللَّهِ ﷻ أَنَّهُ قَالَ: أَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَا، ثُمَّ أَبِي إِبْرَاهِيمَ، ثُمَّ بَعْلُكَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ﷺ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ إِلَيْكَ جَبْرِئِيلُ فِي سَبْعِينَ أَلْفَ مَلَكٍ فَيَضْرِبُ عَلَى قَبْرِكَ سَبْعَ قُبَابٍ مِنْ نُورٍ...»^(٤).

ثُمَّ يَصِفُ حَالاً عَجِيباً لِكِرَامَةِ الزَّهْرَاءِ ﷺ، تَقَدَّمَ صُورٌ مِنْهُ فِي الرِّوَايَاتِ السَّابِقَةِ، وَتَزِيدُ عَلَيْهَا هَذِهِ الرِّوَايَةُ مَا يَلِيقُ بِشَأْنِهَا ﷺ، إِلَى أَنْ يَقُولَ ﷺ: «ثُمَّ يَنْصَبُ لَكَ مَنْبَرٌ مِنَ النُّورِ فِيهِ سَبْعُ مَرَاقٍ، بَيْنَ الْمَرْقَاةِ إِلَى الْمَرْقَاةِ صُفُوفُ الْمَلَائِكَةِ، بِأَيْدِيهِمْ أَلْوِيَةُ النُّورِ، وَيَصْطَفِ الْحُورُ الْعَيْنُ عَنْ يَمِينِ الْمَنْبَرِ وَعَنْ يَسَارِهِ... فَإِذَا صَرَّتْ فِي أَعْلَى الْمَنْبَرِ أَتَاكَ جَبْرِئِيلُ ﷺ فَيَقُولُ لَكَ: يَا فَاطِمَةُ، سَلِي حَاجَتُكَ. فَتَقُولِينَ: يَا رَبِّ، أَرْنِي الْحُسَيْنَ وَالْحُسَيْنَ، فَيَأْتِيَانِكَ وَأُودَاجُ الْحُسَيْنِ تَشْخَبُ دِمَاءً، وَهُوَ يَقُولُ: يَا رَبِّ، خَذْ لِي الْيَوْمَ حَقِّي مِمَّنْ ظَلَمَنِي. فَيَغْضَبُ عِنْدَ ذَلِكَ الْجَلِيلُ، وَيَغْضَبُ لَغَضْبِهِ جَهَنَّمُ وَالْمَلَائِكَةُ أَجْمَعُونَ، فَتَزْفَرُ جَهَنَّمُ عِنْدَ ذَلِكَ زَفْرَةً، ثُمَّ يَخْرُجُ فَوْجٌ مِنَ النَّارِ وَيَلْتَقِطُ قَتْلَةَ الْحُسَيْنِ وَأَبْنَاءَهُمْ وَأَبْنَاءَ

(١) المصدر السابق: ص ٣٠٠.

(٢) المصدر السابق: ص ٣٠١.

(٣) المصدر السابق: ج ٤٣، ص ٢٢٣.

(٤) المصدر السابق: ج ٨، ص ٥٣.



أبنائهم، ويقولون: يا رب، إنا لم نحضر الحسين، فيقول الله لزبانية جهنم: خذوهم بسيماهم بزرقة الأعين وسواد الوجوه، خذوا بنواصيهم فآلقوهم في الدرك الأسفل من النار؛ فإنهم كانوا أشدّ على أولياء الحسين من آبائهم الذين حاربوا الحسين فقتلوه»^(١).

٥- قال عليه السلام: «إذا كان يوم القيامة نُصب لفاطمة عليها السلام قبة من نور، وأقبل الحسين عليه السلام رأسه على يده، فإذا رآته شهقت شهقة لا يبقى في الجمع ملك مقرب، ولا نبي مرسل، ولا عبد مؤمن، إلّا بكى لها، فيمثل الله عز وجل رجلاً لها في أحسن صورة، وهو يخاصم قتله بلا رأس، فيجمع الله قتله والمجهزين عليه ومَن شرك في قتله، فيقتلهم حتى أتى على آخرهم، ثم ينشرون فيقتلهم أمير المؤمنين عليه السلام، ثم ينشرون فيقتلهم الحسن عليه السلام، ثم ينشرون فيقتلهم الحسين عليه السلام، ثم ينشرون فلا يبقى من ذريتنا أحد إلّا قتلهم قتله، فعند ذلك يكشف الله الغيظ وينسى الحزن. ثم قال أبو عبد الله عليه السلام: رحم الله شيعتنا، شيعتنا والله هم المؤمنون؛ فقد والله شركونا في المصيبة بطول الحزن والحسرة»^(٢).

الخاتمة

نستعرض في هذه الخاتمة مجموعة النتائج التي توصلنا إليها خلال البحث، والتي هي كما يلي:

١. إنّ الإمام الحسين عليه السلام - وبحسب ما ورد في النصوص الروائية - يمتلك مقامات متعدّدة، كمقام السيادة، ومقام الشفاعة، ومقام الشهادة على الأعمال، ونحو ذلك.
٢. ذكر غير واحد من علمائنا الأبرار أنّ المعاد من أركان الإسلام، وله موضوعية في تحقّقه، وأنّ منكره أو الجاهل به ليس بمسلم.
٣. تشير جملة من النصوص إلى أنّ الله سبحانه وتعالى سيُظهر في يوم المحشر ظلمة أبي عبد الله الحسين عليه السلام، وسينتقم ممّن ظلمه وقتله.

(١) المصدر السابق: ص ٥٤.

(٢) المصدر السابق: ج ٤٣، ص ٢٢٢.

٤ . من أسباب اختيار يوم القيامة موعداً للانتقام من قتلة أبي عبد الله عليه السلام وظالميه هو كون ذلك اليوم مظهراً للعدل الإلهي، ومحلاً لتنفيذ وعده ووعيده لعباده، فهو يوم الجزاء الأوفى. أضف إلى ذلك فإن من أسباب ذلك الاختيار هو أن الله تعالى جعل يوم القيامة موعداً لإبراز فضل أهل البيت عليه السلام، ومكانتهم، ومقامهم.

٥ . وفي مقام دفع إشكالية منافاة الحزن مع يوم القيامة توصلنا إلى أنه لا مانع من إبراز الحزن من قبل الأنبياء والأوصياء في يوم القيامة؛ لمناشئ غير أهوال يوم القيامة كما نصّت على ذلك بعض الآيات والروايات.

٦ . إن الانتقام من قتلة الإمام الحسين عليه السلام غير محصور بيوم القيامة وحسب، بل يشمل الحياة الدنيا وعالم الرجعة والبرزخ أيضاً، وهذا بالفعل ما أكدته الشواهد القرآنية والروائية والتاريخية.

٧ . هناك العديد من النصوص الروائية وردت في مقام بيان أن يوم القيامة سيكون محلاً لإبراز الظلامة الحسينية، وهذه النصوص من غير البعيد دعوى بلوغها حد الاستفاضة. كما يستفاد من هذه النصوص أن الإبراز المذكور سيكون بمحضر جميع الخلائق من الأولين والآخرين، وأن النبي صلى الله عليه وآله سيكون ممن يطالب بدم ولده الحسين عليه السلام، ومن المطالبين بذلك أيضاً السيدة الزهراء عليها السلام، التي سيقر الله عينها بإلقاء قتلة الإمام الحسين عليه السلام وظالميه في النار وبئس المصير.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

١ . أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين (ت ١٣٧١ هـ)، تحقيق وتخريج: حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٣ م.

٢ . الأمالي، الشيخ محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠ هـ)، تحقيق: قسم الدراسات

الإسلامية - مؤسّسة البعثة، نشر: دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، قم المقدّسة، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

٣. الأمالي، محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي الملقّب بالشيخ المفيد (ت ٤١٣هـ)، تحقيق: حسين الاستاد ولي، علي أكبر الغفّاري، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.

٤. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، طبعة جديدة منقّحة مع إضافات.

٥. بحار الأنوار، العلامة محمد باقر المجلسي (ت ١١١١هـ)، تحقيق: محمد باقر البهبودي، مؤسّسة الوفاء، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

٦. تذكرة الخواصّ، يوسف بن فرغلي بن عبد الله البغدادي (ت ٦٥٤هـ)، تقديم: العلامة السيّد محمد صادق بحر العلوم، مكتبة نينوى الحديثة، طهران.

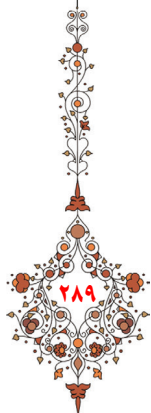
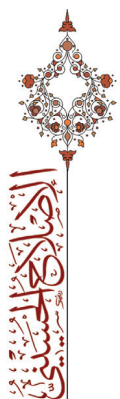
٧. تفسير العياشي، محمد بن مسعود العياشي (ت ٣٢٠هـ)، تحقيق وتصحيح وتعليق: السيّد هاشم الرسولي المحلّاق، نشر: المكتبة العلمية الإسلامية، طهران.

٨. ثواب الأعمال وعقاب الأعمال، محمد بن علي بن بابويه المعروف بالشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ)، تقديم: السيّد محمد مهدي السيّد حسن الخرسان، منشورات الشريف الرضي، قم المقدّسة، الطبعة الثانية، ١٣٦٨ش.

٩. الخصال، محمد بن علي بن بابويه المعروف بالشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ)، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفّاري، مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين، قم المشرّفة، ١٤٠٣هـ / ١٣٦٢ش.

١٠. ذوب النّصار في شرح الثّار، جعفر بن محمد بن جعفر المعروف بابن نما الحليّ (ت ٦٤٥هـ)، تحقيق: فارس حسن كريم، مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين، قم المشرّفة، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

١١. الروضة في فضائل أمير المؤمنين (عليه السلام) علي بن أبي طالب، شاذان بن جبرائيل



بن إسماعيل القمّي (ت نحو ٦٦٠ هـ)، تحقيق: علي الشكرجي، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ هـ.

١٢ . سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، نشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م.

١٣ . صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦ هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م.

١٤ . عيون أخبار الرضا عليه السلام، محمد بن علي بن بابويه المعروف بالشيخ الصدوق (ت ٣٨١ هـ)، تصحيح وتعليق وتقديم: الشيخ حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م.

١٥ . كامل الزيارات، جعفر بن محمد بن قولويه القمّي (ت ٣٦٨ هـ)، تحقيق: الشيخ جواد القيومي - لجنة التحقيق، مؤسسة نشر الفقاهة، ١٤١٧ هـ.

١٦ . المحاسن، أحمد بن محمد بن خالد البرقي (ت ٢٧٤ هـ)، تصحيح وتعليق: السيّد جلال الدين الحسيني المحدث، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٧٠ هـ / ١٣٣٠ ش.

١٧ . المزار الكبير، محمد بن جعفر المشهدي الحائري (ت ق ٦)، تحقيق: جواد القيومي الإصفهاني، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدّسة، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ.

١٨ . مسند الإمام أحمد، أحمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠١ م.

١٩ . مصباح الزائر، السيّد علي بن موسى بن طاووس (ت ٦٦٤ هـ)، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، قم المقدّسة، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ.

٢٠ . مفاهيم القرآن، الشيخ جعفر السبحاني.

٢١ . مقتل الحسين عليه السلام، الموفق بن أحمد بن محمد المكي الخوارزمي (ت ٥٦٨ هـ)،

تحقيق: الشيخ محمد السماوي، أنوار الهدى، قم المقدّسة، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

٢٢ . موسوعة السيّد الخنوي، أبو القاسم الخنوي الموسوي (ت ١٤١٣هـ)، مؤسّسة إحياء آثار الإمام الخنوي عليه السلام، الطبعة الرابعة، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م.

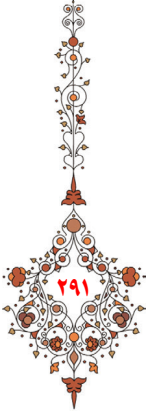
٢٣ . مئة منقبة من مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والأئمّة من ولده عليه السلام من طريق العامّة، محمد بن أحمد القمّي المعروف بابن شاذان (ت نحو ٤١٢هـ)،

تحقيق ونشر: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، قم المقدّسة، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.

٢٤ . نظم المتناثر من الحديث المتواتر، محمد جعفر الكتاني (ت ١٣٤٥هـ)، دار الكتب السلفية للطباعة والنشر، مصر، الطبعة الثانية.

٢٥ . نهج البلاغة، الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، جمع: السيّد محمد بن الحسين بن

موسى المعروف بالشریف الرضي، تحقيق: صبحي الصالح، الطبعة الأولى، بيروت، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م.



الحركة الحسينية والنهضة المهدوية

دراسة في تجليات الاشتراك

الشيخ علي كريم

باحث وأستاذ في الحوزة العلمية، ماجستير في الدراسات الإسلامية،

إجازة في اللغة العربية وآدابها/ لبنان

The Husayni Movement and the Mahdist Uprising – A Study in Shared Manifestations

Shaykh Ali Karayyim

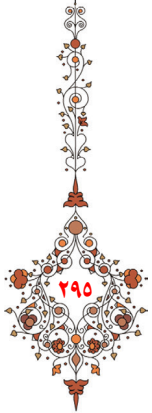
Researcher and Lecturer at the Islamic Seminary,
Master's in Islamic Studies, Degree in Arabic Language
and Literature / Lebanon

ملخص البحث

لطالما شكّل الإصلاح الفردي والمجتمعي مرتكزاً قرآنياً وهدفاً للمصلحين، وجوهراً لرسالات الأنبياء عليهم السلام؛ ومن هنا نلاحظ معياريته في الحركة الحسينية، مضافاً إلى معيارية الحق وقبوله في هذه الحركة المباركة. ونظراً للعلاقة الوثيقة جداً بين الإمام الحسين عليه السلام وحركته بالإمام المهدي عليه السلام، وقيامه علاقة من جهة المبادئ الثورية والحركية، ومن جهة عمق الحرارة والوجدان، بالإضافة إلى تجليات اشتراك تبرز على عدة مستويات، كوحدة الهدف، ومعيارية الإصلاح ومركزيته، والثأر من النهج الإقصائي والإلغائي، مع ملاحظة أنّ هذا الثأر لقتل الإمام الحسين عليه السلام ليس ثأراً شخصياً، بل ثأر من النهج والمشروع عبر إظهار الدين وتطبيق الأطروحة الإسلامية الشاملة، اعتماداً على المنهج السلمي المعتمد على العنصر البشري في تغيير الواقع المعاش بأبعاده المختلفة الثقافية والسياسية والأخلاقية؛ بغية إحياء الرسالة المحمدية، والسعي إلى تطبيقه تطبيقاً شاملاً.

من هنا؛ سيحاول هذا البحث الإجابة عن هذا السؤال المركزي: ما هو جوهر العلاقة والوصل بين الإمام الحسين عليه السلام والإمام المهدي عليه السلام؟ وكيف تجلّت سمات الاشتراك بينهما خصوصاً في النهضة الحسينية والقيام المهدي؟ وذلك من خلال استخدام المنهج العقلي التحليلي والاستقرائي، بالإضافة إلى المنهج الاستدلالي القرآني والروائي.

الكلمات المفتاحية: الحركة الحسينية، النهضة المهدوية، الإصلاح، الحق، الثأر، إظهار الدين، المنهج التغييري.

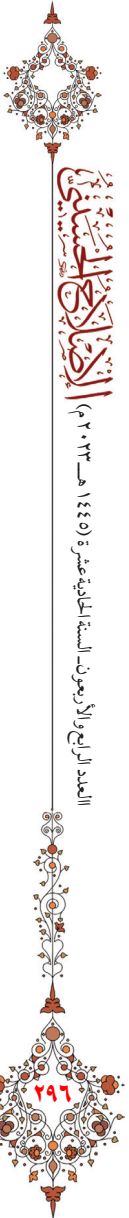


Abstract

Individual and societal reform has always been a Quranic foundation and a goal for reformers, as well as the essence of the missions of the Prophets (PBUH). This is evident in the Husayni movement, where reform is a central criterion, alongside the criterion of truth and its acceptance in this blessed movement. Given the profound connection between Imam al-Husayn (PBUH) and his movement with Imam al-Mahdi (MAHHR), their relationship is rooted in revolutionary principles and emotional depth, as well as shared manifestations that emerge on multiple levels. These include the unity of purpose, the centrality of reform, and the avenging of exclusionary and eliminatory ideologies. It is important to note that avenging Imam al-Husayn's (PBUH) martyrdom is not personal, but rather a rejection of the ideology and project behind it, through the demonstration of the religion and the implementation of the comprehensive Islamic framework. This is achieved through a peaceful methodology that relies on humans to transform the lived reality in its cultural, political, and ethical dimensions, with the aim of reviving the Muhammadan message and striving for its comprehensive application.

This study seeks to answer the central question: What is the essence of the relationship and connection between Imam al-Husayn (PBUH) and Imam al-Mahdi (MAHHR)? How are the shared characteristics between them manifested, particularly in the Husayni and Mahdist uprising? The research employs an analytical and inductive rational methodology, alongside Quranic and Hadith-based reasoning.

Keywords: Husayni Movement, Mahdist Revival, Reform, Truth, Avenging, Demonstration of Religion, Transformative Methodology.



يُشكّل الإصلاح الفردي والمجتمعي هدفاً مشتركاً تسعى إلى تحقيقه كلّ الحركات الإصلاحية على مدى العصور، وكذلك قادة هذه الحركات من الأنبياء والأئمة المعصومين عليه السلام، أو غيرهم من المصلحين على مرّ التاريخ، بل كثير منهم اعتبروا الإمام الحسين عليه السلام قدوةً ورمزاً للثائرين والمصلحين على مدى الأجيال والأعصار، فكم من الأسماء غير المسلمة مرّت على السمع وهي تطري الحسين عليه السلام بنحو أو بآخر، كشخص أو صفات أو قيم تجلّت في نهضته أو ثورته، وكثير من الخطباء والكتّاب والمؤلّفين يذكرون أسماء من الغرب والشرق تعرّضت لذكر الإمام الحسين عليه السلام بالمدح والثناء، خصوصاً في البعد الإصلاحي والتضحيوي والنهضوي في هذه الثورة وإن كان بعضها لم تثبت صحّته، ولكنّ كثيراً من ذلك قد ثبت بنحوٍ من الأنحاء^(١).

من هنا؛ سأكتفي بقول قد صحّح الشيخ الكرباسي في موسوعته نسبته إلى قائله في بيان مركزية القيمة الإصلاحية والجهادية، حيث يفتخر الزعيم الهندي (جواهر لال نهرو) بمشاركته في أحد الاحتفالات التي تُقام في ذكرى أبي عبد الله الحسين عليه السلام، قائلاً: «فاجعة كربلاء، هي واحدة من الوقائع التاريخية البارزة التي تمكّنت من النفوذ في العالم الإنساني... رغم مضي قرون على واقعة كربلاء إلاّ أنّه لا زال الذين يصابون بمثل مصاب كربلاء وآلامها يتأسّون بالحسين، ويتوقّد في قلوبهم نور محبة الحسين وأنصاره.

(١) تصدّى الشيخ محمد صادق الكرباسي عند كتابته (دائرة المعارف الحسينية) في الجزء الأوّل منها تحت عنوان: (قالوا في الحسين) لبيان الصحيح من هذه الأقوال وغير الصحيح، وقد وضع العاطفة جانباً، وتجاوز الانبهار الذي يغري العواطف والمشاعر بالقبول دون مراجعة لما قيل، وتعامل مع النصوص الأجنبية تعاملًا علميًا وتوثيقاً.

ومن البديهي كلّما وجد الإخلاص في العمل وكان الهدف عظيماً، كلّما كان تأثيره أكثر وأدوم... وهذه حقيقة لا يمكن إنكارها؛ فإنّ أجيالاً متعاقبة أخذت من تضحيات أنصار الحسين درس النهضة والجهاد ضدّ الطواغيت الجبارة، وهذا بحدّ ذاته لدليل على ميزة العمل الجهادي الذي قام به الإمام الحسين...»^(١).

وقد رفع الإمام الحسين عليه السلام منذ البداية هذا الشعار النبوي، الذي ينصّ عليه قوله تعالى: ﴿...إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾^(٢)، فقد ركّز الإمام الحسين عليه السلام من البداية على أنّ هدفه الرئيس هو تحقيق الإصلاح، حينما دعا قبيل خروجه من المدينة إلى مكّة بدواة وبياض، وكتب هذه الوصية التاريخية لأخيه محمد بن الحنفية:

«بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أوصى به الحسين بن عليّ بن أبي طالب إلى أخيه محمد المعروف بابن الحنفية: أنّ الحسين يشهد أنّ لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأنّ محمداً عبده ورسوله، جاء بالحقّ من عند الحقّ، وأنّ الجنّة والنار حقّ، وأنّ الساعة آتية لا ريب فيها، وأنّ الله يبعث من في القبور، وأني لم أخرج أشراً ولا بطراً، ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي صلى الله عليه وآله، أريد أن آمر بالمعروف وأنهي عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فمن قبلني بقبول الحقّ فالله أولى بالحقّ، ومن ردّ عليّ هذا أصبر حتّى يقضي الله بيني وبين القوم بالحقّ، وهو خير الحاكمين، وهذه وصيتي يا أخي إليك، وما توفّيقني إلا بالله عليه توكلت وإليه أُنِيبُ»^(٣).

إنّ علاقة الإمام الحسين عليه السلام وحركته بالإمام المهدي عليه السلام وقيامه علاقة وثيقة جداً من حيث المبادئ الثورية والحركية، وتتجلّى هذه العلاقة في الوجدان الشيعي المستخلص من الأدعية والروايات، ففي العقيدة الشيعية أنّ الإمام الحسين عليه السلام

(١) الكرباسي، محمد صادق، قالوا في الحسين: ج ١، ص ١٢٤-١٢٥.

(٢) هود: الآية ٨٨.

(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٣٢٩-٣٣٠.

سيرجع مع الإمام المهدي عليه السلام؛ وأكثر ما تتجلى فيه هذه العلاقة الوجدانية الثورية هو نصّ زيارة الناحية المقدّسة المنسوبة إلى إمام الزمان عليه السلام ^(١): «السلام عليك سلام العارف بحرمتك، المخلص في ولايتك، المتقرّب إلى الله بمحبّتك، البريء من أعدائك، سلام من قلبه بمصابك مقروح، ودمعه عند ذكرك مسفوح، سلام المفجوع المحزون، الواله المستكين، سلام من لو كان معك بالطفوف لوقاك بنفسه حدّ السيوف، وبذل حشاشته دونك للحتوف، وجاهد بين يديك، ونصرك على من بغى عليك، وفداك بروحه وجسده، وماله وولده، وروحه لروحك فداء، وأهله لأهلك وقاء» ^(٢).

إنّ هذه العلاقة الوجدانية العميقة نابعة من تجلّيات ومظاهر اشتراك عديدة بين الإمامين المهامين عليهم السلام؛ ومن هنا سأقوم في هذا البحث باستعراض أهمّ معالم الاشتراك وتجلّياتها.

أولاً: هدفية الإصلاح وقبول الحق وجعلهما معياراً

إنّ التأمل في القرآن الكريم وآياته الشريفة يُظهر الاهتمام الإلهي بمفردتي الإصلاح والإصلاح والنهي عن ضديهما، أي الفساد والإفساد، وكلّ من الصلاح والفساد مختصّان في أكثر الاستعمال بالأفعال، وقوبل الصلاح في القرآن تارةً بالفساد، وأخرى بالسيّئة. وإصلاح الله تعالى للشيء يكون تارةً بخلقه إياه صالحاً، وثانية بإزالة ما فيه من الفساد بعد وجوده، وثالثة يكون بالحكم له بالصلاح.

كذلك الأنبياء عليهم السلام قد مارسوا هذه المفردة تارةً من خلال المحاججة وبيان الأدلّة والبراهين، وأخرى من خلال بيان الأمراض السلوكية التي تلمّ بالمجتمع،

(١) زيارة الناحية المقدّسة. هذا؛ وآته من أقدم المصادر التي نقلت هذه الزيارة الشريفة كتاب (المزار) من كتب الشيخ المفيد (ت ٤١٣ هـ). أنظر: المصدر السابق: ج ٩٨، ص ٣١٧. مع ملاحظة أنّ نسبة هذه الزيارة لصاحب الزمان هو محلّ اختلاف وأخذ وقع بين الأعلام.

(٢) المصدر السابق: ج ٩٨، ص ٢٣٨.

والتي تؤدي إلى الفساد والهلاك، وصولاً إلى المرتبة القصوى في مجال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بما يشكّلانه من مقدّمة للإصلاح من خلال الحرب والقتال، وقطع دابر المشركين والمفسدين في الأرض.

من هنا؛ يمكن القول بأنّ لفظ الإصلاح لفظ قرآني وروائي له دلالات عظيمة، بل يمكن الترقّي والقول بأنّ الأحكام الدينية - سواء التشريعية، أو العقائدية، أو الأخلاقية والقيمية - هدفها وغايتها إصلاح الإنسان في الاعتقاد والسلوك والعبادات والمعاملات، قال تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(١).

لقد ذكر القرآن الكريم كذلك كثيراً من ثمرات الإصلاح ورفع من درجات الصالحين، وأنزلهم أعلى المنازل، ووصفهم بجميل الصفات، فالصالحون مع أهل الدرجات العُلا في الجنة، وهم الذين يستحقّون ولاية الله، قال تعالى: ﴿إِنَّ وَلِيََّ اللَّهِ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ تَوَكَّلِي الصَّالِحِينَ﴾^(٢).

وقد ركّزت الآيات على أنّ الله لا يضيع أجر المصلحين؛ فأجرهم عند الله محفوظ، بل يصل الأمر إلى أنّ الصلاح يوجب وراثته الأرض والاستخلاف فيها، قال تعالى: ﴿أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾^(٣).

يعرّف الشهيد مطهري الإصلاح بأنّه: «التغيّر إلى استقامة الحال على ما تدعو إليه الحكمة، فالحرّكات الإصلاحية هي الدعوات التي تُحرّك قطاعات من البشر لإصلاح ما فسد في الميادين الاجتماعية المختلفة؛ انتقالاً بالحياة إلى درجة أرقى في سُلّم التطوّر الإنساني»^(٤).

(١) الأعراف: الآية ٥٦.

(٢) الأعراف: الآية ١٩٦.

(٣) الأنبياء: الآية ١٠٥.

(٤) مطهري، مرتضى، الحركات الإسلامية: ص ١٠.

من هنا؛ غالباً ما يقترن لفظ الإصلاح بالحركة أو الحركات الإصلاحية، لذلك نجد مَنْ يفضل إطلاق مصطلح (الحركة الحسينية)، أو (النهضة الحسينية) على ما قام به الإمام الحسين عليه السلام من وقوف في وجه الباطل وسعي لإقامة الحق؛ باعتبار أنّ الثورات غالباً ما تطلب السرعة في التغيير، وتكون الدموية والقوة الصلبة فيها ظاهرة، أمّا الإصلاح فيتبنّى المرحلية والتدرّج والقوة الناعمة قبل الوصول إلى القوة الصلبة والخشنة: «فلا يُفرّق بينه وبين مصطلح الثورة على مستوى التغيير وشموله، وإنّما الاختلاف من حيث الأسلوب في التغيير وزمن التغيير، فالثورة تسلك سُبُل العنف - غالباً - والسرعة في التغيير، بينما تتمّ التغييرات الإصلاحية بالتدرّج. وكثيراً ما تكون للثورة الأولوية لتغيير الواقع، بينما تبدأ مناهج الإصلاح عادة بتغيير الإنسان، وإعادة صياغة نفسه وفق الدعوة الإصلاحية، وبعد ذلك ينهض هذا الإنسان بتغيير الواقع وإقامة النموذج الإصلاحي الجديد»^(١).

لقد انطلق أئمة أهل البيت عليهم السلام دائماً من القرآن، وأرادوا تسهيل مفرداته ومعانيه على أرض الواقع؛ ومن هنا تبرز بوضوح معيارية هذا المفهوم ومركزيته، وكونه الغاية والهدف الأسمى للنهضة الحسينية، خصوصاً بعد ما حصل من انحراف وصل إلى أبعد مدياته، بحيث شمل كلّ مفاصل الأمة التي أصبحت مخدّرة عقلياً ونفسياً وقيميّاً، فكانت بحاجة إلى صدمة موجعة تجعلها تستفيق من هذا السبات العميق، وهذا قد يكون واحداً من أهمّ عوامل وأسباب النهضة الحسينية المباركة.

العنوان الآخر البارز في هذا الخطاب الحركي للإمام الحسين عليه السلام هو ملاك قبول الحقّ، الذي هو محور مقدّس، يجمع حوله كلّ مقولات وغايات الله تعالى في تعايطه مع عباده في هذه الحياة الدنيا، بل هو من أسماء الله تعالى، ومما يدلّ على مركزية هذه المفردة الحجم الهائل الذي وردت فيه من آيات القرآن الكريم، وتعدّد الموصوفات التي وُصِفَتْ بها، فقد وردت مع مشتقاتها في القرآن الكريم حوالي ٢٨٣ مرّة.

(١) المصدر السابق.

فمعرفة الحق والبحث عنه وتمييزه عن الباطل والجهل به، ومحاولة تسييله وتطبيقه في الحياة العملية هو محور رسالات ودعوات الأنبياء والأولياء والمصلحين، وهو في منظور أمير المؤمنين عليه السلام عبارة عن التبادل الذاتي، والعامل المحرك للفرد والمجتمع في طريق بناء الذات والمجتمع: «فالحق أوسع الأشياء في التواصف، وأضيقها في التناصف»^(١)، فتطبيق الحق من أدق الأمور وأصعبها.

أمّا تعريفه المفهومي واللفظي فهو من الاتساع بمكان، بل حتّى في حال الخصومة والنزاع كلّ واحد يدّعي أنّه على الحق، ويأتي بالأدلة والبراهين على مدّعا. فقبول الحق والوقوف في وجه الباطل يُبعد الإنسان المصلح عن منافعه الشخصية الضيقة، كالغنى، والمنزلة، والشرف النسبي، فلم يقل الإمام الحسين عليه السلام: فَمَنْ قَبْلِي لَشَرِّي وَمَنْزِلَتِي فِي الْمُسْلِمِينَ، وقرابتي من رسول الله صلى الله عليه وآله، بل دعا الناس لأن يكون ملاك قبولهم له ومعياره هو أنّ ما يقوله هو الحق الكامل، أو الحق كلّ، في مقابل الباطل الكامل، أو الباطل كلّ الذي يمثله يزيد وأعوانه.

فصحيح أنّ ذات الإمام الحسين عليه السلام الشريفة فُتيت في حال شهادته، ولكن إذا نظرنا للنتائج والآثار البارزة والمفصلية، والهزّة القيمية التي أحدثتها في وجدان الأمة، نجد أنّ صداها بقي ممتدّاً إلى أيّامنا هذه، فشهادة الحسين عليه السلام وإن كان ظاهرها هو فناء وموت واستشهاد، ولكنّه فناء في المعشوق يبعث ولادةً جديدةً وحياةً للأمة وقيمها، وثبوت واقعي للفكرة والكلمة والمبدأ، كمبدأ التحرّر من الطواغيت والظلمة، وترسيخ العدالة والإحسان في المجتمع، وبذل الغالي والنفيس في سبيل عزّة الدين ورفعته^(٢).

وقد سرّت - بسبب هذا الفناء - قدسية الله تعالى الذي هو أولى بالحق إلى وجود

(١) نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده: ج ٢، ص ١٩٨.

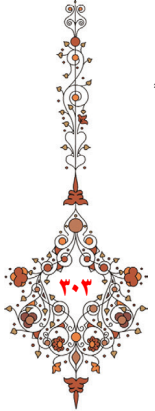
(٢) راجع: شمس الدين، محمد مهدي، ثورة الحسين في الواقع التاريخي والوجدان الشعبي: ص ١٤٠.

الحسين عليه السلام، فأصبح مظهراً وتجلياً للحق وقبوله، وأصبح كذلك محرّكاً قيماً على مدى الأمكنة والأزمنة، وباعثاً إلى النهوض بالحق.

إنّ نفس ما قام به الإمام الحسين عليه السلام في وقته سيقوم به الإمام المهدي عليه السلام، ولكن في مجال أوسع وأرحب، يُكمل ما بدأ به سيّد الشهداء عليه السلام في عرضه لمشروع الإصلاح؛ فالمشترك القيمي المركزي والأساسي بين الإمامين الحسين وحفيده المهدي عليه السلام واحد، وهو ضرورة تطبيق منهاج الله تعالى في أرضه، وبسطه على عباده، فالروايات نصّت على أنّ الإمام المهدي عليه السلام يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، فقد ورد عن داود بن الحصين، عن أبي بصير، عن الصادق جعفر بن محمد، عن آبائه عليهم السلام، قال: «قال رسول الله ﷺ: المهدي من ولدي، اسمه اسمي، وكنيته كنيتي، أشبه الناس بي خلقاً وخلقاً، تكون له غيبة وحيرة حتى يضلّ الخلق عن أديانهم، فعند ذلك يُقبل كالشهاب الثاقب، فيملأها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً»^(١).

هذه الرواية المشهورة والتأسيسية في القضية المهدوية تشير إلى عدّة نكات، فهي تحدّد اسم الإمام وكنيته وخلقه وخلقه، وتربط كلّ ذلك بالمبدأ الإسلامي الأصل وهو النبي الخاتم ﷺ، وكذلك الإشارة الواضحة إلى الغيبة؛ باعتبارها مفصلاً تاريخياً مركزياً يشكّل محور الابتلاء والامتحان لقافلة البشرية، إلّا أنّ أهمّ إشارة تُشير إليها هذه الرواية هي أنّ الحديث الصحيح هو أنّ الإمام ﷺ سيملاً الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، لا كما توهمه بعض - والمباني الخاطئة التي بناها على ذلك التوهم - وهو أنّ الإمام سيملاً الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً، فبدأ يُنظر للانتظار السلبي وعدم الاستعداد؛ باعتبار أنّ امتلاء الأرض بالظلم والجور هو أمر حتمي، وبالتالي فلندع ذلك يحصل، أو فلنساعده على بعض المبادئ الباطلة. إنّ هذا الفهم المغلوط والخاطيء يشكّل مخالفةً فاضحة لمفاهيم القرآن التي تدعو

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٥١، ص ٧٢.



إلى رفض الظلم، وعدم الركون إلى الظالمين، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَمَا تَمْسِكُمُ النَّارُ...﴾^(١). بل إن ذلك يعني تعطيل أهمّ فرائض الإسلام وأحكامه وتشريعاته، كفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الله والجهاد في سبيله، وهي تكاليف عامّة لا تختصّ بزمان دون زمان، أو مكان دون آخر.

على أنّه ليس معنى (تمتلى الأرض ظلماً وجوراً) الواردة في بعض النصوص هو أن تنعدم قيم الحقّ والتوحيد والعدل على وجه الأرض، ولا يبقى موضع يُعبد الله فيه، فهذا الأمر مستحيل، وهو على خلاف سنن الله، وإلّا فماذا نفعل بالروايات التي تصرّح بضرورة توفرّ القادة الثلاثئة والثلاثة عشر لحركة الإمام عليه السلام، بالإضافة إلى العدد الكبير من الأنصار والجنود الذين يحتاجهم الإمام في عمليّته التغييرية. كما أنّ غيبة الإمام المهدي عليه السلام هي بسبب طغيان الشرّ والفساد والظلم، فكيف يكون طغيان الفساد والظلم شرطاً وسبباً لظهور الإمام عليه السلام وخروجه؟!

فالقصود بهذه الكلمة طغيان سلطان الباطل على الحقّ في الصراع الدائر بين الحقّ والباطل؛ من هنا لا بُدّ للإمام عليه السلام من أنصار وجنود وقادة يساهمون على كلّ الصعد والمستويات في التمهيد لظهوره المبارك، وفي إنجاز هذه النهضة المهدوية. فالقسط والعدل هما التجليّان الأساسيان للحقّ وقبول الحقّ، وصولاً إلى حصول التطبيق الفعلي والبسط الكامل لعدل الله في أرضه.

إنّ ثنائية الإيمان والعدل هذه قد شكّلت جوهر الرسائل السماوية المختلفة، وخصوصاً رسالة الإسلام، بحيث يرتبطان ببعضهما ارتباطاً وثيقاً، وتحكمهما علاقة جدلية في قَمّة التميّز؛ فالعدل هو من أهمّ تجلّيات الإيمان بالله تعالى والقرب منه، قال تعالى: ﴿اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾^(٢)، فلا يمكن للفرد أن يبلغ حقيقة الإيمان دون أن يكون عادلاً.

(١) هود: الآية ١١٣.

(٢) المائدة: الآية ٨.

ومن هنا؛ فعلى أيّ مشروع ديني أو ثقافي أو حضاري ألا يغفل مقولة العدل ويركّز فقط على الإيمان لأهمّيته، بل لا بدّ أن يسعى إلى تحقيق مقولة العدالة الشاملة والبنوية في مختلف المجالات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، فكثير من الجماعات ومن مختلف الأديان نجحت في سوق الناس إلى الإيمان وإقامة الصلاة، ولكنها فشلت في سوقهم إلى العدل وتحليلاته.

فالتركيز على الإيمان وتطبيقاته وإغفال محورية العدل يفرغ الإيمان من محتواه، وقد يجعله ظاهرة طقوسية شكلية، بل أكثر من ذلك قد يؤدي إلى الظلم والاضطهاد، ولنا في الخوارج وفرقهم خير مثال على ذلك في التاريخ الإسلامي، وفي الجماعات التكفيرية خير مثال في العصر الحديث؛ ومن هنا نفهم ما قاله الإمام الصادق عليه السلام: «لا تغتروا بصلاتهم ولا بصيامهم؛ فإنّ الرجل ربّما لهج بالصلاة والصوم حتى لو تركه استوحش، ولكن اختبروهم عند صدق الحديث، وأداء الأمانة»^(١).

من هنا؛ لا بدّ من أطروحة تحقّق الخلاص الحضاري للمجتمعات عبر تطبيق العدالة الاقتصادية، والعدالة الاجتماعية، والعدالة في السياسات الضرائبية، وفي الأعطيات (الأجور)، وفي توزيع الثروات، وإيجاد الفرص، وتحقيق التنمية العادلة في مختلف المجالات الاجتماعية، وليس ذلك إلّا عبر الأطروحة المهدوية؛ فهي مشروع التغيير وبسط العدالة في بنى الاقتصاد والمال والسياسة، وفي منظومات الوعي والفكر والثقافة، بل في معايير صناعة الهويّات والانتماءات، وفي طبيعة الانقسامات الأُمّية والمجتمعية وتمايزها^(٢).

لقد عبّرت بعض النصوص عن كيفية تطبيق العدالة من قبل الإمام عليه السلام بأنّه يقوم بالحقّ، أو أنّه يدعو الناس إلى الإسلام جديداً، فقد روي عن محمد بن عجلان،

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٢، ص ١٠٤.

(٢) راجع: شقير، محمد، فلسفة المهدوية.. العدالة ونهاية التاريخ، مجلّة الموعود: العدد ٥/ ذو القعدة/ ١٤٣٩ هـ.

عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إذا قام القائم عليه السلام دعا الناس إلى الإسلام جديداً، وهداهم إلى أمر قد دُثر، فضل عنه الجمهور، وإنّا سُمّي القائم مهدياً لأنّه يهدي إلى أمر مضلول عنه، وسُمّي بالقائم لقيامه بالحقّ»^(١).

وقد أشارت بعض النصوص إلى أنّ الله تعالى سيقطع حجّة كلّ من يدّعي أنّه لو أمسك الحكم لعدل مثل عدالته عليه السلام، حيث روي عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «دولتنا آخر الدول، ولن يبق أهل بيت لهم دولة إلّا مُلكوا قبلنا، لنلّا يقولوا إذا رأوا سيرتنا: إذا مُلكنا سرنا مثل سيرة هؤلاء، وهو قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾»^(٢)^(٣).

فهذه الرواية تُشير بوضوح إلى أنّ بناء النظام العالمي على أساس من العدالة لا يتأتّى إلّا بعد فشل جميع الأطروحات البشرية في تحقيقها، بحيث تكون كلّ الأنظمة على اختلاف توجهاتها الفكرية والعقائدية قد أدلت بدلوها، ولم تستطع الوصول إلى العدالة الكاملة، ممّا يؤدّي إلى تشكّل أزمة نبوية، أو ما يُعبّر عنه بالانسداد الحضاري. وهذا ما توضّحه رواية أخرى في هذا المجال، وهي ما رُوي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «ما يكون هذا الأمر حتّى لا يبقى صنف من الناس إلّا قد وُلّوا على الناس، حتّى لا يقول قائل: إنّنا لو وُلّينا لعدلنا، ثمّ يقوم القائم بالحقّ والعدل»^(٤).

إنّ هذا كلّهُ يتطلب إعداد الظروف الموضوعية والنفسية بين الناس؛ لتسهيل هذه المهمّة وإيصالها إلى خاتمتها السعيدة، وهذا ما وفرّه الإشعاع الحسيني الممتدّ على مدى الأعصار.

ثانياً: معالم النثر المهدي للحسين عليه السلام

النقطة الثانية في علاقة الإمام المهدي بالإمام الحسين عليه السلام هي أنّ الإمام

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ١، ص ٣٠.

(٢) الأعراف: الآية ١٢٨. القصص: الآية ٨٣.

(٣) الطوسي، محمد بن الحسن، الغيبة: ص ٤٧٢-٤٧٣.

(٤) النعماني، محمد بن إبراهيم، الغيبة: ص ٢٨٢.

المهدي عليه السلام يرفع شعار (يا لثارات الحسين)، كما ورد عن الإمام الرضا عليه السلام: «... يا بن شبيب، إن كنت باكياً لشيء، فابك للحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام؛ فإنه ذُبِحَ كما يذبح الكبش، وقُتِلَ معه من أهل بيته ثمانية عشر رجلاً ما لهم في الأرض شبيهون، ولقد بكت السماوات السبع والأرضون لقتله، ولقد نزل إلى الأرض من الملائكة أربعة آلاف لنصره فوجدوه قد قُتِلَ، فهم عند قبره شعث غبر إلى أن يقوم القائم، فيكونون من أنصاره، وشعارهم: يا لثارات الحسين»^(١).

وقد ورد في العديد من الروايات والنصوص الدينية الواردة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام التأكيد على مفهوم الثأر للإمام الحسين عليه السلام، وأن الإمام المهدي عليه السلام يطلب بثأره ودمه، ويقتل قاتليه وذريتهم، وأنه يخرج في يوم عاشوراء، كما جاء عن الإمام الباقر عليه السلام: «يخرج القائم يوم السبت، يوم عاشوراء، اليوم الذي قُتِلَ فيه الحسين عليه السلام»^(٢). وعن الإمام الباقر عليه السلام أيضاً أنه قال: «هو الحسين بن علي عليه السلام، قُتِلَ مظلوماً ونحن أولياؤه، والقائم منا إذا قام (منا) طلب بثأر الحسين... فإنه لا يذهب من الدنيا حتى ينتصر برجل من آل رسول الله صلى الله عليه وآله، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً»^(٣).

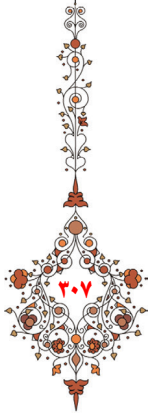
من الجدير بالذكر في هذا المقام أن رفع هذا الشعار من قبل الإمام المهدي عليه السلام ليس من منطلق الانتقام الشخصي المعهود عند الجاهلية وعند من يسير بسيرتهم، بل هو انتقام لله؛ لأنه عليه السلام استشهد من أجل إعلاء كلمة الله، فيكون الله تعالى وليه والمتولي لشأره: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾^(٤)؛ ومن هنا نخاطب

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٢٨٦.

(٢) المازندراني، محمد صالح، شرح أصول الكافي: ج ١٢، ص ٣٦٧.

(٣) العياشي، محمد بن مسعود، تفسير العياشي: ج ٢، ص ٢٩٠، ح ٦٧.

(٤) البقرة: الآية ٢٥٧.



الإمام الحسين عليه السلام في زيارته: «السلام عليك يا ثار الله وابن ثاره، والوتر الموتور»^(١).
فقضية الثأر هنا لا تحمل الأبعاد التي قد يحملها مفهوم الثأر في أيامنا هذه،
من الأبعاد المذهبية، أو الطائفية، أو العشائرية، فالثأر هنا ثأر بالأصالة من النهج،
وبالعرض من الأشخاص، فقاتل الإمام الحسين عليه السلام هو ذلك النهج الذي ينظر إلى
أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم بمنظار الحقد والبغض، ويتعامل معهم بمنطق الإقصاء
والإلغاء، ويمارس بحقهم منهج العدوان والإجرام، ويسعى بثقله إلى ظلمهم
وقتلهم وأذيتهم؛ فإن الثأر من ذلك النهج يتمثل في القضاء عليه وعلى رموزه،
ويتجلى في مواجهة من ينتمي إليه ومن يناصره، ويعمل على مساعدته وإعانتته في كل
زمان ومكان^(٢).

إن الثأر هنا هو ثأر لمشروع الأنبياء، والأطروحة الإلهية على هذه المعمورة، فهو
يحمل هذا البعد الديني والتاريخي، وما تعرض له ذلك المشروع من قتل للأنبياء
والأوصياء والأئمة عليهم السلام، والعدوان عليهم وعلى أتباعهم.

إن قتل الإمام الحسين عليه السلام ليس قتلاً لشخص، بل هو قتل لنهج، فهو - إذا -
محاولة قضاء على المشروع الإلهي الذي بدأ بمحمد صلى الله عليه وآله واستمر بالأئمة عليهم السلام من بعده،
وهو الانقلاب على الأعقاب من بعد رسول الله صلى الله عليه وآله الذي حذرت منه الآية الشريفة:
﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ
وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنُيَضِّرَنَّ اللَّهُ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾^(٣).

ومن هنا؛ فإن حقيقة المواجهة في واقعة الطف كانت بين المشروع الإلهي، وبين
النهج الإقصائي والإلغائي الساعي إلى القضاء على هذه المشروع؛ وعليه فإن الذي

(١) القمي، عباس، مفاتيح الجنان: ص ٦٣٠، زيارة وارث.

(٢) راجع في هذا المجال: شقير، محمد، بين الحسين عليه السلام والمهدي عليه السلام وإشكالية الثأر، مجلة العقيدة:

عدد ٩، ١٤٣٧ هـ / ٢٠١٦ م، ص ٥٧.

(٣) آل عمران: الآية ١٤٤.

قتل الإمام الحسين عليه السلام ليس مجرد شخص، بل هو نهج الظلم والفساد والإفساد، وسبيل البغي والانحراف عن الرسالة الإلهية ومدرسة الأنبياء والرسل.

وبناءً على ذلك؛ يمكن القول بأن الثأر الوارد في تلك النصوص الدينية ممن قتل الإمام الحسين عليه السلام، هو بمعنى الثأر من ذلك النهج الممتد على مر التاريخ، هو ثأر من نهج الإجرام والظلم الذي ظهر بأشنع صوره في قتل الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه.

ثالثاً: إظهار الدين الإسلامي على الدين كله وإقامة الطاعة الكاملة لله تعالى

إن المتأمل في الروايات والآيات التي تتحدث عن اليوم الموعود، يجد أن هناك مئات من الروايات التي تؤكد على مسألة الظهور والانتظار، كما أن عظم الدور الذي سيقوم به الإمام الحجة عليه السلام يتطلب دوراً تمهيدياً من قبل الأئمة عليهم السلام، بل من قبل كل الأنبياء؛ باعتبار أن الإمام الحسين عليه السلام هو وارث الأنبياء، والإمام الحجة هو طالب بثأر الإمام الحسين عليه السلام والمتمم لما بدأه على نحوه الأكمل؛ فدور الأئمة الطاهرين بالنسبة إلى الإمام المهدي عليه السلام هو دور التمهيد التشريعي؛ عبر رد هذا القيام بكثير مما يحتاجه من قوانين وأحكام، تشكّل النظام والدستور والقانون الذي يعتمد عليه الإمام عليه السلام.

إلا أن للإمام الحسين عليه السلام دوراً آخر مختلفاً عن جميع الأئمة عليهم السلام، فهو بالإضافة إلى الدور التشريعي المشار إليه، له دور تمهيدي وإعدادي في غاية الأهمية، وهو دور إعداد الأئمة، وهذا الدور الإعدادي غير منحصر بالأئمة عليهم السلام، بل لشيعة دور فيه، فأعظم عامل في إعداد الأئمة هو ما حصل في كربلاء، بمعنى أن الإمام الحسين عليه السلام قدّم للمهدي عليه السلام أعظم عامل في إقامة دولته؛ فبشهادة الحسين عليه السلام امتلأت قلوب الشيعة إرادةً وصبراً، ورفد القيام المهدي بهذه الشعلة الثورية والحرارة النهضوية التي تتجدد في كل عام، ولم تخفت ولن تخبو حتى يأتي حامل الشعلة الأخير.

إنَّ الهدف من الثورتين واحد في حقيقته، وهو إظهار الدين الإسلامي على الدين كلّهُ، وإقامة الطاعة الكاملة لله تبارك وتعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾^(١)، فالشرائط المأخوذة لتحقيق هدف إظهار الدين الإسلامي على الدين كلّهُ المستفاد من الآية التي بدأت مع رسول الله ﷺ وما قام به في حياته، ستحصل عند حركة الإمام المهدي عليه السلام، ممّا يؤدي إلى تحقيق الهدف المذكور، الذي لم يتحقّق بشكل كامل في نهضة الإمام الحسين عليه السلام؛ فهناك شرائط ثلاثة تُذكر لتحقيق هذا الهدف:

- ١- الدين الكامل الذي يكون قادراً على الاستجابة لكلّ متطلبات حياة الإنسان.
 - ٢- القائد الربّاني الذي يطبّق تلك الشريعة في حياة الإنسان.
 - ٣- الأمة الواعية والمتحلّية بالبصيرة التي يستطيع فيها القائد أن يطبّق أطروحته، بحيث يكون لها بجميع أعضائها دور المساعدة في الوصول إلى تمامية ذلك التطبيق.
- إنَّ الشرطين الأوّلين قد تحقّقوا في ثورة الإمام الحسين عليه السلام، بخلاف الشرط الثالث الذي لم تكن ظروفه متوفّرة، ولكنها ستوفّر في دولة الإمام صاحب الزمان عليه السلام، وبالتالي ستوجد القابلية والاستعداد في المجتمع لإظهار الدين الإسلامي على الدين كلّهُ، فالحكومة المهدوية المصداق الأكمل للوعد الإلهي بوراثته الأرض للصالحين؛ فإنَّ الغاية الإلهية من بعثة الأنبياء عليهم السلام تكمن في إقامة القسط والعدل في الأرض، الذي هو سرّ الاستخلاف الإلهي للأنبياء والأولياء، وهذه الغاية لا يمكن تحقيقها بإرسال الرسل فقط، وإنما بتمكينهم في الأرض؛ لكي يستكمل المشروع الإلهي على أكمل وجه.
- فالتمكن وعد إلهي، حيث لا يمكن أن تتحقّق الوراثية للأرض من دونه، بل إنّ الحكومة الإلهية المهدوية للذين استضعفوا في الأرض لا يمكن تحقيقها إلّا من خلال تمكين الله تعالى لعباده، وقد صرّح القرآن الكريم بوضوح عن العلاقة التلازمية

بين الوراثة والتمكين، قال تعالى: ﴿وَرِيدٌ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ۝﴾ (٥) وَنَمُكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنَرَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿١﴾. وفي آية أخرى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ (٢)، فقد ذكر العلامة الطباطبائي أن الآية مطلقة، ولا موجب لتخصيصها بإحدى الوراثة الدنيوية أو الأخروية وإن كان ظهورها بالوراثة الدنيوية وحملها على زمان ظهور الإسلام أو ظهور الإمام المهدي عليه السلام أنسب (٣).

أما الآية الثالثة المتضمنة لمفهوم الاستخلاف والتمكين، فهي قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (٤)؛ إذ يذكر العلامة الطباطبائي آراء المفسرين مناقشاً لها، متوصلاً في نهاية بحثه إلى أن الآية «إن أعطيت حق معناها لم تنطبق إلا على المجتمع الموعود الذي سينعقد بظهور المهدي عليه السلام» (٥).

رابعاً: وحدة المنهج التغييري المتخذ من قبلهما عليه السلام

إنَّ المنهج السلمي المعتمد على العنصر البشري في تغيير الواقع المعاش بأبعاده المختلفة الثقافية والسياسية والأخلاقية، هو المنهج المعتمد من قبل الإمامين عليهما السلام في عملية التغيير؛ ومن هنا فالنظرة الصحيحة للروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام هي ما أشارت إلى أن الآلة التي يظهر بها الإمام المهدي عليه السلام ويقا تل بها هي السيف، فقد

(١) القصص: الآيتان ٥-٦.

(٢) الأنبياء: الآية ١٠٥.

(٣) أنظر: الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج ١٤، ص ٣٢٩.

(٤) النور: الآية ٥٥.

(٥) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج ١٥، ص ١٤٤.

ورد عن أبي بصير قال: «سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: ما تستعجلون بخروج القائم؟ فوالله ما لباسه إلا الغليظ، وما طعامه إلا الشعير الجشب، وما هو إلا السيف...»^(١).

نعم، المراد به على الأظهر هو كونه أداة من أدوات القوّة - أي المعنى الرمزي للسيف - التي تختلف من زمان إلى آخر، وعُبر بالسيف؛ لأنّه المصداق البارز آنذاك للقوّة والقتال. فالسيف كان وما زال يرمز إلى القوّة والقدرة العسكرية على غرار (القلم) الذي يرمز إلى العلم والثقافة.

أمّا الافتراض بأنّ هذه الأسلحة التي نعرفها اليوم سوف تتوقّف عن العمل عند خروج الإمام عليه السلام فهذا بعيد، وهذا ما يُعبّر عنه الشيخ ناصر مكارم الشيرازي بقوله: «يُصرّح العقل بأنّ العودة إلى الوراء ليست ممكنة ولا منطقية... وأنّ قيام المصلح العالمي الكبير بهدف بسط العدل والحرية في كافّة أنحاء العالم لا يؤدّي بأي شكل من الأشكال إلى ركود أو إزالة الحركة الصناعية وما عليها من تطوّر... ولكن لا شكّ في أنّ هذه الحركة والنهضة الصناعية والتكامل التقني ينبغي أن يخضع إلى غرلة ليُنقّى من العوالق السلبية والمضرة، ويصبّ في صالح الإنسان وتحقيق أهدافه في العدل والحرية، وهذا ما ستمارسه قطعاً حكومة العدل»^(٢).

وكذلك الإمام الحسين عليه السلام قد اعتمد على العنصر البشري في النصر والقتال، بل حتى عندما بقي وحيداً، فقد طلب النصر، ولم يعتمد على العناصر الغيبية والكرامات وإن كان بإمكانه ذلك؛ والسبب هو أنّه عليه السلام أراد إلقاء الحجّة وتحقيق غاية النهضة بأن تحدث هذا الدوّي في وجدان الأمة.

هذا؛ وإنّ المتتبع لمسار الحركة الحسينية يلمس ذلك جلياً؛ إذ تذكر الروايات أنّ الإمام الحسين بعد تكاثر الكتب والرسائل من الوفود طالبة منه المجيء إلى العراق ومبايعته بإمرة المسلمين، لم يفكر بداية في الاستجابة لمطالبهم حتى يقف على حقيقة

(١) الطوسي، محمد بن الحسن، الغيبة: ص ٤٦٠.

(٢) مكارم الشيرازي، ناصر، الحكومة العالمية للإمام المهدي عليه السلام: ص ٢٠٣.

الموقف، وذلك باختبارهم بشكل واضح لا لبس فيه، فكلف ابن عمه مسلم بن عقيل - وكان من أفضل ثقاته - بالذهاب إلى الكوفة؛ ليرى هل أن رأي أهلها على مثل ما جاءت به كتبهم؟ وقد كتب عليه السلام إليهم: «... وإني باعث إليكم أخي وابن عمي وثقتي من أهل بيتي، فإن كتب إلي أنه قد اجتمع رأي ملئكم وذوي الحجا والفضل منكم على مثل ما قدمت به رسلكم وقرأت في كتبكم، أقدم عليكم وشيكا إن شاء الله. فلعمري؛ ما الإمام إلا الحكم بالكتاب، القائم بالقسط، الدائن بدين الحق، الحابس نفسه على ذات الله، والسلام»^(١).

كذلك تذكر الروايات أن الإمام الحجة سيعتمد نفس الأسلوب من خلال إرساله لسفير خاص، فقد ورد عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام في حديث طويل، يقول فيه القائم عليه السلام لأصحابه: «يا قوم، إن أهل مكة لا يريدوني، ولكني مرسل إليهم لاحتج عليهم بما ينبغي لمثلي أن يحتج عليهم، فيدعوا رجلاً من أصحابه فيقول له: امض إلى أهل مكة، فقل: يا أهل مكة، أنا رسول فلان إليكم، وهو يقول لكم: إنا أهل بيت الرحمة، ومعدن الرسالة والخلافة، ونحن ذرية محمد وسلالة النبيين، وإنا قد ظلمنا، واضطهدنا، وقهرنا، وابترزنا حقنا منذ قبض نبينا إلى يومنا هذا، فنحن نستنصركم فانصرونا. فإذا تكلم هذا الفتى بهذا الكلام أتوا عليه فذبحوه بين الركن والمقام، وهي النفس الزكية»^(٢).

بل إن الإمام الحسين الشهيد عليه السلام حتى آخر لحظات حياته يحاول إقناع الجيش الأموي - من خلال الخطبة فيهم - وموعظتهم، فقد ذكر الناس - وبأكثر من مناسبة - بحقه وأهل بيته عليهم السلام، كما ذكرهم بكتبهم ومراسلاتهم له ودعوتهم له للمجيء إلى العراق، حيث قال عليه السلام: «اتقوا الله ربكم ولا تقتلونني؛ فإنه لا يحل لكم قتلي ولا انتهاك

(١) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد: ج ٢، ص ٣٩.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٥٢، ص ٣٠٧.

حرمتي، فإني ابن بنت نبيكم، وجدتي خديجة زوجة نبيكم، ولعله قد بلغكم قول نبيكم:
الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة»^(١).

وأما ما ورد بشأن استخدام السلاح والعنصر الغيبي في كلا الثورتين المباركتين
في بعض مفاصلهما، فهو من باب العنوان الثانوي، فكلا الثورتين اعتمدت على
العنصر البشري بالدرجة الأولى، ودور العامل الغيبي فيها هو دور الإسناد في حال
عدم كفاية العنصر البشري لتحقيق الهدف المنشود، فالسنة الإلهية اقتضت أنه في مجال
التغيير والإصلاح على الإنسان أن يعتمد على نفسه، ويبدأ بإصلاحها، قال تعالى:
﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾^(٢). فنصر الله واليد الغيبية تتدخل بعد
سعي الإنسان نحو التغيير والإصلاح، فيأتي الدور البشري في المرتبة الأولى^(٣).

خامساً: وحدة الآثار والنتائج

إن النتيجة البارزة التي نتجت من نهضة الحسين عليه السلام وتضحيتها هي بقاء الإسلام
وإحياء الرسالة المحمدية؛ فإنه لولا ثورته عليه السلام لطمست معالم الدين من قبل الأمويين؛
ففي وصيته لأخيه محمد بن الحنفية: «وإني لم أخرج أشراً ولا بطراً، ولا مفسداً ولا
ظالماً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي ﷺ، أريد أن آمر بالمعروف وأنهي عن
المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب عليه السلام»^(٤)؛ فالنتيجة البارزة في نهضة
الإمام الحسين عليه السلام هي بقاء الإسلام.

وكذلك ستكون هذه النتيجة أبرز نتائج ثورة الإمام المهدي عليه السلام؛ فالدولة

(١) المصدر السابق: ج ٤٥، ص ٦.

(٢) الرعد: الآية ١١.

(٣) راجع: الجزيري، عيسى مكّي، مظاهر الوحدة بين ثورتي الإمامين المهدي والحسين عليه السلام، مجلّة
رسالة القلم، العدد ٤١.

(٤) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٣٢٩-٣٣٠.

المهدوية ستشكل النموذج الأهنأ والأرقى للحياة الطيبة، بحيث يمكن للإنسان والمجتمع من خلالها الوصول إلى العيش بحياة هادئة مطمئنة، ملؤها الرفاه والسلم والمحبة والتعاون، خالية من الآلام الناتجة عن الاستكبار والظلم والطغيان والتعصب والأنانية. كما أنها تمثل وصول الاستخلاف البشري إلى مداه الأخير، ووصول الاستكمال البشري إلى ذروته؛ عبر الاستناد إلى مبادئ عامة وتأصيلية نابعة من جوهر هذا الدين الإلهي، الذي تريد هذه المبادئ إيصاله إلى أعلى مستوى في مقام التطبيق والعمل. يروي هشام بن سالم، عن الصادق جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جدّه الباقر، قال: قال رسول الله ﷺ: «القائم من ولدي، اسمه اسمي، وكنيته كنيتي، وشماله شمالي، وسنّته سنّتي، يقيم الناس على ملّتي وشريعتي، ويدعوهم إلى كتاب الله عزّ وجلّ، مَنْ أطاعه أطاعني، ومَنْ عصاه عصاني، ومَنْ أنكره في غيبته فقد أنكرني، ومَنْ كذّبه فقد كذّبنِي، ومَنْ صدّقه فقد صدّقني...»^(١).

الخاتمة

إنّ كثيراً من تجلّيات الاشتراك تبرز بين الحركتين الإصلاحيتين للإمامين الحسين والمهدي عليه السلام، بل هما الجناحان العقائديّان والإيديولوجيّان اللذان يطير بهما الشيعة، وهذا ما عبّر عنه فرانسيس فوكوياما - المحقّق والمؤرّخ الأميركي من أصل ياباني، الذي كان يعمل في الأمن الأمريكي - في كلمة له ألقاها في مؤتمر أقيم في القدس المحتلة، تحت عنوان: (معرفة جديدة عن الشيعة) رسم فيها الفكر السياسي للشيعة، جاء فيها: «إنّ الشيعة طائر يطير أعلى من مرمى سهامنا، وله جناحان: جناح أخضر، وجناح أحمر، الجناح الأخضر هو المهدوية وطلب العدالة على يديه، فهم منتظرون والمنتظر لا يئأس... والجناح الأحمر له جذور في كربلاء، وهذا ما يمنعهم من الفناء.

(١) المصدر السابق: ج ٥١، ص ٧٣.

فالشيعنة تطير عالياً بهذين الجناحين، بحيث تكون بعيدة عن مرمى سهامنا الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية»^(١).

من هنا؛ تبرز أهمية الوصل بين الحسين عليه السلام والمهدي عليه السلام، فقتل الحسين عليه السلام هو ذروة العدوان على المشروع الإلهي، ومشروع الأنبياء والرسل على مر التاريخ، وظهور الإمام المهدي عليه السلام هو ذروة انتصار مشروع الأنبياء وأوصيائهم طوال الدهر. وإذا كان استشهاد الحسين عليه السلام مع أهل بيته عليهم السلام وأصحابه يمثل قمة المظلومية، فإن المهدي عليه السلام وظهوره ودولته الرائدة تمثل قمة الشار من الظلم، وإذا كان قتل الحسين عليه السلام يعني ذروة طغيان الظلم، فإن خروج المهدي عليه السلام يعني ذروة انتصار العدل^(٢).

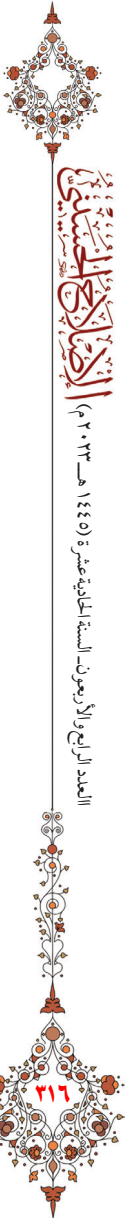
هذا؛ وتتجلى معالم الاشتراك بين كلتا النهضتين بما يلي:

١. وحدة الهدف ومعارية الإصلاح ومركزيته بما يمثله من جوهر حركة الأنبياء والمصلحين على مر التاريخ، بالإضافة إلى معيارية الحق وقبوله في كلتا النهضتين.
٢. الشار من النهج الإقصائي والإلغائي، مع ملاحظة أن رفع الحركة المهدوية لشعار الشار لقتل الإمام الحسين عليه السلام ليس ثاراً شخصياً بمقدار ما هو ثار من ذلك المشروع الذي قتل الحسين عليه السلام، والذي له جذوره في الماضي وامتداداته في التاريخ، وفروعه في التراث والإعلام والثقافة والتربية.
٣. إن الهدف من الثورتين واحد في حقيقته، وهو إظهار الدين الإسلامي على الدين كله، وإقامة الطاعة الكاملة لله تبارك وتعالى، فهذا الهدف وإن لم يتحقق في زمن الإمام الحسين عليه السلام؛ لعدم حصول شرائطه بشكل كامل، إلا أنه سيتحقق

(١) <https://www.tasnimnews.com/ar/news/2014/12/13/587450/> وكالة تسنيم

الدولية للأنباء.

(٢) راجع: شقير، محمد، بين الحسين عليه السلام والمهدي عليه السلام وإشكالية الشار، مجلة العقيدة: العدد ٩، ص ٧٠-٧١.



- في زمن الإمام المهدي عليه السلام، الذي يقوم بإظهار الدين وتطبيق الأطروحة الإسلامية الشاملة بما تمثله من كونها المصداق الأكمل للوعد الإلهي بوراثته الأرض للصالحين؛ فإن الغاية الإلهية من بعثة الأنبياء عليهم السلام تكمن في إقامة القسط في الأرض، وإقامة العدل الذي هو سر الاستخلاف الإلهي للأنبياء والأولياء.
- ٤ . وحدة المنهج التغييري المتخذ من قبلهما عليهما السلام وهو المنهج السلمي المعتمد على العنصر البشري في تغيير الواقع المعاش بأبعاده المختلفة الثقافية والسياسية والأخلاقية.
- ٥ . وحدة الآثار والتناجح عبر إحياء الرسالة المحمدية والإسلام المحمدي الأصيل، والسعي إلى تطبيقه وتسييله على كافة الصُّعد والمستويات.

المصادر والمراجع

- ١ . الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي المعروف بالشيخ المفيد، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان.
- ٢ . بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، محمد باقر المجلسي، تصحيح: محمد باقر البهبودي، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثالثة.
- ٣ . بين الحسين عليه السلام والمهدي عليه السلام وإشكالية الثأر، محمد شقير، مجلة العقيدة، العدد ٩، ١٤٣٧هـ / ٢٠١٦م.
- ٤ . ثورة الحسين في الواقع التاريخي والوجدان الشعبي، محمد مهدي شمس الدين، مطبعة الآداب.
- ٥ . الحركات الإسلامية، الشيخ مرتضى مطهري، دار المهادي للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠١م.
- ٦ . الحكومة العالمية للإمام المهدي عليه السلام، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، مدرسة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، الطبعة الأولى.

- ٧ . شرح أصول الكافي، محمد صالح المازندراني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠ م.
- ٨ . الغيبة، أبو جعفر محمد بن الحسن الشيخ الطوسي، دار الكتب الإسلامية، قم، الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ.
- ٩ . الغيبة، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن جعفر المعروف بأبي زينب النعماني، تحقيق: فارس حسون كريم، منشورات أنوار الهدى، قم، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ.
- ١٠ . فلسفة المهدوية.. العدالة ونهاية التاريخ، محمد شقير، مجلة الموعود، العدد ٥ / ذو القعدة / ١٤٣٩ هـ.
- ١١ . قالوا في الحسين، محمد صادق الكرباسي، المركز الحسيني للدراسات، لندن، الطبعة الأولى، ١٤٣٥ هـ.
- ١٢ . الكافي، محمد بن يعقوب الكليني، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، طهران، دار الكتب الإسلامية، الطبعة الثالثة، ١٣٨٨ هـ.
- ١٣ . كامل الزيارات، جعفر بن محمد بن قولويه القمي، مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث.
- ١٤ . مظاهر الوحدة بين ثورتي الإمامين المهدي والحسين عليه السلام، عيسى مكّي الجزيري، مجلة رسالة القلم، العدد ٤١.
- ١٥ . الميزان في تفسير القرآن، السيّد محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة الأولى.
- ١٦ . نهج البلاغة (خطب الإمام علي عليه السلام)، شرح: الشيخ محمد عبده، دار الذخائر، قم - إيران، الطبعة الأولى.

الأنسنة في أدب عاشوراء

عبد الله عبد الحسين الميالي

باحث وقاصّ وكاتب، عضو نادي السرد في اتحاد الأدباء والكتّاب في النجف
الأشرف/ العراق

Humanization in the Literature of Ashura

Abdullah Abdul Husayn al-Mayyali

Researcher, Storyteller, and Writer; Member of the
Narrative Club at the Union of Writers and Authors in
Najaf Al-Ashraf, Iraq

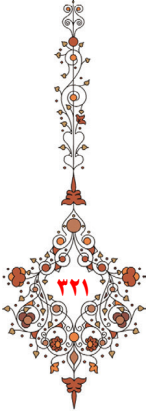
ملخص البحث

سارت الدراسة وفق خطة رصد النصوص الشعرية التي تتعلّق بأدب عاشوراء، التي تتضمّن (الأنسنة) بتمظهراتها وجوانبها المتعدّدة، فسَلّط الضوء على مفهوم (الأنسنة) قديماً وحديثاً مع تعريف المصطلح، وأعطت نبذة وجيزة عن (الأنسنة) في القرآن الكريم والأدب العربي من خلال اختيار نماذج من كلّ منهما؛ لتقريب المفهوم والمصطلح لدى القارئ والمتلقّي.

توسّع الباحث برصد الكثير من النصوص الشعرية وما تضمّنته من مفردات تحمل مدلولات الطبيعة والجمادات التي تمّ أنسنتها من قبل الشعراء الذين كان غرضهم من كلّ ذلك إعطاء نسق فنيّ وجمالي للنصّ وللمعنى من جهة، ولكسر نمطية النصّ التقليدي من جهة أخرى.

اعتمد الباحث في دراسته على العديد من المصادر والمراجع الأدبية والفكرية التي أسهمت في تناول هذا الموضوع، الذي ربّما يُعدّ جديداً في الدراسات والبحوث التي تناولت مسارات الأدب الحسيني عبر الأجيال.

وفي ختام الدراسة كشف الباحث أهمّ النتائج التي توصل إليها في هذه الدراسة. الكلمات المفتاحية: الأنسنة، الأدب، عاشوراء.



Abstract

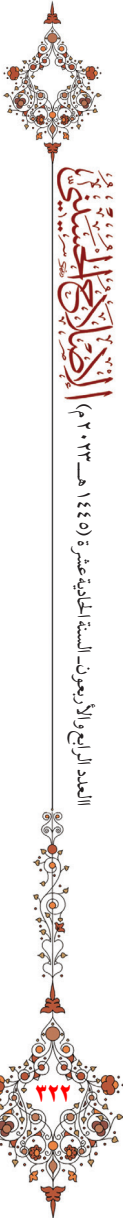
This study followed a plan to examine poetic texts related to Ashura literature, with a particular focus on the concept of humanization and its many forms and dimensions. The research delves into the idea of humanization, tracing its roots in history and its relevance today, while also defining the term. To help readers better understand the concept, the study provides a concise overview of humanization as it appears in the Holy Qur'an and Arabic literature, using selected examples from both.

The researcher goes on to analyze a wide range of poetic texts, paying close attention to the use of vocabulary that evokes nature and inanimate objects, which poets have humanized. This technique serves a dual purpose: it adds an artistic and aesthetic layer to the text and its meaning, while also challenging the conventions of traditional writing.

To support this exploration, the study draws on a variety of literary and intellectual sources, many of which have not been extensively used in previous research on Husayni literature. This makes the study a fresh contribution to the field, offering new insights into how Husayni literature has evolved over time.

At the end of the study, the researcher highlights the most significant findings uncovered through this work.

Keywords: humanization, literature, Ashura.



التمهيد

الأنسنة في الأدب: هي بثّ روح الحياة الإنسانية في كلّ ما هو غير إنسان، ومنحه الصبغة والصفة والسمة الإنسانية، ويشمل ذلك الجمادات والطبيعة والأشياء والكائنات الأخرى.

والأنسنة مصطلح أدبي ونقدي حديث، تمّ تعريبه عن المصطلح الغربي (*Humanization*)، غير أنّ مفهومه سبق للعرب معرفته من خلال مصطلح (التشخيص) على رأي أحد الباحثين: «ومن السمات التي يميّز بها الشعر العربي ما يسمّى بـ(التشخيص)؛ إذ يضيفي الشاعر الحياة والنطق على الجماد»^(١).

وقد أشار الفيلسوف ابن رشد (ت ٥٩٥ هـ) في أحد مؤلفاته إلى موضوع التشخيص أو الأنسنة: «وها هنا موضع سادس مشهور يستعمله العرب، وهو إقامة الجمادات مقام الناطقين في مخاطبتهم ومراجعتهم؛ إذ كانت فيها أحوال تدلّ على النطق، مثل قول الشاعر:

| | |
|------------------------------|--|
| وأجهشْتُ للتوباذ لما رأيته | وكبرّ للرحمن حين رأيته |
| فقلت له: أين الذين عهدتهم | حوالك في أمن وخفض زمان |
| فقال: مضوا واستودعوني بلادهم | ومن ذا الذي يبقى على الحدّان» ^(٢) . |

وهذه الأبيات هي لامرئ القيس كما هو معروف، والتوباذ جبل في نجد، فقد أضفى الشاعر على الجبل صفة التكلّم، وهي صفة بشرية خالصة، ولم يكتفِ الشاعر بذلك، بل منح الجبل طقساً دينياً يتمثّل بالتكبير للرحمن.

(١) عبد الله خضر حمد، المصطلح النقدي والبلاغي عند الفلاسفة المسلمين.. دراسة تأصيلية نقدية:

ج ١، ص ٣٩٦.

(٢) ابن رشد، محمد بن أحمد، تلخيص كتاب أرسطو طاليس: ص ١٢١-١٢٢.



وذكر ابن رشد أبياتاً أخرى لذي الرمة وعنترة تنحو نحو ذلك من الأنسنة، مما يدل على شهرة هذا اللون عند العرب قبل الإسلام.

الموضوع

جاء في تعريف الأنسنة من قبل مجمع اللغة العربية في القاهرة: «مما هو معهود في فنون الأدب إنزال غير العاقل - كالحیوان، والنبات، والجماد، والمعاني المجردة - منزلة العاقل في التعبير والتصوير والخطاب، وقد جرى ذلك في الأدب العربي وفي غيره من آداب اللغات المختلفة، ولهذا الفن الأدبي مصطلحات أجنبية مختلفة، وقد عُبر عن هذا المعنى في النقد الأدبي الحديث بكلمات شتى، منها المغالطة الوجدانية، والإنطاق، والتجسيد، والتجسيم، والتشخيص، والأنسنة، والتأنيس. وترى اللجنة أن أنسب هذه الكلمات إما التشخيص وإن كانت مشتركة في دلالات أخرى كالتمثيل وتحديد المرض، وإما الأنسنة وإن كانت اشتقاقاً من كلمة الإنسان على لفظها، وإما التأنيس وهي اشتقاق من أصل مادة الإنسان وهو الأنس»^(١).

ويبدو من هذا التعريف أن (التشخيص / التأنيس / الأنسنة) ثلاثة مصطلحات لفهوم واحد، لكن الشائع في الوسط الأدبي هو مصطلح الأنسنة، وعليه استقرت التسمية واشتهرت.

الأنسنة في القرآن الكريم

ورد في القرآن الكريم انزياحات تصويرية مثل: أنسنة الشيء، والأنسنة تعني: إعطاء الشيء غير العاقل من حيوان وغيره مشاعر الإنسان وصفاته، تفكيراً، وإحساساً، وحركة، وكل ما فيه وبه. ولعل هذا ما يُسمى الصورة الشعرية في النقد الأدبي، وكان ذلك موجوداً في شعر ما قبل الإسلام، ولعل هذا أحد جماليات الشعر، فالدار تتكلم عند زهير بن أبي سلمى وعنترة، والرماح يُخَطِّفُ المحامي عند

(١) د. إميل بديع يعقوب، موسوعة علوم اللغة العربية: ج ٤، ص ٣٤٣ - ٣٤٤.

عبد يغوث الحارثي، وغير ذلك كثير. وفي القرآن أشياء مؤنسنة في الحياتين الدنيا والآخرة، وما جاء عن الآخرة سيكون حقيقة بقدر إيماننا باليوم الآخر وما فيه من تغييرات كونية وإنسانية شاملة، لكنها تُثير الخيال بتصوير تأملي مدهش، كأن تقول النار: هل من مزيد...^(١).

فالقرآن الكريم حافل بهذا اللون الجمالي في عدة آيات، منها على سبيل المثال:

﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾^(٢).

﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَنَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾^(٣).

﴿ثُمَّ أَسْوَئَ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾^(٤).

وجاء على لسان النملة: ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَأْكُلُهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسْكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾^(٥).

وعلى لسان المهدد يُحاطب النبي سليمان: ﴿فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَاءٍ يَقِينٍ﴾^(٦).

فهذه بعض الصور الانزياحية في القرآن الكريم، أعطت مظهراً جمالياً للقرآن يرتقي بالذائقة الأدبية إلى أسمى مدارك التخيل والبيان، ولقد أنست تلك الأشياء المطلقة ليستطيع العقل البشري إدراكها عقلياً؛ كي تُبسّط الصورة واقعاً أمام خياله. ولا شك في أنّ الأمثلة كثيرة، سواء في القرآن الكريم، أم في أحاديث السنة النبوية الشريفة، وأحاديث أهل البيت عليهم السلام.

(١) خليل عبد الرفوع، أنسنة المطلق في القرآن الكريم، (مقال في شبكة الإنترنت).

(٢) الرحمن: الآية ٦.

(٣) سورة ق: الآية ٣٠.

(٤) فصلت: الآية ١١.

(٥) النمل: الآية ١٨.

(٦) النمل: الآية ٢٢.

الأنسنة في الأدب العربي

من الظواهر اللافتة في الشعر العربي التي تستدعي الانتباه، ظاهرة (الأنسنة) بتمظهراتها كافة، من (تشخيص، وتجسيد، وتجسيم)، وتعدّ هذه الظاهرة من المرتكزات والدعائم الأساسية لبناء الصورة الفنيّة في الشعر العربي، والأمثلة الشعرية التي يتمّ تداولها في هذا الباب كثيرة جداً، فلا يكاد يخلو ديوان من دواوين الشعراء العرب عبر الأجيال من هذه الصورة الفنيّة؛ حيث نجد الشاعر «يلجأ إلى الصور التي تجسّم المعاني، وتنقلها إلى درجة أرقى لتزداد قوّة وجالاً، يلجأ إلى التشبيه، أو الاستعارة، أو الكناية، أو المبالغة، أو التخيل»^(١).

ونختار منها على سبيل المثال:

قول البحري وهو يصف ضحك الربيع:

أناك الربيعُ الطلقُ يَخْتالُ ضاحِكاً مِنْ الحَسَنِ حَتَّى كَادَ أَنْ يَتَكَلَّمَ^(٢)

وقول دعبل الخزاعي وهو يصف ضحك الشيب:

لا تعجبي يا سَلَمٌ مِنْ رَجُلٍ ضَحَكَ المَشِيبُ بِرَأْسِهِ فَبَكَى^(٣)

وقول الشريف العقيلي في وصف مطر السحاب وفرح الأرض به:

ناحتُ فواختُ سُحِبَ وكرها الفلكُ بكاؤها لطواويس الربى ضحك^(٤)

وقول المتنبي في وصف الحمى وقد خلع عليها صفات بشرية:

وزائري كأنّ بها حياءَ فليس تزورُ إلّا في الظلامِ

(١) الصباح، عصام لطفي، الصورة الفنيّة في شعر الوأواء الدمشقي: ص ١٤٥.

(٢) ابن أبي عون، إبراهيم بن محمد، التشبيهات: (برنامج المكتبة الشاملة).

(٣) ابن قتيبة الدينوري، عبد الله بن مسلم، الشعر والشعراء: ج ٢، ص ٨٣٩.

(٤) الصغدّي، خليل بن أبيك، الوافي بالوفيات: ج ٢١، ص ٣١.

جعلتُ لها المطارفَ والحشايا فعافَتْها وباتتُ في عِظامي^(١)

وقوله في مدح سيف الدولة:

تغدو المنايا فلا تنفكُ واقفة حتى يقولُ لها عودي فتندفعُ^(٢)

وقوله يمدح عبد الواحد الكاتب:

وأطاعك الدهرُ العصيَّ كأنه عبدٌ إذا ناديتَ لبى مسرعا^(٣)

وقوله:

إذا التوديعُ أعرَضَ قال قلبي عليك الصمت لا صاحبتِ فاكا^(٤)

ولأبي فراس الحمداني من قصيدته المشهورة:

أقولُ وقد ناحَت بِقُربي حمامةٌ أيا جارَنا هل تَشْعُرِينَ بِحالي
أضحكُ مأسورٌ وتبكي طليقةٌ ويسكتُ محزونٌ ويندبُ سالِ^(٥)

حيث يعقد الشاعر مقارنة بينه كأسير، وبين الحمامة وهي طليقة على الشجر،
فمنحها صفة البكاء والنوح والشعور.

وقول الشاعر الوأواء الدمشقي:

كواكبُه تبكي عليه كأننا ثكلنَ الدُّجى أو ذُقنَ هجرَ الحبابِ^(٦)

فهو يجعل الكواكب تبكي كما يبكي من فقد عزيزاً.

(١) العسكري، الحسن بن عبد الله، ديوان المعاني: ج ٢، ص ١٧٠.

(٢) الجرجاني، علي بن عبد العزيز، الوساطة بين المتنبي وخصومه: ص ٣٦٠.

(٣) المصدر السابق: ص ٣٨٨.

(٤) أبو منصور الثعالبي، عبد الملك بن محمد، أبو الطيب المتنبي وما له وما عليه: ص ١٤٢.

(٥) عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد، نزهة الأبصار بطرائف الأخبار والأشعار: ص ١٠١-١٠٢.

(٦) الصبّاح، عصام لطفي، الصورة الفنية في شعر الوأواء الدمشقي: ص ١٧٥.



وقوله:

وقال القلبُ هب لي منه حظاً فردَّ الطرفُ بالعجبِ العجيبِ^(١)

فأعطى للقلب وللطرف صفة الكلام، وهي صفة إنسانية بحتة.

وقوله:

والبدرُ أول ما بدا مثلثاً ييدي الضياء لنا بخدِّ مسفر^(٢)

حيث شبه البدر عند طلوعه برجل مثلث.

وأيضاً ما قاله:

شمسُ الضحى رقصت فنقط وجهها بدرُ الدجى بكواكبِ الجوزاء^(٣)

حيث منح الشمس فعل الرقص.

وقول الشاعر لسان الدين الخطيب:

حينَ لذَّ الأنسُ شيئاً أو كما هجمَ الصُّبحُ هُجومَ الحرسِ^(٤)

حيث شبه الشاعر طلوع الصبح بهجوم الحرس، وهو فعل بشري.

والأمثلة أكثر من أن تُحصى في هذا الباب، ولا يفوتنا أن نشير إلى كتاب (كليلة ودمنة) الذي ترجمه ابن المقفع (ت ١٤٢ هـ) إلى اللغة العربية في بدايات العصر العباسي، حيث احتوى على العديد من القصص التي جاءت على لسان الحيوانات. واستفاد الشاعر أحمد شوقي من هذا الكتاب فنظّم عدّة قصائد على لسان الحيوان.

ملحمة يوم عاشوراء

غدا اليوم الذي نهض فيه أبو الشهداء يوم الخلود؛ لأنَّ النهضة فيه تركت وراءها

(١) الوأواء دمشقي، محمد، ديوان الوأواء: ص ٣٩.

(٢) المصدر السابق: ص ١٠٨.

(٣) الصباح، عصام لطفي، الصورة الفنية في شعر الوأواء دمشقي: ص ١٨٠.

(٤) المقري، أحمد بن محمد، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: ج ٧، ص ١٢.

الخلود الدائم، وسيبقى هذا الخلود ما بقيت إنسانية في الوجود، وهذا اليوم هو الذي علّم المسلمين التضحية والتفاني في سبيل المبدأ والعقيدة، وهو أعظم يوم أظهر فيه ظلم الظالم، وأعظم يوم أظهر فيه حقّ المحقّ، وهو أعظم يوم تفجّرت فيه الآلام ولا تزال مستمرّة، وهو أعظم يوم أشرق فيه ضياء الدين، وأعظم يوم لاح من نور الآمال، فكان - بحق - يوم الآمال والآلام^(١).

وتمرّ العصور وتجري الحقب، وتضحية الحسين عليه السلام تملأ القلوب، وتسيل على الألسنة والأقلام، ولا غرو أن يعرض لها الشعراء والخطباء والكتّاب، فلا يزدادون منها إلا إعجاباً فوق إعجاب، حتى ليجد فيها كلّ جيل هدايته، وتصدر عنها كلّ عبقرية بثمرة خالدة^(٢).

لقد ألهمت عاشوراء المشاعر والأحاسيس، وفجّرت العبقريات، وخلقت أدباً غنياً بالحنن والدموع والبطولة والإباء، وأحدثت حركة تجديدية في معاني الشعر وصوره وأخيلته وأساليبه، وهي موسم ثقافي عظيم، يتبارى فيه الكتّاب والأدباء والمؤرّخون والشعراء من أنحاء العالم الإسلامي كافة، فيشيدون برجل هزّ الدنيا، وأحدث ثورة عارمة يطغى صداها على كلّ حدث مهما عظم شأنه، وتضحى صفحات الجرائد والمجلاّت ميداناً خصباً لنشر الأدب الكربلائي^(٣).

ومّا لا شكّ فيه أنّ فاجعة عاشوراء ومأساة الإمام الحسين عليه السلام تركت أثرها المؤلم في نفوس المسلمين وقلوبهم جميعاً، فانبرى الشعراء - منهم ومن غيرهم - عبر الأجيال والعصور بتشديد القصائد رثاءً وفخراً وحماسة؛ تعبيراً عن حزنهم لتلك المصيبة المؤلمة، ونصرة للإمام الحسين عليه السلام ولو بالكلمة، فتعدّدت أساليب الشعراء في توظيفهم ليوم عاشوراء وما رافقه من أحداث دامية، وكلّ شاعر يحاول أن يلفت

(١) الحدّاد، عبد السادة محمد، مقالات في الإمام الحسين عليه السلام: ص ٢٥٠.

(٢) المصدر السابق: ص ٢٢٥.

(٣) حسن نور الدين، عاشوراء في الأدب العاملي المعاصر: ص ٧٩.

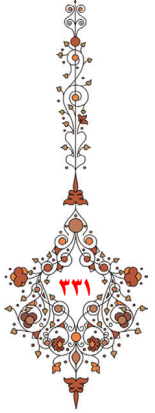
الأنظار إلى قصيدته، فيأتي بصورة فنية فيها من البلاغة والبديع ما فيها. ومن تلك الصور الفنية التي شاعت في تلك القصائد (الأنسنة) التي جاء تعريفها فيما سبق من هذه الدراسة.

الأنسنة في أدب عاشوراء

عندما تناول الشعراء واقعة كربلاء ومأساة الإمام الحسين وأهل بيته عليهم السلام، لم تكن (الأنسنة) كمصطلح قد تبلور بعد، وإنما كان النسق الأدبي وقتئذ هو ما يُعبر عنه بـ (لسان الحال) كما في هذا النص: «قال أبو عبد الله عليه السلام: يا أبا هارون، أنشدني في الحسين. قال: فأنشدته، فبكي. فقال: أنشدني كما تشدون - يعني بالرقّة - قال: فأنشدته: أمرر على جَدث الحسين فقل لأعظمه الزكية فبكي، ثم قال: زدني...»^(١).

نلاحظ هنا أنّ الشاعر صوّر ومثّل الحوار بينه وبينه عظام الإمام الحسين بلسان الحال، واستعار نطق العظام لأجل تقريب المشهد للمتلقّي من خلال التركيز على المعاني والحالات المعنوية، والمشاعر الروحية، والعواطف النفسانية. وفي الأدب الحسيني - الشعر على وجه الخصوص - أو ما يُعبر عنه بأدب الطفّ أو أدب عاشوراء، نجد (الأنسنة) لكونها سمة أدبية جمالية وبلاغية في الشعر، قد احتلّت مكاناً مرموقاً فيه؛ إذ تسابق الشعراء لإضفاء تلك الصبغة الإنسانية والبشرية على مجموعة من الجهادات والأشياء التي تمّ استدعاؤها في شعرهم، من قبيل: (السيف، الرمح، السهم، القربة، الكفّ، الراية، القدر، السماء، الشمس، الجبل، الصحراء، النهر، البحر، الفرات، الشاطئ، الدم، مشاعر الحرم المكّي، الرداء، الخيمة، الكأس، المسجد، المنبر، الريح، القبور، السنابل، النخل، الغيم، وغيرها)، كما سنبيّن ذلك في النصوص المختارة التالية.

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٢٠٨.



وقد بدت (الأنسنة) في أدب عاشوراء كأتمها أحد أنساق هذا الأدب، فلا تكاد تخلو قصيدة تنتمي إلى الأدب الحسيني - وخصوصاً في الشعر الحديث والمعاصر - إلا وقد وجدنا فيها ملمحاً من ملامح (الأنسنة).

ويمكن لنا من خلال هذه الطائفة من النصوص الشعرية - التي هي أمثلة للدراسة - أن نقسم مظهرات (الأنسنة) في الأدب العاشوري إلى جوانب متعددة، أهمها: الكلام وفروعه، البكاء وفروعه، الصلاة وفروعها، الحزن وفروعه، الحج وفروعه، الزواج، الحياء، الخجل، الابتسام، التقبيل، الحنين، الهيئة، الكتابة، الزهو والشموخ. وكل هذه الجوانب هي أعمال ومشاعر إنسانية خالصة، تمثلها الشعراء في نصوصهم الشعرية وهم يكتبون وينشدون للحسين عليه السلام ولكربلاء وعاشوراء، ولم نتطرق إلى تلك النصوص التي تتناول التجسيد والتجسيم للجهاديات والماديات؛ لأنّ فيها مجال الاشتراك بين الإنسان والحيوان على حدّ سواء، بينما بحثنا هذا يتركز على (الأنسنة) فقط، أي الأفعال والأعمال والمشاعر والهيئة الإنسانية حصراً.

١. الكلام وفروعه

أكثر الشعراء في أدب عاشوراء من تصوير الموجودات المادية والجمادات عن طريق حديثها وما يتشعب من الحديث والكلام بصوره المتعددة: الشكوى، الغناء، الحديث، الصباح، الزغردة، القول، النداء، السؤال والجواب، الصراخ، الحكي، الرثاء... كما سنبينه في النصوص الآتية^(١):

جاء للشاعر عبد الحسن زلزلة (ت ٢٠١٨ م) من قصيدته (الميمية) العصماء:

| | |
|-------------------------------|-----------------------------------|
| هذي دِمَاكَ على فمي تتكلمُ | ماذا يقولُ الشعرُ إن نطقَ الدُمُ؟ |
| هتفتُ وللأصفادِ في اليدِ رنةً | والسوطُ في ظهرِ الضعيفِ يُحكّمُ |
| جاءتْ تبثُّ لك الشكاةَ شريعةً | لِسوى أبيها الحرّ لا تنظّمُ |

(١) تنبيه: معظم الشعراء المعاصرين الذين وردت نصوصهم الشعرية في هذه الدراسة تمّ التواصل معهم بشكل مباشر، وزودونا بتلك النصوص؛ ولذلك لم نشر إلى مصادر نصوصهم.

إِيَّاهُ مُحَرَّمٌ وَالنَّعِيمُ عَلَى مَنْ
حَدَّثَ وَيَوْمُكَ فِي الْبَرِيَّةِ شَامُخٌ
أَنْتَهَكْتَ عَصَابَتَهُمْ حِمَاكَ مُحَرَّمٌ
أَفَأَنْتَ عِيدٌ لِلْهُدَى أَمْ مَأْتَمٌ؟
وَأَرَى السَّنَابِلَ فِي ذُرَى سِقَانِهَا
عَادَتْ تَفَكَّرُ بِالْحَصَادِ وَتَحْلُمُ^(١)

نجد الشاعر قد (أنسن) الدم فجعله يتكلّم ويهتف وينطق، فيما وقف الشعر حائراً إزاء ذلك، أمّا الشريعة فتشتكي وتتظلم، وشهر محرم يتحدّث، والسنابل تُفكّر وتحلم، وكلّ هذه الأفعال والمشاعر هي بشرية خالصة.
وجاء في رثاء الشاعر اللبناني موسى الزين شرارة (ت ١٩٨٦ م) للإمام الحسين عليه السلام:

شَقَّ الصَّفُوفَ وَغَاصَ فِي أَوْسَاطِهَا
تَتَنَائَرُ الْأَشْلَاءُ تَحْتَ حُسَامِهِ
يَذِرِي الْجُسُومَ وَبِالْجَاهِمِ يَحْطِمُ
وَالْمَوْتُ مُشْدُوهُ أَصَمُّ أَبْكَمُ
وَالصَيْدُ مَذْصُفُ الزَّيْرِ بِسَمْعِهَا
خَرِسَتْ وَقَامَ حُسَامُهُ يَتَكَلَّمُ^(٢)

نجد الشاعر هنا قد أعطى للحسام صفة الكلام، والكلام كما هو معروف من مختصات الإنسان حصراً، وكلام الحسام هنا تعبير مجازي كناية عن ممارسته القتال بشراسة. كما أعطى للموت صفة الصمّ البكم، وهي عاهات بشرية.
وجاء في مراثية الشيخ عبد المهدي مطر النجفي (ت ١٩٧٥ م):

شَكَتِ الْإِمَارَةَ حَظَّهَا وَاسْتَوْحِشَتْ
وَتَنَكَّرَتْ لِلْمُسْلِمِينَ خِلَافَةً
فِيهَا يَصُولُ عَلَى الصَّلَاحِ الْمُنْكَرُ
فِيهَا وَأَحْكَامٌ هُنَاكَ تُغَيَّرُ
تَشْكُو وَهَلْ غَيْرَ الْحُسَيْنِ مُحَرَّرُ
تَشْكُو وَهَلْ غَيْرَ الْحُسَيْنِ مُحَرَّرُ
ذَهَبَتْ بِرُوعَتِهِ وَيَبْكِي الْمُنْبَرُ
تِلْكَ الْمَهَازِلُ يَشْتَكِيهَا مَسْجِدُ

(١) الدرّاجي، محمد عبّاس، القصائد الخالدات في حبّ أهل البيت: ص ١١٦.

(٢) حسن نور الدين، عاشوراء في الأدب العالمي المعاصر: ص ١٦٧.

فشكت إليك وما شكت إلا إلى بطل يغار على الصلاح ويثار^(١)

وهنا أنسن الشاعر الإمارة والشرعة والمسجد والمنبر، مانحاً لها الصفة البشرية في الكلام والشكوى والبكاء.

وجاء في مرثية الشيخ محسن أبو الحب الحائري (ت ١٨٨٧ م):

| | |
|--------------------------------|--|
| وقفت على ماء الفرات ولم أزل | أقول له والقول يحسنه مثلي |
| علامك تجري لا جريت لوارِد | وأدرت يوماً بعض عارك بالغسل |
| من الحق أن تذوي غصونك ذُبلاً | أسى وحياء من شفاهم الذبل |
| فقال استمع للقول إن كنت سامعاً | وكن قابلاً عُذري ولا تكثرن عذلي |
| ألا أن ذا دمعي الذي أنت ناظر | غداة جعلت النوح بعدهم شغلي |
| برغمي أرى مائي يلدّ سواهم | به وهم صرعى على عطشٍ حولي ^(٢) |

نجد في هذه المقطوعة الشعرية كيف أن الشاعر استنطق نهر الفرات ومنحه الصفة البشرية في الكلام والحزن والبكاء، وتقديم الاعتذار في عطش أهل البيت عليه السلام في واقعة كربلاء.

وجاء في رثائية الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء (ت ١٩٥٤ م):

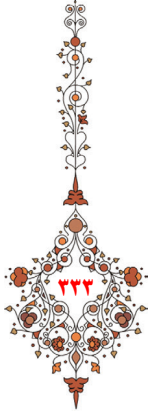
| | |
|----------------------------|---|
| وترى الصهيل مع الصليل كأنه | فيهم قيان رجعت نغماتها |
| وكانها سُمِر الرماح معاطفٌ | فتمايلت لعناقها قاماتها |
| وكانها بيض الظبا بيض الدمى | ضمنت لمن رشقاتها شفراتها |
| وكانها حُمِر النصول أناملٌ | قد خضبتُها عندما كاساتها ^(٣) |

في هذه المقطوعة نماذج من الأنسنة جمعها الشاعر في نص واحد، ومنها أنه

(١) المقرّم، عبد الرزاق، مقتل الإمام الحسين: ص ٣٤٨.

(٢) أبو الحب، محسن، ديوان الشيخ: ص ١٢٥.

(٣) المقرّم، عبد الرزاق، مقتل الإمام الحسين: ص ٣٥٦.



أعطى لصهيل الخيول وصليل السيوف الغناء، وللرماح العناق، وللسيوف الشرب،
والسهام أنامل مخضبة بالدم لا بالحناء.

ومن رثائيات الشيخ أحمد الوائلي (ت ٢٠٠٣ م):

والدم الحرّ مارداً يُنبئ الأحـ رارَ والثائرينَ هذا السبيلُ
وحديثُ الجراحِ مجدٌ وأسمى سير المجد ما روته النصولُ^(١)

حيث منح الشاعر للدم الكلام، وللجراح والسيوف وللرماح الحديث والرواية.
وجاء في ملحمة الشاعر اللبناني سعيد العسيلي (ت ١٩٩٤ م):

والسيفُ صاح به وزغردَ قائلاً أقدمُ فإنّي قد سئمتُ قِرابي
هذي رؤوسٌ قد أينعت وقطافُها قد حلّ فاضربْ ضربة الغلابِ^(٢)

هنا نجد أن الشاعر قد جعل السيف يصيح ويزغرد، وهما من فروع الكلام،
وهما من مختصات الإنسان حصراً كما هو معروف.

وللشاعر اللبناني بولس سلامة (ت ١٩٧٩ م) على لسان الحرّ الرياحي:

يا ابن بنت رسول الله عفوك عني خضل الدمع لحيّتي والثيابا
ويقول الحسامُ للغمدِ ودّعـ نبي فلن أرتضيكَ بعدُ قِرابا
فأجاب الحسين يا حرّاً لا تجزع فإنّ الكبير ينسى العتابا^(٣)

هنا نجد أن الشاعر قد أنطق الحسام ليتكلّم كناية عن الرغبة في القتال إلى جانب

الإمام الحسين عليه السلام.

(١) الوائلي، أحمد، ديوان الوائلي: ص ٤٠.

(٢) العسيلي، سعيد، ملحمة كربلاء: ص ١٧٩.

(٣) بولس سلامة، عيد الغدير: ص ٢٧٧.

وللشاعر مروان عادل حمزة (ت ٢٠٢٠م) قصيدة مبتكرة في ثيمتها بعنوان
(جِدْرُ الحسين) جاء فيها:

إِذْ حَاوَلَ الْخَوْفُ أَلَّا يَطْبَخُوا وَضَعُوا (جِدْر) الْحُسَيْنِ عَلَى الطَّابُوقِ وَاتَّكَلُوا
نَادَاهُمْ (الْجِدْر) فِي عَاشُورٍ هَلْ حَطَب؟ فَادْفَعُوا تَحْتَ (جِدْر) الشُّوقِ وَاشْتَعَلُوا
لَمَّا الْحَصَارُ اشْتَرَى مِنْهُمْ مَنَازِلَهُمْ بَاعُوا وَمَا طَرَقُوا بَاباً وَمَا سَأَلُوا^(١)

فقد (أنسن) الشاعر في هذا المقطع العديد من الجمادات، حيث أعطى صفة
الكلام والمناداة للقدر (الجدر)، وأعطى للحصار الذي فرض على الشعب العراقي
في التسعينيات من القرن الماضي صفة الشراء والبيع.

وجاء في رثائية الشاعر المعاصر ماجد كبة من قصيدته (قَدْرُ الْفَطَامِ):
لَمْ أَنْبِرْ ذَبْحاً وَلَمْ أَتَثَقِّفْ إِلَّا لِأَتَقَفَ مِنْهُ مَا يَتَلَفَفُ
طِيراً بَيَاضَ الْعُنُقِ لَاحَ لِفُوقَتِي وَأَنَا هِزْأُ كُنَائِنٍ لَمْ أُقْذِفْ
لَكَأَنِّي الْمَخْلُوقُ مِنْ قَدْرِ الْفَطَا م لِقَلْبِ فَاطِمَةَ بَدُونِ تَأْسَفِ

حيث جاء الكلام على لسان السهم الذي ذبح الطفل الرضيع في عاشوراء.
وللشاعر خالد حسين الداحي من قصيدته (هَوَاجِ الْبُكَاءِ) مستذكراً بطولة
العبَّاسِ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

الرَّيْحُ مَرَّتْ عَلَى الشُّطَّانِ بَاكِيةً تُحَدِّثُ النَّاسَ عَمَّا قَدْ جَرَى وَحَصَلْ
كَفُّ تُفْتَشُ عَنْ أُخْرَى لِتَسْأَلَهَا هَلْ صَاحِبُ الْجُودِ حَقًّا لِلْإِمَامِ وَصَلْ؟
فَمَا أَجَابَتْ وَلَكِنْ مِنْ أَصَابِعِهَا دَمٌ تَحَدَّرَ مِنْ كَثْرِ الْبُكَاءِ وَوَشَلْ

حيث أنطق الشاعر كلاً من الريح والكف، وصوّر البكاء للريح أيضاً.
وللشاعر السعودي المعاصر أحمد الماجد من قصيدته: (صحراء تنهض
قصاصه)، حيث جاء البوح على لسان الصحراء في كربلاء:

(١) مقطع فيديو متداول في وسائل التواصل الاجتماعي.

قطراتٌ وقتٍ على كنفِيٍّ أم قممٌ؟
يُغمى عليَّ سطوراً أستفيقُ خطي
حشوتُ تليَّ جهاتٍ واتكأتُ على
مسافةٍ واثنتينِ الطفُّ ما بدأتُ
نافورةً من قياماتٍ تفورُ على
أنى هدأتُ بدأتُ الطفَّ ناحيةً
نهضتُ لا أنا صحراءٌ ولا حرمُ
من لا نهايةَ من جثمانه قلمُ
غدٍ رأيتك لِمَا حَمَمَ الحُلُمُ
خطاك ما نضبت من وقفةٍ قدَّم
نهايتين وليد البدء والرحمُ
تُدِرُّ أحصنةً والنخلةُ الألمُ

جاء في رثاء الشاعر المعاصر جواد جميل:

فاصرخي يا قبورنا علّمي الريحَ
واحصدي الضوءَ واتركي غبشَ
وابدئي فالحسينُ قد أبقظ الموتى
سراها وعلميها الصهيلا
الطفَّ وسيافه يَلُمُّ النصولا
وناغى الأسى ومسَّ الدهولا! (١)

وهنا نجد الشاعر قد منح القبور فعل الصراخ.

أمّا في رثائية الشاعر المعاصر رعد موسى الدخيلي:

رداؤك سيّدي يحكي الفجيعة
بها آل النبي غدوا عطاشى
فذا ثوب الحسين كما نراه
فنجد أنّ الرداء هو الذي يحكي وينطق ما جرى على آل الرسول في كربلاء.
وينطق فاضحاً حرباً فضيعه
رضيغٌ ظامئٌ قرب الرضيعه
تخيّل عندما داسوا ضلوعه

أما الشاعر المعاصر رحيم الربيعي وهو يرثي العباس (عليه السلام):

يا خير مَنْ صفع المعين بصره
قمرُ العشيرة والحسين سراجُه
يدنو بقربك أيّ فعلٍ خالدٍ
فرثاهُ في كفِّ المروءة كاسُ
تسعى لنور الله فيك الناسُ
يا وحيَ أصداء السّما عبّاسُ

فقد أعطى للكأس فعل الشاعر الذي يلقي قصيدة رثاء بحق العباس ويشيد ببطولته.

٢. البكاء وفروعه

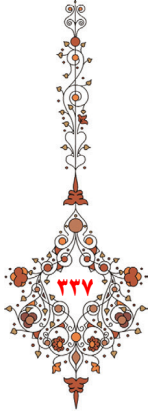
أكثر الشعراء في أدب عاشوراء من توظيف بكاء الجهادات والموجودات المادية في نصوصهم الشعرية، حيث نجد (البكاء، النحيب، الأنين، الدموع، الشكل، الجداد...) له حضوره في الأدب، كما في هذه النصوص التالية:

جاء في رثاء مسلم بن عقيل للشيخ محمد رضا الخزاعي (ت ١٩١٢م):
دريت ابن عمك يوم الطفوف نعاك بأسرته الناصحة
بكاك بماضي الشبا والوغى وجوه المنايا بها كاحة
أقام بضرب الطلى مائماً عليك ويضر الظبا نائحة^(١)
فقد أعطى الشاعر للسيوف صفة البكاء والنوح، وهي من الصفات البشرية.
وللشاعر المعاصر حيدر المرعبي:
وأنا أسيّر رأيت طيف حمامة ثكلى تئنّ ودمعة تتحجّر
ورأيت سجّاناً بسوطٍ أخرس يروي مقالة كيف تُدمى الأظهر
ورأيت عين الماء كيف توسّدت كفّاً مخضبة فأينع خنصر
وهنا منح الشاعر للحمامة الأنين والبكاء، وللسوط الكلام، ولعين الماء احتضان الكفّ، وهي صفات بشرية.

وللسيد رضا الهندي الموسوي (ت ١٩٤٣م) في إحدى مراثيه:
لا تسلني بعد هذا ما جرى غير أنّ العرش أهوى للثرى
وغدا الإسلام محلّول العرى وبكى الدين على حامي حماه^(٢)

(١) المقرّم، عبد الرزاق، الشهيد مسلم بن عقيل: ص ١٧٦.

(٢) الهندي الموسوي، رضا، ديوان السيد رضا الهندي: ص ٥٢.



نجد الشاعر قد منح الدين فعل البكاء.

ويعود الشاعر في مرثية أخرى ليمنح الدين البكاء، ولكتاب الله النواح:

لهفي لرأسك فوق مسلوب القنا يكسوه من أنواره جلبابا
يتلو الكتاب على السنان وإنما رفعوا به فوق السنان كتابا
لنُح كتاب الله ممّا نابه وليثنّ الإسلام يقرعُ نابا
وليك دين محمد من أمة عزلوا الرؤوس وأمروا الأذنانبا^(١)

وللشاعر المعاصر جواد جميل:

ينحني الموت بين كفّيه مذعوراً وتبكي الخيول والنيرانُ
غير أن الحسين قلب يرفُّ النهر فيه وينبض الريحانُ^(٢)

وهنا نجد الشاعر قد منح الخيول والنيران فعل البكاء.

وله أيضاً:

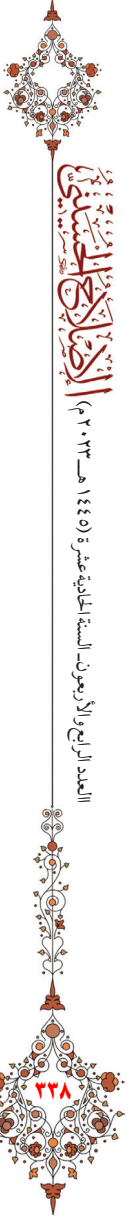
ماللشواطئ تبكي جنازة الينبوع؟
هل سافرت في جراحي ورمليها المنقوع؟
أم اكتوى الخطو منها على المدى المروجع؟
إن راعها تمّات من رأسي المقطوع
ففي يديّ نهارٌ وغابةٌ في ضلوعي^(٣)

بينما هنا منح الشاعر الشواطئ فعل البكاء.

(١) المصدر السابق: ص ٤٣.

(٢) جواد جميل، الحسين لغة ثانية: ص ٣٨.

(٣) المصدر السابق: ص ٦٤.



وله أيضاً:

رَأَيْتُ الْبَحَرَ يَبْكِي خَلْفَ
شَوَاطِئِهِ مَحْنَطَةَ الرِّمَالِ
خِيَمَتِنَا وَيَرْتَجِفُ
وَمَوْجُهُ خَزَفٌ^(١)

وهنا منح الشاعر البحر فعل البكاء.

وجاء في مرثية ابن العرندس الحلي (ت ٨٤٠ هـ) بحق الإمام الحسين عليه السلام:
فِيَا لَكَ مَقْتُولاً بَكَتَهُ السَّمَاءُ دَمًا
مَلَابِسُهُ فِي الْحَرْبِ حُمْرٌ مِنَ الدِّمَاءِ
فَمَغْبَرٌ وَجْهَ الْأَرْضِ بِالْدمِ مُحْمَرٌ
وَهُنَّ غَدَاةُ الْحَشْرِ مِنْ سُنْدُسٍ خُضَرٌ^(٢)

وهنا منح الشاعر السماء فعل البكاء.

وجاء في مرثية ابن أبي الحديد المعتزلي (ت ٦٥٦ هـ):
وَلَقَدْ بَكَيْتُ لِقَتْلِ آلِ مُحَمَّدٍ
وَالشَّمْسُ نَاشِرَةٌ ذَوَائِبَ ثَاكِ
بِالطِّفِّ حَتَّى كُلَّ عَضْوٍ مَدَمَعٌ
لَهْفِي عَلَى تِلْكَ الدِّمَاءِ تُرَاقُ فِي
وَالدهرُ مَشْقُوقُ الرِّدَاءِ مُقْنَعٌ
أَيْدِي طَغَاةٍ أُمِيَّةٍ وَنُضِيعٌ^(٣)

وهنا نجد الشاعر قد جعل الشمس تنفعل تاكل فتتشر ذوائبها كما تفعل المرأة في المصيبة، أمّا الدهر فقد شقّ الرداء على مصيبة الإمام الحسين عليه السلام.

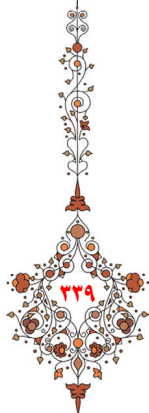
وجاء في رثائية الشاعر المعاصر علي محمد حسن:
وَيُذْبَحُ مِثْلَ الشَّاةِ نَجْلُ مُحَمَّدٍ
تَغْيِيرُ لَوْنِ الضُّوءِ قَدْ ذَابَتِ الرُّؤْيُ
لِيَشْمَتَ زَيْدٌ أَوْ لَكِي يَشْتَفِي عَمْرُو
بَكَى الرَّمْلُ صَاحِ الْمَاءِ وَانْذَعَرَ الذُّعْرُ^(٤)
هنا نجد الشاعر قد أعطى للرمل فعل البكاء، وللماء فعل الصياح.

(١) المصدر السابق: ص ٦٦.

(٢) الأمين، محسن، أعيان الشيعة: ج ٧، ص ٣٧٥.

(٣) شبر، جواد، أدب الطف: ج ٤، ص ٥٥.

(٤) الطريحي، محمد سعيد، أجراس كربلاء: ص ٢٦.





الشاعر اللبناني المعاصر ياسر بدر الدين:

إنَّ مجد التراب وهم خيالٍ فالحُسَيْن العظيم مجد السماءِ
لَبَسَتْ بعدك القلوبُ سَواداً وسرى الحزنُ في عروقِ الدماءِ
فُجِعَ الروضُ والحمامُ ناحت وبَكَت كلَّ صخرةٍ صَمَاءِ^(١)

هنا منح الشاعر الرياض شعور الفجيعة، وللحمام النواح، وللصخور البكاء.

وجاء في رثائية الشاعر اللبناني سعيد العسيلي:

خيلٌ أحاطت بالحسين وأهله والخوفُ راح يحوم فوق عياله
والشمسُ تبكي فوق ساحة كربلاء حُزنًا وتلعن مَنْ أتى لقتاله^(٢)

هنا منح الشاعر الشمس فعل البكاء وشعور الحزن.

وجاء في رثائية الشاعر عبد المنعم الفرطوسي (ت ١٩٨٣ م):

ها هنا الشمسُ أَثْكَلتِ بِضُحَاهَا حين غَشَى القَتَامُ وجهَ دُكَاءِ
ها هنا الفتْحُ قد تردى صريعاً وانطوى للجهادِ خيرُ لواءِ
ها هنا المجدُ وهو صرْحٌ تداعى حين أهوت دعامةُ العلياءِ
ها هنا.. ها هنا الحسينُ توارى بين ظِلِّ القنا ومهد الإباءِ^(٣)

أعطى الشاعر للشمس شعور المرأة الثكلى، والضحية هنا كناية عن الإمام

الحسين وأهل بيته عليهم السلام.

وجاء في مرثية الشاعر المعاصر عبد الرضا الويساوي:

ناحت حمامات الفجيعة حينها هلَّ المُحَرَّمُ باكياً ناعيكاً
دهرٌ وقلبي بالشعائر مُولَعٌ في كلِّ حينٍ نَبْضُهُ يُرْثِكَا

(١) حسن نور الدين، عاشوراء في الأدب العالمي المعاصر: ص ١٩١.

(٢) العسيلي، سعيد، ملحمة كربلاء.

(٣) الفرطوسي، عبد المنعم، ملحمة أهل البيت: ج ٣، ص ٣٣٤.

سُؤْلُ يُؤْرَقْنِي وَعُذْرًا إِنَّمَا
أَرْمِيهِ ظِمَانًا بِهِ أُعْنِيكَ

منح الشاعر للحمامات فعل النواح، وهو فعل بشري.

وللشاعر محمد عباس الدراجي (ت ٢٠٠٢م) من قصيدته (صلاة السيف في

كف سيّد الشهداء):

| | |
|---|--|
| قَدَسْتُ يَوْمَكَ وَالْمَلَائِكُ خَشَعُ | لَكَ وَالسَّمَاءُ عُيُونَهَا إِذْ تَدْمَعُ |
| وَأَرَى الْفِرَاتَ دُمُوعُهُ أُمُوجُهُ | كَيْمَا حُرِمْتَ إِذْ كَلَابُ تَكْرَعُ |
| فَتَوَضَّأَ النَّهْرُ الْحَزِينَ بِبَرَكَةِ | لِدَمٍ وَصَلَّى كَيْ لَهُ تَتَشَفَّعُ |
| وَيُحَمِّمُ الْفَرَسُ الذَّكِيَّ بِجَمْرَةٍ | هَذَا (الْمَثْنَى) قَلْبُهُ يَتَلَوُّعُ |
| وَدُمُوعُهُ حِمْمٌ تُصَبُّ وَظَهْرُهُ | مَعشوشب وضمير (شمر) بلقع ^(١) |

هنا نجد الشاعر قد أجرى دموع السماء ونهر الفرات والفرس، وجعل النهر

يتوضأ.

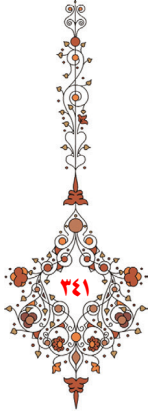
وجاء في مريثة الشاعر معتوق بن شهاب الموسوي (ت ١٠٨٧هـ)

| | |
|--|---|
| لِلَّهِ أَيُّ مَصِيبَةٍ نَزَلَتْ بِهِ | بَكَتِ السَّمَاءُ لَهُ نَجِيعًا أَحْمَرَا |
| خَطَبْتُ دَهَى الْإِسْلَامِ عِنْدَ وَقْعِهِ | لِسِتٍّ عَلَيْهِ حَدَادَهَا أُمُّ الْقُرَى |
| أَوْ مَا تَرَى الْحَرَمَ الشَّرِيفَ تَكَادُ مِنْ | زَفَرَاتِهِ الْجَمْرَاتُ أَنْ تَتَسَّعِرَا |
| وَأَبَا قُبَيْسٍ فِي حِشَاهُ تَصَاعَدَتْ | قُبَسَاتُ وَجَدٍ حَرُّهَا يَصْلِي حِرَا |
| عِلْمَ الْحَظِيمِ بِهِ فَحَطَّمَهُ الْأَسَى | وَدَرَى الصِّفَا بِمُصَابِهِ فَتَكَدَّرَا |
| قُتِلَ الْحُسَيْنُ فِيهَا لَهَا مِنْ نَكْبَةٍ | أَضْحَى لَهَا الْإِسْلَامُ مِنْهَدِمَ الذُّرَى ^(٢) |

وهنا (أنسن) الشاعر مقطوعته الشعرية من عدة جوانب، فقد أبكى السماء،

(١) الدراجي، محمد عباس، القصائد الخالدات في حب أهل البيت: ص ١٥١.

(٢) المقرّم، عبد الرزاق، مقتل الإمام الحسين: ص ١٠٧.



وألبس أم القرى (مكة) السواد ثياب الحداد، والحرم المكي يزفر حرقةً، وجبل
(أبوقبيس) يشعر بالحرقة واللوعة التي تصل غار حراء، والحطيم يأسى، والصفاء يتكدر.

وللشاعر المعاصر فارس الحسيني على لسان حال الفرات:

| | |
|---------------------------|---------------------------|
| ألا إني بكيت بألف عين | غداة مُنعتُ عن ثغر الحسين |
| نعتُ رضيعه وخشيتُ خدًا | على العباس مقطوعَ اليدين |
| تذكر عطشاً كالجمر أضحت | له كبد فعاف الضفتين |
| غضبتُ وقلتُ ما جدوى وجودي | وهاج الماء بين الشاطئين |
| وسار الماء كالياقوت دمعاً | وكان الماء يجري كاللجن |

وهنا يمنح الشاعر نهر الفرات فعل البكاء، وخمش الخد، والغضب لما جرى في
كربلاء.

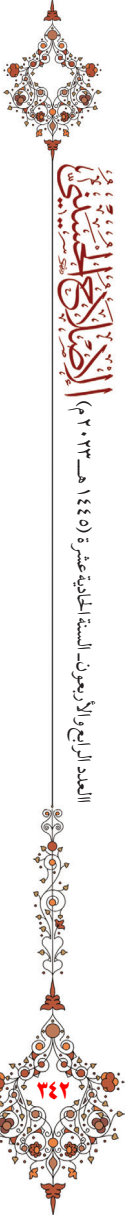
وجاء في رثائية الشاعر المعاصر أيوب يوسف:

| | |
|---------------------------------|------------------------------|
| وما زالت الأنهار تبكي لأنها | على جسد الطهر استمرّ بكاؤها |
| ولو أنّ للأرواح قلباً وجُرحت | لسالت على قتلى الطفوف دماؤها |
| ولو تعلمُ الأيّامُ أوجاع كربلاء | لكانَ على طول الزمان عزاءها |

هنا نجد الشاعر قد منح الأنهار فعل البكاء على مصيبة سيّد الشهداء، فيما منح
الأيام فعل العزاء، والبكاء والعزاء هما من فعل الإنسان.

٢. الصلاة وفروعها

ومن جوانب (الأنسنة) في أدب عاشوراء، أنسنة الموجودات والجمادات من
خلال محاكاتها مع الصلاة وما يرتبط بها من أفعال وحركات: (الوضوء، التكبير،
القيام، الركوع، السجود...)، كما نجد ذلك في النصوص التالية:



فقد جاء في مريثة السيّد رضا الهندي الموسوي:

صلّت على جسم الحسين سيوفهم فغدا لساجدة الطُّبّا محراباً
يدعو ألسْتُ أنا ابن بنت نبيّكم وملاذُكم إن صرْفُ دهر نابا
فغدوا حيارى لا يرون لوعظه إلّا الأسنّة والسهامَ جواباً^(١)

حيث أعطى الشاعر للسيوف والرماح والسهام هيئة وصفة الصلاة تارة، والكلام تارة أخرى.

وجاء في رثائية الشاعر اللبناني عبد الحسين صادق (ت ١٩٤٥م):

سلّ كربلا والوغى والبيض والأسلا مستحفيّاً عن أبيّ الضيم ما فعلا
تأثّم فيه صفوفٌ من عزائمه تستغرق الكون ما استعلّى وما سفلا
بالنحر كبر ماضيه وعامله بالصدر فاتحة الطعن الدراك تلا
فالسيف يركع والهجمات تسجدوال خطّي في كلّ قلب أخلص العملا^(٢)

فهنا نجد أنّ الشاعر قد أعطى للسيف فعل التكبير، كما أعطاه أيضاً وضعية الركوع في كناية عن الضرب الشديد، وأعطى للرمح (الخطّي) شعور الإخلاص في العمل، وهو شعور إنساني.

وجاء في رثاء الشاعر السعودي المعاصر علوي الغريفي للشهيد علي الأكبر:
حسبَ توقيتِ المجد شدّ لثامه وامتطى الموت لم يبارح لجام
ومضى يطحنُ الجماجم طحناً مُعلنّاً في الطفوف يوم القيامة
رفعَ السيفَ في اليمين أذاناً خلفه كربلاءُ تتلو الإقامة
ثمّ صلّى عليّ آخر فرض مانحاً للسّماء نحرّاً وهامة

حيث منح الشاعر السيف القدرة على الأذان، ولكربلاء تلاوة الإقامة، وهما من متطلبات الصلاة عند المسلمين كما هو معروف.

(١) الهندي الموسوي، رضا، ديوان السيّد رضا الهندي: ص ٤٢.

(٢) حسن نور الدين، عاشوراء في الأدب العاملي المعاصر: ص ١٠١.



وجاء في رثائية الشاعر المعاصر محمد الوائلي:

سبعون حبة قمح أشبعت همماً خبز الكرامة لما هانت الهمم
عشق الحسين تراتيل صلاتهم توضؤوا والعشق حدّ الموت ماسموا
زُفّت إلى المجد عرساً والجنوب لها عرش وحنأؤها عند الزفاف دم
عراس النخل (البرحي) شاخحة يكبر السعف حين الخطب يتحدث
معرّس النهر يحكي عزف ملحمة تسابقت لنزيف الأنفس الشيم

وهنا نجد الشاعر قد جعل عشق الحسين هو الصلاة، وهو الضوء لأنصاره، كما أعطى للسعف القيام بالتكبير، وهو من مقدّمات الصلاة عند المسلمين، كما نجد فعل الكلام (الحكي) عند النهر.

وجاء في رثائية الشاعر المعاصر عبد الرضا الويساوي:

يا آية النهر التي قرئت على حشد من الملأ البغاة بكر بلا
ما قام وحيّ في مهام نزولها اختصّ في ترتيلها ربّ العلا
صلّى وقام النهر في جريانه لما رأى قمر العشيرة مقبلا

هنا نجد أنّ الشاعر قد منح النهر القيام بالصلاة التي هي أهمّ عبادة عند المسلمين.

وجاء في رثائية الشاعر السيّد سلمان داود الحلّي (ت ١٢٤٧ هـ):

بنفسي تريب الخد ملتهب الحشى عليه المواضي رُكّع وسجود
بنفسي قتيل الطفّ من دم نحره غدا لعطاشى الماضيات ورود^(١)

هنا نجد الشاعر قد جعل السيوف تركع وتسجد على جسد الشهيد في كناية عن كثرة الضرب والطعن في الجسد الشريف، والركوع والسجود هما من أركان الصلاة عند المسلمين.

(١) شبّر، جواد، أدب الطفّ: ج ٦، ص ٢٧٩.

وجاء في رثائية الشاعر المعاصر جواد جميل:

شَفَتِي والغبارُ رَشَّ عليها النوحَ حزناً فجاذبته الربابا
ثمَّ أَنْتَ فاستيقظَ الخصبُ والنخلُ يصليّ ويلثمُ المحراباً^(١)

وهنا نجد أن الشاعر جعل من النخل يصليّ، والصلاة عبادة مهمّة عند البشر بصورة عامّة، كما نجد أنّ النخل يقوم بتقبيل المحراب، والتقبيل فعل بشري كما هو معروف.

وله أيضاً:

الحسينُ انحنى على صدره الرمحُ وصلّت على يديه الجروحُ
وتلوّى النخيلُ يا شجرَ الجمرِ المدمى هل أيقظتك الريحُ؟
هل تلتثمتَ بالغبارِ؟ لماذا عدتَ شلواً مُصمّغاً لا يبوّحُ؟^(٢)

وهنا جعل الشاعر من الجراح تُصليّ على يدي الحسين في كناية عن كثرتها.

وجاء في مرثية الشاعر المعاصر جعفر الخطّاط:

صلّت بك الشمس أم طافت بك الشهبُ؟ حتّى اصطفتك إلى أسرارها الكتبُ
أم كنتَ وحيّاً لسفّرِ الطفّ مُتنبّذاً طافت على وحيهِ الأسفارُ والرتبُ
يا آية خطّها جبريلُ منكسراً فوق النواويس فاحمّرت بها السحبُ

نجد الشاعر قد أعطى للشمس فعل الصلاة، وللشهب فعل الطواف، وهما من أفعال المسلمين العبادية.

٤. الحجّ وفروعه

ومن جوانب (الأنسنة) في أدب عاشوراء، ما يتعلّق بشعيرة الحجّ ويرتبط بها:
جاء في مرثية الشاعر المعاصر قاسم العابدي للشهيد العباس بن عليّ عليه السلام:

(١) جواد جميل، الحسين لغة ثانية: ص ١٩.

(٢) المصدر السابق: ص ٢١.

إلى وجهه حجّت نهارات كربلا
وجلّبت الأنهار أفلاك كفه
إليه رضاب الماء يأتي بشوقه
فصار حِراءً للوفاء ووحّيه
تُرتله الأيام سِفرًا مقدّساً
وطاف بمعناه الأثير الهواشم
غداة دناها واصطفته المكارم
فتنبّذه عن ناظره المعاصم
نداءت أطفال روتها السواجم
وتركع في أدنى خطاه العظائم

حيث نجد أنّ الشاعر أُنسن النهار من خلال قيامه بالحجّ، الذي هو أحد العبادات المهمّة عند المسلمين. كما منح الأثير الطواف، وهو أحد فروع أو متطلّبات الحجّ، ومنح الأنهار ارتداء الملابس (الجلباب).

هـ. الزواج

وجاء في مريثة السيّد حيدر الحليّ (ت ١٣٠٤ هـ):
فأبى أن يعيش إلّا عزيزاً
أو تجلّى الكفاح وهو صريع
فتلقّى الجموع فرداً ولكن
كلّ عضو في الروع منه جُموع
زوّج السيّف بالنفوس ولكن
مهرها الموت والحضاب النجيع^(١)

فقد أعطى الشاعر للسيّف صفة الزوج الذي دفع مهراً لنفوس الأعداء، ولكنّ هذا المهر هو الموت والدم وليس المال، وهنا نجد نكت البديع بحسن الانسجام ورسانة التركيب.

وجاء في رثاء الشاعر اللبناني عبد الكريم صادق (ت ١٩٧٢ م) للإمام الحسين عليه السلام^(٢):

زوّجت سيفك بالهامات فانفجرت
له انشقاقاً بضرب منه مزدوج

(١) الحليّ، السيّد حيدر، ديوان السيّد حيدر الحليّ: ج ١، ص ١٢٥.

(٢) حسن نور الدين، عاشوراء في الأدب العالمي المعاصر: ص ١٣٢.

إن قدّ معتلياً أو قطّ معترضاً
فالشبل نهج أبيه جدّ متتهج

وهنا نجد الشاعر قد زوّج السيف للهجمات كناية عن شدّة الضرب والقتال في
كربلاء.

٦. الحياء/الخجل

جاء في إحدى مرثي السيد حيدر الحلّي:

يلقى الكتيبة مُفرداً فتفرُّ دامية الجراح
وبهامِها اعتصمتُ مخافة بأسه بيضُ الصفاح
وتسترتُ منه حياءً في الحشا سُمُرُ الرماح^(١)

فهنا نجد الشاعر قد منح الحياء للرماح، والحياء كما هو معروف شعور إنساني.

وجاء في رثائية الشاعر اللبناني بولس سلامة (ت ١٩٧٩م):

حمل السيف قاسم وهو يدري أنّه يطلبُ المنونَ غلابا
فُلقت رأسه بضربةٍ نذلٍ فجرت مُقلّة الخُزام اكتئابا
خَجَل السيفُ حين لامَسَ رأساً يجرُّ الطرفُ بعضه لو أصابا^(٢)

وهنا نجد الشاعر قد أعطى للسيف شعور الخجل، وهو شعور إنساني بامتياز.

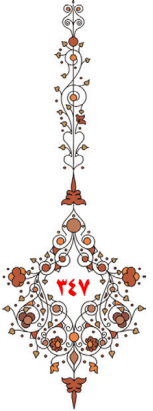
وللشاعر المعاصر شلال عنوز في بطولة العباس (عليه السلام):

فرداً أتى لكنّما هو فيلقُ من أيّما جهة أتوه تفرّقوا
ظام وكان الماءُ ملكَ يمينه خجلاً يُقبَلُ في يديه ويلعقُ
ملتاعُ هذا الماءُ يلثم كفه ويزمُّ عنقَ الجود كيما يغرقُ

وهنا نجد الشاعر قد أعطى للماء الشعور بالخجل.

(١) الحلّي، السيّد حيدر، ديوان السيّد حيدر الحلّي: ج ١، ص ٩٤.

(٢) بولس سلامة، عيد الغدير: ص ٢٨١.



وجاء في مرثية الشاعر المعاصر أيوب يوسف بحق العباس عليه السلام:

النهر ما زال من كفيك في خجل والجرف للآن من عينيك في وجل
والماء يتلو بحزن ما ارتجزت به لا أرهب الموت لو يأتي على عجل
يا سيّد الماء هذا الماء مرتبك بنور وجهك صار اليوم في شغل
حتى المسافة نحو النهر ظامئة جاءت لكفّيك كي تروى من القبل

وهنا أعطى الشاعر للنهر شعور الخجل، وهو شعور إنساني، كما أعطى للماء فعل التلاوة (الكلام)، وهو فعل إنساني.

٧- الابتسام

وللسيّد رضا الهندي الموسوي:

كنّا وكنتم وكان العيش قد نعمّا بكم وثغر الليالي كان مبتسما
كنّا لكم يا أحبّاء النفوس كما كنتم لأنفسنا أنفاسهن وما

كنتم لأرواحنا إلّا رياحيناً^(١)

نجد الشاعر منح الابتسام لليالي، والابتسام شعور إنساني خالص.

٨- التقبيل

جاء في مرثية السيّد حيدر الحلّي:

ومُنْعَطِفٍ أهوى لتقبيل طفله فقَبَّل منه قبله السهم منحرا
لقد ولدا في ساعة هو والردى ومن قبله في نحره السهم كبرا^(٢)

نجد هنا أنّ الشاعر يمنح السهم قابلية تقبيل الطفل الرضيع في كناية عن الذبح، كما (أنسن) السهم من خلال قيامه بالتكبير، وهو من مقدّمات الصلاة عند المسلم.

(١) الهندي الموسوي، رضا، ديوان السيّد رضا الهندي: ص ٤٩.

(٢) الحلّي، السيّد حيدر، ديوان السيّد حيدر الحلّي: ص ١١٣.

وللشيخ محمد تقي عبد الرسول آل الجواهر (أُعتقل عام ١٩٧٩ م، وأُعدم لاحقاً):

وربّ رضيع أَرْضَعْتَهُ قَسِيْهِمْ من النبل ثدياً دَرَّه الثَّرَّ فاطمه
فلَهْفِي على أُمِّ الرضيع وقد دَجَى عليها الدجى والدوح ناحت حمائمُه
أَقْلَتَه بالكفِّين ترشف ثَغْرَه وتلثم نحرأ قبلها السهم لاثمه^(١)

هنا نجد أن الشاعر أعطى للسهم لثم نحر الطفل الرضيع في استعارة متميزة عن الذبح.

وللشاعر اللبناني عبد الله شبّر (ت ١٩٩٤ م) يخاطب الإمام الحسين (عليه السلام) وهو يعارض عينية الجواهري المشهورة:

تعاليت من شامخ روحه تسامى إلى الأرفع الأرفع
تطلّ على عالم أجَدع تلدد وفي مهمه بلقع
بإشراقة سمحة الكبرياء تدفّق بالوهج الأضوع
بذكرى تقبل منها السماء جيناً تسامى ولم يخضع^(٢)

نجد الشاعر هنا قد أنسن السماء حين تقوم بتقبيل جبين الإمام الحسين (عليه السلام). وجاء في مريثة الشاعر جواد جميل:

رأيتُ الغيمَ يرقد ف البراري يرتدي الملحاح
يُكسّرُ موسم الأمطار ثمَّ يُقبّلُ الجرحا^(٣)

نجد هنا أن الشاعر قد جعل الغيم يقوم بتقبيل الجرح، وهو عمل إنساني كما هو معروف.

(١) المقرّم، عبد الرزّاق، مقتل الإمام الحسين (عليه السلام): ص ٣٧٤.

(٢) حسن نور الدين، عاشوراء في الأدب العالمي المعاصر: ص ١٥١.

(٣) جواد جميل، الحسين لغة ثانية: ص ٦٦.

٩. الحنين

جاء في رثائية الشاعر اللبناني المسيحي بولس سلامة:
يا ابن بنت رسول الله أقدم وفي صحبك تمشي ملائك أجواقا
وأغشنا فإن جوريزيد بثّ فينا الشقاء والأملاقا
حنّ ماء الفرات يا ابن رسول الله شوقاً متى تُغيثُ العراقا؟^(١)
نجد هنا أنّ الشاعر قد استعار للماء الحنين، وهو شعور إنساني خالص.

١٠. العجوز الشمطاء

جاء في رثائية الشاعر اللبناني بولس سلامة:
أذبل النورَ في رياض دمشق وأمضّ القصور في صنعاء
واستفاقت أمّ القرى وبياض الد فجر يكبو ويلتوي إبطاء
كعجوز شمطاء تعثر بالأحـ قباب تمشي ذليلة عرجاء
يا ضياء الغروب في كربلاء دونك الشمس في الغروب ضياء^(٢)
هنا نجد أنّ الشاعر منح لأمّ القرى (مكة) هيئة العجوز الشمطاء التي تمشي
وتتعثّر بعدما سمعت بحادثة مقتل سيّد الشهداء عليه السلام.

١١. الشيب

جاء في رثائية الشاعر اللبناني المعاصر يحيى عبد الأمير شامي:
شباب الزمان ولم يزل عاشورا أبداً يزيد تآلقاً وظهورا
يستلهم الشعراء من نفحاته غرراً تفيض فينعدن سطورا^(٣)
هنا الشاعر يمنح الزمان هيئة الرجل المشيب الذي شاخ ويقارنه بيوم عاشورا
الذي يتجدّد ظهوره على مدى الأجيال.

(١) بولس سلامة، عيد الغدير: ص ٢٢٨.

(٢) المصدر السابق: ص ٢٩٣.

(٣) حسن نور الدين، عاشورا في الأدب العالمي المعاصر: ص ١٥٧.

٢١. الكتابة

قال الشاعر المعاصر عماد المياحي في رثاء العباس:

عبّاس يا معنى الإباء ورمزه وشموخه ينمو بحجم الموقف
وبقية الأجساد ترسم لوحة عنوانها درس الثبات الأكتف
وخيامه كتبت بحبر رمادها صبراً ولا يدينه حبر المترف
هي رحلة كتب الجليل فصولها ويقودها رأس الحسين الأشرف

نجد هنا الشاعر قد أنسن الخيام وهي من الجمادات، فجعلها تكتب،
والكتابة - كما هو معروف - فعل بشري خالص.

١٣. الزهو والشموخ

جاء في رثاء الشاعر اللبناني عبد المطلب الأمين (ت ١٩٧٤م) للإمام الحسين عليه السلام:

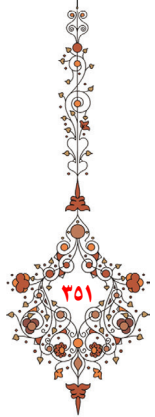
يا ثاوياً في كربلاء بجنة لا يحتويها بلقع أو فدق
إن تقصّ في الصحرا غريباً نائياً وعلى الرمال دم يسيل ويشهد
فلقد مضى بطل الفداء وآله ظمآن لا أهل هناك ولا غد
إلا رسالات وحقّ يفتدى بالغاليات وفكرة تتجسّد
يزهو بها التاريخ يشمخ رأسه ومآثر نبني بها ونشيّد^(١)

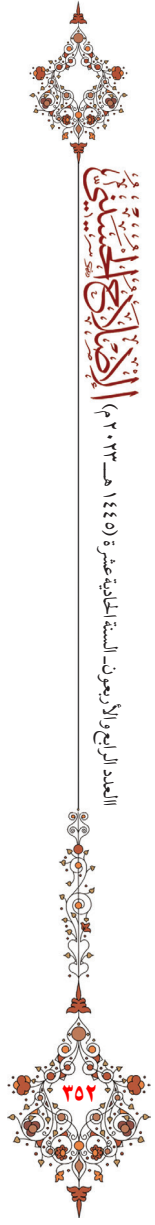
هنا الشاعر منح التاريخ صفة الزهو مرة، وصفة الشموخ مرة أخرى، وهما
صفتان إنسانيتان كما هو معروف.

النتيجة

١. إذا كانت الغاية الدلالية من الأنسنة هي خلق تمثّلات ودلالات معادلة للجنس
البشري، فقد ظهرت البنية الاستعارية بشكل واضح في هذه النصوص

(١) المصدر السابق: ص ٢١٣.





الشعرية، وهي توظف الصفات البشرية والإنسانية، حيث جهد الشعراء في بثّ الروح واستنطاق الأشياء والجمادات والطبيعة، ممّا منح تلك النصوص بُعداً جمالياً وأديباً.

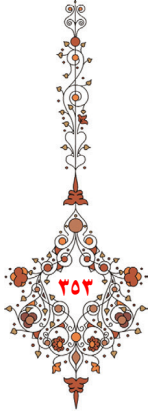
٢. من مجمل ما سبق من النصوص الشعرية، نجد كيف عمد الشعراء في مضامين شعرهم من تحويل الصورة الشعرية للجمادات والطبيعة إلى طاقة انفعالية وصورة شعورية نابضة بالحياة ومفعمة بالتوهج الوجداني من خلال تقمّصها الصورة البشرية، حيث جاء دور الأنسنة هنا ليشكّل خرقاً للسياق الشعري التقليدي الثابت، ممّا منح تلك النصوص رؤية شعرية إبداعية بلاغية جمالية حفّزت ذهنية القارئ للتفاعل مع ذلك التصوير الفني والخيال الخلاق والإبداع البلاغي.

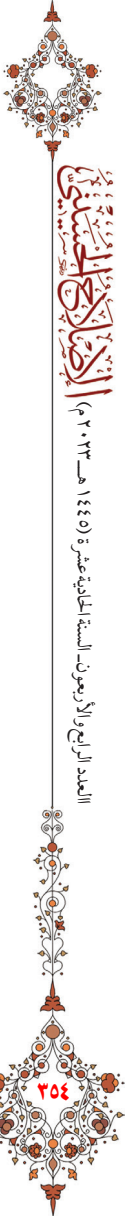
٣. نجد الشعراء في النصوص التي عرضناها لم يتوقّفوا على جانب واحد من أنسنة الطبيعة أو الجمادات أو الموجودات والكائنات، بل تنوّعوا كثيراً بما جادت به صورهم التخيلية، ففي جانب الطبيعة استثمروا (السماء، الصحراء، الفرات، النهر، البحر، الرياح، الشواطئ، الشمس، الرمل، الشهب، الأثير، الماء، الغيم، السنابل، النخل...). وفي جانب الزمان والوقت استثمروا (الدهر، النهار، الليالي، محرّم، الزمان، التاريخ...). وفي جانب الأسلحة استثمروا (السيف/ الحسام، الرمح، السهم...). وفي جانب الأمكنة استثمروا (مكة/ أمّ القرى، كربلاء، الطفّ، أبو قبيس، غار حراء، الحطيم، الصفا، المسجد...). وفي جانب الموجودات والجمادات الأخرى استثمروا (الجدّر/ القدر، الكأس، الرداء، الخيمة، القبر، المنبر...). وفي جانب الحيوانات استثمروا (الخيّل، الفرس، الحمامة...).

ولا شكّ أنّ هذا التنوّع في توظيف (الأنسنة) قد أثرى النصوص الشعرية ومنحها السمة الجمالية والفنية التي تستهوي القارئ والمتلقّي.

المصادر والمراجع

- ١ . أبو الطيب المتنبي وما له وما عليه، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل المعروف بأبي منصور الثعالبي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: مكتبة الحسين التجارية، القاهرة.
- ٢ . أجراس كربلاء، محمد سعيد الطريحي، مؤسّسة البلاغ، بيروت، ١٩٨٨م.
- ٣ . أدب الطفّ، السيّد جواد شبر، دار المرتضى، ١٩٨٩م.
- ٤ . أعيان الشيعة، السيّد محسن الأمين العاملي.
- ٥ . أنسنة المطلق في القرآن الكريم، خليل عبد الرفوع، مقال في شبكة الإنترنت.
- ٦ . التشبيهات، إبراهيم بن محمد بن أبي عون، (برنامج المكتبة الشاملة).
- ٧ . تلخيص كتاب أرسطو طاليس، محمد بن أحمد المعروف بابن رشد، تحقيق: د. محمد سليم سالم، القاهرة، ١٩٧١م.
- ٨ . الحسين لغة ثانية، جواد جميل، مؤسّسة دار الإسلام، بيروت، ١٩٩٤م.
- ٩ . ديوان السيّد حيدر الحلّي، السيّد حيدر الحلّي، تحقيق د. مضر سليمان الحلّي، منشورات الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ٢٠١١م.
- ١٠ . ديوان السيّد رضا الهندي، السيّد رضا الهندي الموسوي، دار الأضواء، بيروت، ١٩٨٨م.
- ١١ . ديوان الشيخ محسن (أبو الحبّ)، تحقيق: جليل كريم أبو الحبّ، بيت العلم للناشرين، بيروت، ٢٠٠٣م.
- ١٢ . ديوان المعاني، أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري، دار الجليل، بيروت.
- ١٣ . ديوان الوأواء، محمد بن أحمد الغساني المشهور بالوَأَوَاءَ الدمشقي، تحقيق: سامي الدهان، دار صادر، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.
- ١٤ . ديوان الوائلي، الشيخ أحمد الوائلي.





١٥ . الشعر والشعراء، عبد الله بن مسلم المعروف بابن قتيبة الدينوري، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٣ هـ.

١٦ . الشهيد مسلم بن عقيل، عبد الرزاق المقرّم.

١٧ . الصورة الفنيّة في شعر الوأواء الدمشقي، د. عصام لطفي الصّبّاح، دار زهدي للنشر والتوزيع، عمّان، ٢٠١٦ م.

١٨ . عاشوراء في الأدب العالمي المعاصر، حسن نور الدين، بيروت، ١٩٨٨ م.

١٩ . عيد الغدير، بولس سلامة، مطبعة النسر، بيروت، ١٩٤٩ م.

٢٠ . القصائد الخالدات في حُبّ أهل البيت، محمد عبّاس الدراجي، مكتبة الأمير للنشر والتوزيع، بغداد، ١٩٨٩ م.

٢١ . كامل الزيارات، جعفر بن محمد بن قولويه القمّي، مؤسّسة النشر الإسلامي، ١٩٩٦ م.

٢٢ . المصطلح النقدي والبلاغي عند الفلاسفة المسلمين.. دراسة تأصيلية نقدية، د. عبد الله خضر حمد، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٢١ م.

٢٣ . مقالات في الإمام الحسين عليه السلام، إعداد: عبد السادة محمد الحداد، قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدّسة، ٢٠١٢ م.

٢٤ . مقتل الإمام الحسين، عبد الرزاق المقرّم، منشورات الفجر للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠٨ م.

٢٥ . ملحمة أهل البيت، عبد المنعم الفرطوسي.

٢٦ . ملحمة كربلاء، سعيد العسيلي.

٢٧ . موسوعة علوم اللغة العربية، د. إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت.

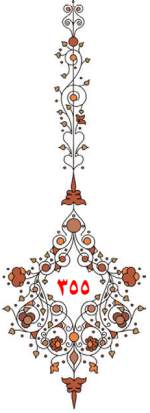
٢٨ . نزهة الأبصار بطرائف الأخبار والأشعار، عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن درهم، دار العباد، بيروت.

٢٩ . نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن

الخطيب، أحمد بن محمد المقرئ التلمساني، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت - لبنان.

٣٠. الوافي بالوفيات، خليل بن أبيك بن عبد الله الصفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م.

٣١. الوساطة بين المتنبي وخصومه، علي بن عبد العزيز القاضي الجرجاني، تحقيق وشرح: محمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي محمد البجاوي، الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.





لَمَّا خَرَجْتُ لَطَلْتُ لِإِصْلَاحٍ فِي مَشْرِجِي

الإصلاح الحسني

مَجَلَّةٌ فِصْلِيَّةٌ عِلْمِيَّةٌ تُعْنَى بِالنَهْضَةِ الْحُسَيْنِيَّةِ وَأَفَاقِهَا الْفِكْرِيَّةِ